الجمعيات الإسلامية في مصر

ودورها

في نشر الدعوة الإسلامية

د. محمد عبد العزيز داود

الزهراء للإعلام العربي

بسم الله الرحمن الرحيم

الزهراء للإعلام العربي
قسم النشر

ص.ب : ١٠٢ مدينة نصر - القاهرة - تلغرافياً : زاهراتيف - تليفون ٦٠١٩٨٨ - ٢٦١١١٠٦ - تلكس ٩٤٠٢١ رانف يو إن فاكس ٢٦١٨٢٤٠
P .O : 102 Madinat Nasr - Cairo - Cable : Zahratif - Tel : 601988 - 2611106 - Telex : 94021 Raaf U .N fax 2618240

بسم الله الرحمن الرحيم

«وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ
وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ»

صدق الله العظيم
فصلت/٣٣

الطبعة الأولى
١٤١٢ هـ ـ ١٩٩٢ م

الجمع التصويري والتجهيز
بالزهراء للإعلام العربي

الجمعيات الإسلامية في مصر
ودورها
في نشر الدعوة الإسلامية

د. محمد عبد العزيز داود

الزهراء للإعلام العربي

تقديم

بقلم الأستاذ الدكتور

محمد الطيب النجار

عاشت الجمعيات الإسلامية فى هذا المجتمع الإنسانى عبر القرون فكانت هى الجماعات المؤمنة التى جعلت الحق رائدها ، والمنارات الهادية التى ترشد السارين فى ظلمات الحيرة وفى مسالك الحياة الوعرة ، وتضىء للناس طريق الخير وتهديهم للتى هى أقوم .

« ولقد كانت بعثة النبى ﷺ إيذانا بميلاد الجماعة الإسلامية الأولى ، وكان أستاذها هو محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه وطلابها هم أصحابه الأبرار الأخيار رضوان الله عليهم ، ثم تتابعت الجماعات الإسلامية على توالى الأجيال والقرون تؤتى ثمارها الطيبة المباركة وتفيض على الناس بخيرها الكثير ، وبرِّها الوفير .. ولن يَغُضَّ أبدا من جلال هذه الجماعات وما كان يطرأ عليها – أحيانا – فى طريقها الشاق الطويل من العقبات والعراقيل حيث تزاحمها فى مسيرتها المخلصة جماعات زائفه تتستر بالإسلام والإسلام منها براء ، وتلبس المسوح الخادعة لتوقع الناس فى حبائلها وتنزل بهم إلى الدرك الأسفل من الجهالة والضلالة . أقول إن مثل هذه العقبات والعراقيل لن تغض من جلال هذه الجماعات أو توهن من عزيمتها فإن لها من رسوخ الجذور ومتانة العود ما يجعلها تسخر بالأنواء وتقلبات الأجواء ويعينها على الصبر حتى تنجلى عنها ليالى المحن ثم يطالعها فجر باسم من القوة والنماء والازدهار ..

ومن أجل ذلك مضت تلك الجماعات الإسلامية الراشدة تنتقل

فى العصور والقرون عصرا بعد عصر وقرنا فى إثر قرن حتى وقفت على مشارف القرن الرابع عشر الهجرى فإذا بها - بحمد الله - لا تزال قوية فتية يتنافس معظمها التنافس الرشيد ، وتتعاون الغالبية منها التعاون الحميد فى سبيل الحق ومن أجل إعلاء كلمة الدين الحنيف على مستوى العالم الإسلامى كله وفى هذا السفر القيم والبحث الرائد يقف العالم الجليل الدكتور / محمد عبد العزيز ابراهيم داود على مشارف القرن الرابع عشر الهجرى ليتطلع إلى الجمعيات الإسلامية فى مصر باحثا و مؤرخا وناقدا ، وقد أحسن - بلاريب - الاختيار فى تركيزه على هذه الجمعيات بالذات ، ذلك بأن مصر بلد الأزهر الشريف والأزهر منذ القدم كعبة الاسلام ومنار الدين ومفخرة الشرق ، كما أن الباحث الفاضل من أبناء الأزهر وعلمائه الأجلاء . وحديثه عن الجمعيات الإسلامية التى كان للأزهر أكبر الأثر فى حياتها إنما هو لمسة وفاء لهذا المعهد العظيم ، ووضع للأمر فى نصابه واعتراف بالفضل لأربابه ، ولله قول شوقى رحمه الله فى حديثه عن الأزهر وأثره فى الدعوة الإسلامية وكشف ظلمات الجهالة :

ظلمات لا ترى فى جُنحها ... غير هذا الأزهر السمح شهابا
قسما لولاه لم يبق بها ... رجل يقرأ أو يدرى الكتابا

ومما يُسْعِدُ هذا البحث ويسمو به أن الباحث قد أقامه على أسس سليمة ، وأصول قويمة ، فبدأ أولا بالتاريخ للدعوة والدعاة حتى نشأة الجمعيات الإسلامية ثم قدم بعد ذلك دراسة موجزة للحركات الإسلامية التى مهَّد فكرها لظهور الجمعيات الإسلامية فى مصر . وهذه الحركات هى : الدعوة الوهابية فى نجد والحركة السنوسية فى ليبيا ، وجمال الدين الأفغانى والشيخ محمد عبده فى مصر ولا غرو فإن الجمعيات الإسلامية فى مصر تدين بالفضل لتلك الدعوات المخلصة وقد ظهر أثر الدعوة الوهابية فى الجمعية الشرعية وفى جمعية أنصار السنة المحمدية . كما ظهر أثر السنوسية ودعوة السيد / جمال الدين الأفغانى والإمام محمد عبده فى فكر الإخوان المسلمين وفى اليقظة الإسلامية المعاصرة ثم تحدث الباحث عن الأسباب التى أدت إلى قيام هذه الجمعيات الإسلامية وأهمها الاستعمار والتبشير . وظهور دعاة للعلمانية والتغريب . والدعوة الآثمة لفصل الدين عن

الدولة .] ثم أفاض الباحث فى الحديث عن الجمعيات الإسلامية فى مصر وتتبعها منذ فجر حياتها وبدء نشأتها ثم صاحبها في تطورها وازدهارها وعرَّف برجالها ، والأسس التى قامت عليها والأسلوب العلمي والعملى لتحقيق أهدافها والعلاقات بينها والنتائج التى حققتها . وكانت هذه الجمعيات هى : الجمعية الشرعية التى أسست سنة ١٣٣١ هـ - ١٩١٢ م ، وجمعية أنصار السنة المحمدية وقد بدأت سنة ١٣٤٥ هـ - ١٩٢٦ م وجمعية الشبان المسلمين وقد بدأت سنة ١٣٤٦ هـ - ١٩٢٧ م وجمعية الإخوان المسلمين ١٣٤٧ هـ - ١٩٢٨ م . وكان لزاماً على الباحث أن يتحدث بعد ذلك عن الجماعات الإسلامية التى ظهرت منذ سنة ١٩٦٧ م فبينَّ أسباب ظهورها ومدى صلة الأفكار التى قامت عليها بالأفكار المتطرفة التى سبقتها فى العصور الإسلامية الأولى . ثم بين رأيه فى هذه الجماعات فى وضوح وصراحة . وما يجب على الدعاة فى مواجهة تلك الأفكار .

وجاءت خاتمة البحث لتكشف عن النتائج الموفقة التى توصل إليها الباحث ، حيث بين أن هذه الجمعيات قد وقفت فى صمود وإصرار أمام الاستعمار الفكرى وتصدت للمحاولات الشيوعية الباغية ، وكشفت النقاب عن مخططات اليهودية والصليبية ، والعلمانية والتغريب ، وأرشدت الناس إلى فهم الإسلام الحنيف على أساس سليم مستمد من القرآن والسنة ، وبعيد كل البعد عن البدع والخرافات والأباطيل التى دُسَّت إلى بعض الكتب الإسلامية والإسلام منها براء .

وإذا كان للنقد وجهان أحدهما يظهر الجوانب الإيجابية ، والآخر يكشف عن الجوانب السلبية فقد أظهر الباحث فى ثنايا بحثه بوجه عام وفى خاتمة البحث بوجه خاص أنه ناقد محايد إلى حَد كبير فلم يخدعه بريق فيمشى فى وميضه دون ان ينظر إلى جوهر الحق وجلاله الوضاء ، ولكنه وضع كل جمعية من الجمعيات التى تعرض لها وهى كبرى الجمعيات فى مصر ؛ وضع كل جمعية فى الميزان ليرى جانب الحسنات فى الكفة اليمنى والجانب الآخر فى الكفة اليسرى ، ثم يصدر حكمه بعد الفحص الدقيق

والتأمل العميق . وقد وضح له جانب من السلبيات فى هذه الجمعيات وكان من أهمها :

عدم التعاون الكامل بين الأزهر الشريف والجمعيات الإسلامية مما أضعف آثارها الإيجابية ، وعدم التنسيق بين هذه الجمعيات مما أوهن من كيانها ، وعدم خروج هذه الجمعيات عن النطاق المحلى للتبشير بمبادىء الإسلام لدى غير المسلمين .

وحينما وصف الباحث الأدواء حاول أن يصف إلى جوار ذلك الدواء الناجع لهذه الأدواء وقد صاحبه ـ بحمد الله ـ التوفيق ولم يضع منه الطريق ... ، وبعد ، فهذا الكتاب عظيم الفائدة عميم العائدة ، وسوف يجدُ القارىء فيه من الوثائق المحققة والحقائق الموفقه مايقنعه ويشفى غلته ويضع بين يديه علامات مضيئة على الطريق ،

هذا ، ومن الله العون وبه التوفيق

ا . د / محمد الطيب النجار
رئيس جامعة الأزهر سابقا
وعضو مجمع البحوث الإسلامية
وعضو مجمع اللغة العربية
ورئيس المركز الدولى للسيرة والسنة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـدمة

الحمد لله الهادى إلى الإيمان والمنعم بنعمة الإسلام والمتفضل على الإنسانية بدعوة خير الأنام .

وأشـهد ألاّ إله إلا الله وحده لا شريك له،بعث محمدا عليه الصلاة والسلام هاديا ، ومبشرا ونذيرا ، وداعيا إلى الله وحده بإذنه وسراجا منيرا .

وأشهد أن سيدنا محمدا عبد الله ورسوله : بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة ، وتركها على المحجة البيضاء ، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك .

وبعد ،

فهذا الكتاب يسد فراغا ويلبى حاجة فى المكتبة الإسلامية عن موضوع:

« الجمعيات الإسلامية فى مصر ودورها فى نشر الدعوة
خلال القرن الرابع عشر الهجرى »

هذا،ولقد شاءت إرادة الله أن أبدأ هذا البحث مع تباشير القرن الخامس

عشر الهجرى ؛ ليكون بتوفيق الله كتابا للدعوة الإسلامية عبر القرن المنصرم ، وتأريخا للجماعات الإسلامية التى حملت لواء الدعوة زهاء قرن ، وكان لكل منها مسلك خاص ومنهج معين ، حرىٌّ بالدراسة وجدير بالبحث ، خاصة أن هذه الجماعات تحملت أعباء الدعوة وسط الأمواج والعواصف التى طوقت الإسلام والمسلمين عبر القرن الرابع عشر وما قبله . وإننى من خلال موضوعات الكتاب سأضع المنهج التطبيقى لما ينبغى أن تكون عليه هذه الجمعيات فى القرن الخامس عشر الهجرى إن شاء الله .

هذا وإن لكل مؤلَّف أسبابا ودوافع ومنهج دراسة وحقائق ونتائج .

ولقد دفعنى لتأليف هذا الكتاب أسباب عدة أعرضها فيما يلى :

أولا : أن هذا الموضوع لم يطرح على بساط البحث قبل ذلك . فرغم أهميته ، فإنه لم تتجه إليه أقلام المؤلفين من المهتمين بأمر الدعوة الإسلامية . ولا يوجد فى هذا المجال سوى رسالة دكتوراه بعنوان :ـ

« الإخوان المسلمون والجماعات الإسلامية فى الحياة السياسية المصرية[١] » وهى بعيدة كل البعد عن المنهج الذى اخترته ؛ لأنه يتعلق بنشاط بعض الجمعيات سياسيا فقط .

ثانيا : أن تاريخ هذه الجماعات لا ينفصل بحال من الأحوال عن تاريخ الدعوة الإسلامية ، لأن الإسلام منذ فترة واجه الغزو الفكرى والاحتلال الأجنبى ، ومحاولات العلمنة والتغريب ، وفصل الدين عن الدولة ، ولقد كان ـ ولا يزال ـ لتلك الجمعيات دور بارز فى التصدى لهذه المحاولات ، مما سأتناوله بالعرض والدراسة إن شاء الله تعالى .

---

(١) تأليف د . زكريا سليمان بيومى ــ كلية الآداب جامعة عين شمس .

ثالثا : أن لكل جمعية من هذه الجمعيات مبادئ تسير عليها وأسلوبا فى الدعوة تنفرد به ، وأهدافا تعمل على تحقيقها ، ولكل منها رصيد فى الجهاد والدعوة إلى الله ؛ لهذا أردت من هذا الكتاب أن أتناول تلك الجمعيات بتوضيح أغراضها ، وشرح أهدافها وبيان مالها وما عليها إن شاء الله تعالى .

رابعا أن البعض من هذه الجمعيات قد انبرى بالهجوم والتجريح لجمعيات أخرى تسير على درب الدعوة الإسلامية ، وإن الكاتب ليُدمى قلبه ما يراه من هذه المعارك ، التى لم يستفد منها سوى أعداء الإسلام . ولقد كان هذا دافعا قويا لأبحث تلك الخلافات واضعا نصب عينى الحيدة المطلقة وعدم التعصب لجماعة دون جماعة ، ولكن وجهتى البحث العلمى الصادق ونصرة الحق ، حيثما كان دون تحامل أو تطاول ، وتقريب وجهات النظر المتباينة بقدر المستطاع .

خامسا: عقب هزيمة يونيو (١٩٦٧ م) ونتيجة لضرب التيار الإسلامى خلال أعوام (١٩٤٨ ، ١٩٥٤ ، ١٩٦٥ م) ، ومحاولات احتواء الجمعيات الرسمية المعلنة وتجميد أنشطتها ، وعدم نجاح أجهزة الدعوة فى اجتذاب الشباب ، والفرق الشاسع بين مثالية الإسلام وواقع المسلمين المعاصر .. ظهرت بعض الجماعات الإسلامية التى كان لها دور ملموس فى إحياء المفاهيم الإسلامية والسلوك الإسلامى لدى الشباب ، وعودة الحشمة والحجاب لدى الفتاة المسلمة ، بعد سنين طويلة من السفور والمجون . غير أن البعض من هذه الجماعات جنح إلى التطرف والعنف ، وتكفير المجتمع ووجوب الهجرة منه؛مما يوجب على الباحثين وخاصة الدعاة تناول هذه الظاهرة بالعرض الدقيق والدراسة الهادفة ؛ لهذا رأيت من واجبى أن أتناول مبادىء بعض هذه الجماعات ومناقشتها على ضوء الفكر الإسلامى البعيد عن الهوى

سادسا: أن الكثير من الجيل المعاصر لا يقف على حقيقة هذه الجماعات ، والقليل يعرف شيئا عن رجالاتها ؛ لهذا قصدت من هذا الكتاب أن أقدم للناشئة أعلام الجمعيات الإسلامية ورجالاتها الذين حملوا لواء الإسلام ، في وقت خيم فيه اليأس على القلوب وتمكن الاستعمار من النفوس ، وإن أصدق وصف لحالة الإسلام والمسلمين في مطلع القرن الرابع عشر الهجرى ، ما ذكره القرآن الكريم إبان معركة الأحزاب في قوله تعالى :ـ

﴿إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا * هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا ﴾[1] .

هذه هي الأسباب والدوافع التي جعلتني أستخير الله وأكتب في هذا الموضوع ، رغم وعورة الدراسة ونظرات المشفقين على منه . ومن الله ألتمس العون والتوفيق

---

(١) سورة الأحزاب آية ١٠ ، ١١ .

تقسيم الكتـــاب

سيجد القارىء بين يديه منهجاً علمياً
تم على أساسه طرح موضوعات الكتاب ،
وهذه الموضوعات كالآتى :

أولا : المقدمة وتشتمل على الموضوعات التالية :
١ ـ الأسباب الدافعة لاختيار هذا الموضوع .
٢ ـ منهج التأليف وأسلوب البحث .

ثانيـا : التمهيد للكتاب ويتناول مبحثين :
المبحث الأول : التأريخ للدعوة والدعاة حتى نشأة الجمعيات الإسلامية .
المبحث الثانى : دراسة موجزة للحركات الإسلامية التى مهد فكرها لظهور الجمعيات الإسلامية وهذه الحركات هى :

١ ـ الدعوة الوهابية فى نجد .
٢ ـ الحركة السنوسية فى ليبيا .
٣ ـ جمال الدين الأفغانى
فى مصر
٤ ـ الشيخ محمـد عبـده

فإن الجمعيات الإسلامية امتداد لهذه الحركات ، فأنصار السنة المحمدية امتداد لدعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب ، وكذلك الجمعية الشرعية ، مع اختلاف بعض الموضوعات مما سأتناوله خلال الكتاب إن شاء الله تعالى ، كما أن السنوسية ودعوة السيد جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده تركتا أثرا واضحا فى فكر الإخوان المسلمين ، وعلى اليقظة الإسلامية المعاصرة .

ثالثا : أبــــواب الكتـــاب :

الباب الأول : « الأسباب التى دعت لإنشاء الجمعيات الإسلامية »
ويشتمل على الفصول التالية :

الفصل الأول : الاستعمار والتبشير .
الفصل الثانى : سقوط الخلافة الإسلامية فى تركيا .
الفصل الثالث : دعاة العلمنة والتغريب ودعوتهم لفصل الدين عن الدولة
الفصل الرابع : عدم احتواء الأزهر للدعوة منذ أصبحت وظيفة لا رسالة .

البــاب الثانى : « الجمعيات الإسلامية فى مصر ودورها فى نشر الدعوة »

ويحتوى على الفصول التالية :

١ ـ **الجمعية الشرعية** ، أسست فى غرة المحرم (١٣٣١ هـ ـ ١١ ديسمبر ١٩١٣ م)
٢ ـ **جمعية أنصار السنة المحمدية** والتى أنشئت عام (١٣٤٥ هـ ـ ١٩٢٦ م) .
٣ ـ **جمعية الشبان المسلمين** ، أسست عام (١٣٤٦ هـ ـ ١٩٢٧ م) .
٤ ـ **جمعية الإخوان المسلمون** ، عام (١٣٤٧ هـ ـ ١٩٢٨ م) .
وفصول هذا الباب تشتمل على الموضوعات التالية :ـ
١ ـ **التعريف الموجز برجال هذه الجمعيات .**

٢ـ الأسس التى تقوم عليها .
٣ ـ الأسلوب العلمى والعمل لتحقيق أهدافها .
٤ ـ النتائج التى حققتها وعلاقة تلك الجمعيات بعضها بالبعض .
٥ ـ وضع الجمعية فى ميزان النقد الموضوعى ، والحكم بما لها وماعليها .

كما أنه توجد جمعيات معاصرة لهذه الجمعيات أو سابقة عليها ، كجمعية الهداية الإسلامية ، وجمعية مكارم الأخلاق ، وجمعية الدعوة والإرشاد ، وجمعية جبهة علماء الأزهر .

غير أن هذه الجمعيات استمرت لفترة محدودة ثم توقف نشاطها ، ولهذا لن أتعرض لها .

الباب الثالث : الفكر المتطرف : أسبابه وآثاره وواجب الدعاة نحوه :

ويشتمل هذا الباب على الفصول التالية :

الفصل الأول : أسباب ظهوره .
الفصل الثانى : روافد هذا الفكر ومدى صلته بالأفكار المتطرفة قديما
الفصل الثالث : دراسة لبعض كتبهم وآرائهم .
الفصل الرابع : رأى المؤلف فى هذا الفكر وواجب الدعاة نحوه .

خاتمـــــة الكتـــاب

وتشتمل على الأمور الآتية :

١ ـ النتائج التى توصلت إليها .
٢ ـ ما ينبغى أن تكون عليه الجمعيات الإسلامية .
٣ ـ دور الأزهر وواجبه نحو تلك الجمعيات .

هذا عرض موجز لموضوعات الكتاب .

وإنني إذ أسجد لله شكرا لهدايته وتوفيقه على « إنهاء » هذا المؤلف وإتمامه ، أتقدم بالشكر الجزيل إلى أستاذى الكبير فضيلة الدكتور : محمد الطيب النجار رئيس جامعة الأزهر ، والذى شرفت بتوجيهه لى فى هذا المؤلّف ، لما قدمه من عون صادق وتوجيه طيب ، والأخذ بيدى ودفعى للمثابرة فى تأليف هذا الكتاب

فلقد فتح لى قلبه وأصغى إلى بمشاعره ، فكان – بارك الله فيه – نعم الأستاذ معينا وموجها ، ونعم الأب رحيما حانيا .

كذلك أتقدم بالشكر إلى كل من قدم يد العون ، ولاسيما رجال الجمعيات الإسلامية ، الذين أفسحوا لى صدورهم و لم يضنوا على بحقائق أو وثائق ، والله أسأل أن يثيبهم خيرا .

فإن أكن قد وفقت فى كتابى هذا فهذا ما أرجوه وأتمناه ، وإن تكن الأخرى فحسبى أننى بذلت جهدى ونلت شرف قول الرسول ﷺ :

« إذا اجتهد أحدكم فأصاب فله أجران : أجر لاجتهاده وأجر لإصابته ، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر لاجتهاده »[1] .

هذا وبالله التوفيق .

محمد عبد العزيز داود

(١) رواه البخارى ومسلم .

التمهيد لموضوعات الكتاب

ويشمَل مبحثَين :

المبحث الأول :

التأريخ للدعوة والدعاة حتى نشأة الجمعيات الإسلامية

المبحث الثانى :

دراسة موجزة للحركات الإسلامية التى مهدت لنشأة الجمعيات الإسلامية

التمهيد لموضوع الكتاب

رأيت أن أمهد للكتاب بمبحثين :

المبحث الأول : التأريخ للدعوة والدعاة حتى نشأة الجمعيات الإسلامية .

المبحث الثانى : دراسة موجزة للحركات الإسلامية ، التى مهدت لظهور الجمعيات الإسلامية .

وقبل أن أستطرد فى مبحثى التمهيد ، أرجع إلى كلمة الدعوة والدعاة فى معاجم اللغة العربية ، شارحا لمفرداتها مبينا معناها .

أصل كلمة الدعوة لغة :

١ – جاء فى دائرة معارف القرن العشرين (١) ما يلى :–

«دعاه» يدعوه دعاء ودعوى ناداه وصاح به .

« دعا له » طلب له الخير من الله تعالى .

« دعا عليه » طلب له الشر من الله تعالى .

« تداعى الناس » دعا بعضهم بعضا .

٢ – وجاء فى لسان العرب (٢) من معانى كلمة الدعوة ما يأتى :–

« الدعوة » المرة الواحدة من الدعاء .

« والدعاة » قوم يدعون إلى بيعة هدى أو ضلالة ، وأحدهم داع،ورجل داعية

---

(١) المجلد (٤ صـ٤٦) .

(٢) جـ (١٨ صـ٢٨١) .

إذا كان يدعو الناس إلى بدعة أو دين ، وأدخلت فيه الهاء للمبالغة .

وبهذا يتضح أن كلمة دعا ومشتقاتها تدور بين الداعى وما يدعو إليه من خير أو شر .

الدعوة اصطلاحا :

عرفت الدعوة فى الاصطلاح بعدة تعريفات أذكر منها ما يلى :ــ

١ – « حث الناس على الخير والهدى والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ؛ ليفوزوا بسعادة العاجل والآجل »(١) .

٢ – « هى قيام العلماء المستنيرين فى الدين بتعليم الجمهور من العامة ما يبصرهم بأمور دينهم ودنياهم على قدر الطاقة »(٢) .

٣ – « إنقاذ الناس من شر واقع ، وتحذيرهم من أمر يخشى عليهم الوقوع فى بأسه »(٣) .

والمختار من هذه التعريفات هو الأول ؛ لأنه جامع شامل للدعوة بشقيها : الترغيب والترهيب،وموضح لآثار الدعوة فى الدنيا والآخرة .

أما التعريف الثانى فقد قصر الدعوة على العلماء فقط ، وأسقط من حسابه جماعة المسلمين من غير العلماء ، مع ملاحظة أن الدعوة إلى الله هى رسالة الأمة بأسرها كما سيأتى إن شاء الله .

والتعريف الثالث : اقتصر من الدعوة على جانب الترهيب فقط ، علما بأن دعوة الأنبياء جميعا تجمع بين التبشير والإنذار والترغيب والترهيب ، قال تعالى موضحا أسس دعوة محمد ﷺ :

« يأيها النبى إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا * وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا * وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا »(٤) .

---

(١) هداية المرشدين:الشيخ على محفوظ ص (١٨) .

(٢) الدعوة إلى الإسلام:د . أبوبكر ذكرى صـ (٨) .

(٣) الدعوة إلى الإصلاح:الشيخ محمد الخضر حسين ص (١٧) .

(٤) سورة الأحزاب:آية ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧

والدعوة إلى الله رسالة الأنبياء جميعا ، ولكن هذه الأمة شرفت دون سائر الأمم بحمل أمانة الدعوة إلى الله ، وقيادة البشرية إلى طريق الهدى والرشاد . قال تعالى :ـــ

« كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله »[1].

حكم تبليغ الدعوة :

الوجوب العينى على الأنبياء والعلماء الذين فقهوا دين الله ، والوجوب الكفائى بالنسبة لمجموع الأمة ، ومن أدلة الوجوب من القرآن الكريم ما يلى :ـــ

١ ـــ ما أمر به ﷺ فى قوله تعالى :

« يأيها المدثر * قم فأنذر * وربك فكبر »[2]

٢ ـــ قوله تعالى :

« يأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك »[3] .

٣ ـــ قال تعالى :

« فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين »[4] .

٤ ـــ وقال تعالى :

« وادع إلى ربك إنك لعلى هدى مستقيم »[5] .

وما أمر به أئمة الإسلام فى قوله تعالى :ـــ

٥ ـــ « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون »[6] .

وما ينبغى أن تكون عليه أمة الدعوة اقتداء بقوله تعالى :ـــ

٦ ـــ « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر »[7] .

---

(١) سورة آل عمران: آية ١١٠

(٢) سورة المدثر: آية (١ ، ٢ ، ٣)

(٣) سورة المائدة: آية ٦٧

(٤) سورة الحجر: آية ٩٤

(٥) سورة الحج: آية ٦٧

(٦) سورة آل عمران: آية ١٠٤

(٧) سورة التوبة: آية ٧١

أدلة الوجوب من السنة :

١ ـ عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :
« من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان »[١]

٢ ـ عن حذيفة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال :
« والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكرأو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم »[٢] .

٣ ـ عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ :
« بلغوا عنى ولو آية »[٣] .

٤ ـ ومن فوق جبل عرفات وقبل انتقاله ﷺ إلى الرفيق الأعلى بثلاثة وثمانين يوما قال قولته الآمرة الخالدة :
« ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب » .

٥ ـ وكان ﷺ يأخذ العهد على أصحابه بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فعن جابر بن عبد الله قال :
« بايعت النبى ﷺ على النصح لكل مسلم »[٤] .
« هذه بعض الأدلة من القرآن والسنة على وجوب تبليغ الدعوة إلى الله .

الإجماع على وجوب تبليغ الدعوة :

انعقد إجماع المسلمين على وجوب تبليغ الدعوة الإسلامية ، وهذا الإجماع ، انعقد خلال عصر الصحابة والتابعين ، ولا ينقض هذا الإجماع بتخاذل المسلمين فى هذا العصر عن الدعوة إلى الإسلام . غير أن العلماء قد اختلفوا فى نوعية هذا الوجوب . هل الدعوة إلى الله فرض عين على كل فرد من أفراد الأمة ؟ أم هى فرض كفاية يقوم به البعض دون الكل ؟

---

(١) رواه مسلم
(٢) رواه الترمذى بإسناد حسن
(٣) رواه البخارى
(٤) رواه مسلم جزء ٢ صـ ١٦

ومرجع هذا الاختلاف تفسير قول الله سبحانه وتعالى :
« ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » (١) .
فعلى القول بأن (من) بيانية يكون المعنى :-
ولتكونوا أيها المسلمون جميعا أمة داعية إلى الخير آمرة بالمعروف وناهية عن المنكر .
وهذا التفسير يتفق مع قوله تعالى :-
« كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » .
وعلى القول بأن (من) تبعيضية يكون المعنى :
ليكن بعضكم متخصصا فى الدعوة إلى الله ، ويكون هذا المعنى متناسقا مع قوله تعالى :
« فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون (٢) » .
وإننى أرجح الرأى القائل :
بأن (من) فى قوله تعالى :
﴿ **ولتكن منكم أمة** ﴾ بيانية ، وعلى هذا يكون تبليغ الدعوة هو رسالة الأمة جميعها .
وهذا الرأى وإن كان وجيها مختارا لدىّ ، غير أنه يرد عليه الاعتراض التالى :-
« إن مقومات الدعوة لا تتأتى من الناس جميعا ، ففيهم جاهلون لا يعرفون الأحكام ، ولا يعقل أن يدعو مسلم إلى الإسلام وهو لا يدرى شيئا عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

ويجاب على هذا الاعتراض بما يلى :-
١ - إن المعروف والمنكر تعرفه العقول والطباع السليمة ، ويدرك بالفطرة ، قال الله تعالى :-
« فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق

---

(١) آل عمران آية ١٠٤
(٢) سورة التوبة آية ١٢٢

الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون » (١) .

٢ ـ حينما سئل ﷺ عن البر أجاب بقوله :

« البر ما اطمأنت إليه النفس والإثم ما حاك فى صدرك » .

فلقد عهد ﷺ إلى الفطرة السليمة التعرف إلى الخير والشر .

٣ ـ « ولا يلزم لمعرفة هذا قراءة حاشية ابن عابدين على الدر ، ولا الفتح القدير ، ولا المبسوط ، وإنما المرشد مع سلامة الفطرة كتاب الله وسنة رسوله ﷺ المنقولة بالتواتر والعمل ، وهو مالا يسع أحداجهله ، فالذين منعوا عموم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، جوزوا أن يكون المسلم جاهلا لا يعرف الخير من الشر ، ولا يميز المعروف من المنكر ، وهو لا يجوز دينا » (٢) .

وأمة الدعوة مكلفة بأن تنتقى من يقود هذا العمل ، وينظمه ويشرف عليه ويتولى شرح دقائق الأمور كالفتاوى ورد الشبهات ، وهذا الذى ذهبت إليه هـو ما يراه الشيخ محمد رشيد رضا .

٤ ـ ويرد أيضا على من قال بأن الدعوة فرض كفاية بالآتى :

« إن الشرط للخروج من عهدة الفرض الكفائى حصول الكفاية بمن يقوم به ، ولما كانت الكفاية غير حاصلة ، فيجب أن يقوم بهذا الواجب كل مسلم حسب قدراته لاسيما فى هذا الزمن » (٢) .

وعلى هذا يتضح من خلال النصوص الدينية والأدلة الشرعية والعقلية ، وجوب تبليغ الدعوة إلى الله :

١ ـ هل الدعوة إلى الله رسالة أم حرفة يتكسب بها ؟

٢ ـ هل يجوز تعاطى الأجر مقابل الدعوة إلى الله ؟

مما لا ريب فيه أن الدعوة إلى الله رسالة هذه الأمة من أجلها خلقت وبها شرفت

---

(١) الروم آية ٣٠

(٢) تفسير المنار:الشيخ رشيد رضا جزء ٤ صـ٢٧

(٣) أصول الدعوة:د . عبدالكريم زيدان صـ٣٠٤

وبتبليغها تسنمت ذرا المجد ، وارتقت مراقى الكمال ، وهى تشريف وتكليف ، ووسيلة لنيل الأجر والثواب من الله لا من البشر . وإن فى رسل الله قدوة حسنة فما كانوا يريدون بدعوتهم إلى الله أجرا ، ولا يبتغون من ورائها جاها ، وفى ذلك يقول الله تعالى عن نوح عليه السلام :

﴿ ويا قوم لا أسألكم عليه مالا إن أجرى إلا على الله ﴾ (١)

وعن هود عليه السلام يقول الله تعالى :

﴿ يا قوم لا أسألكم عليه أجرا إن أجرى إلا على الذى فطرنى أفلا تعقلون ﴾ (٢) وعن اتباع المرسلين يقول الله تعالى :

﴿ يا قوم اتبعوا المرسلين * اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون ﴾ (٣) .

وأمر الله رسوله ﷺ بقوله تعالى :

﴿ قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى ﴾

ولقد ذكر القرآن الكريم أن الأنبياء والمرسلين كانوا جميعا ذوى حرف وأعمال يتكسبون بها ويعيشون عليها ، وينفقون منها على أعباء الدعوة . وهذا ما ذكره الرسول ﷺ :ـ

« ما أكل أحد طعاما قط خير من أن يأكل من عمل يده ، وإن نبى الله داود كان يأكل من عمل يده » (٤) وروى مسلم أن رسول الله ﷺ قال :

« كان زكريا عليه السلام نجارا »

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى أنه قال :ـ

« ما بعث الله نبيا إلا ورعى الغنم . قال الصحابة : وأنت ؟ فقال ﷺ : نعم كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة » (٥) .

---

(١) سورة هود:آية ٢٩

(٢) سورة هود:آية ٥١

(٣) سورة يس:آية ٢٠ ، ٢١

(٤) رواه البخارى ــ فتح البارى:جـ٥ صـ٣٠٢

(٥) المرجع السابق:جـ٥ صـ٣٤٨

وعلى هذا الدرب سار سلف الأمة وخلفها لا يطلبون أجرا ، ولا يستجدون ولا يتكسبون بالدعوة . قال الحسن البصرى :

« لايزال الرجل كريما على الناس حتى يطمع فى دينارهم ، فإذا فعل ذلك استخفوا به وكرهوا حديثه »

ولقد رفض الحارث بن محمد أن يأخذ الرزق الذى رتبه له عمر بن عبدالعزيز ليعلم الناس فى البادية وقال :

« ماكنت آخذ على علم علمنيه الله أجرا » (١) .

ولهذا كان ألم العلماء كبيرا عندما بلغهم أن المدرسة النظامية ببغداد أخذت تدفع رواتب للعلماء فقالوا :ـــ

« كان يشتغل بالعلم أرباب الهمم العلية والأنفس الذكية ، الذين يقصدون العلم لشرفه والكمال به ، فإذا صار عليه أجر تدانى إليه الأخساء ، فيكون ذلك لمهانته وضعفه » (٢) .

هذا ولقد اختلف الفقهاء فى حكم تعاطى الأجر على عمل الطاعات إلى فريقين :ـــ

الأول : يرى عدم جواز أخذ الأجر بل يحرم ذلك ، واستدلوا بقوله تعالى :

« إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون » (٣) .

قال الفخر الرازى :

احتجوا بهذه الآية على أنه لا يجوز أخذ الأجر على التعليم ؛ لأن الآية لما دلت على وجوب التعليم كان أخذ الأجر أخذا على اداء الواجب وأنه غير جائز » (٤) .

وذهب الأحناف إلى هذا الرأى أيضا فقالوا : الإجارة على الطاعات لاتجوز، ويحرم

---

(١) الحسن البصرى ـ رسالة دكتوراه د . مصلح بيومى صـ٣٠٢

(٢) تاريخ التربية الإسلامية د . أحمد شلبى

(٣) سورة البقرة آية ١٥٩

(٤) التفسير الكبير للفخر الرازى جزء ٤ ص ١٨٥

أخذ الأجر » ، واستدلوا بقول الرسول ﷺ : اقرءوا القرآن ولا تأكلوا به » .

وبقوله ﷺ لعمرو بن العاص : « وإن اتخذت مؤذنا فلا تأخذ على الأذان أجرا »[1] .

وقال الحنابلة :

« لا تصح الإجارة لأذان وإمامة وتعليم وفقه وحديث ، ولا يقع إلا قربة لفاعله ويحرم أخذ الأجرة عليه ، وجوزوا أخذ رزق من بيت المال ، أو من وقف على عمل يتعدى نفعه كقضاء وتعليم ، وليس بعوض بل رزق للإعانة على الطاعة ولا يخرجه عن كونه قربة ولا يقدح فى الإخلاص »[2] .

الفريق الثانى : يرى جواز أخذ هذا الأجر ، وهذا ما ذهب إليه المالكية والشافعيّة وابن حزم، قال ابن حزم :

« والإجارة جائزة على تعليم القرآن وعلى تعليم العلم مشاهرة وجملة » ، ويستدلون بقول الرسول ﷺ « إن أحق ما أخذتم عليه أجرا هو كتاب الله »[3] .

ولقد جاء فى فتح البارى ما يعضد هذا الرأى .

فنقل عن الشعبى :

« لا يشترط المعلم . إلا أن يعطى شيئا فيقبله »

وفى الجعديات حدثنا على بن الجعد عن شعبة ، قال : سألت معاوية مرة عن أجر المعلم فقال :

« أرى له أجرا » وسألت الحكم فقال : « ما سمعت فقيها ينفيه »[4] .

هذا ومع قوة الأدلة الشرعية من القرآن والسنة وأفعال الصحابة ، التى لا تجيز أخذ الأجر على الطاعات ومنها الدعوة إلى الله . فإننى أرجح الرأى القائل بجواز أخذ الأجر ، لاسيما فى هذا العصر الذى نضب فيه معين الخير ، وشحت فيه الأنفس

---

(١) فقه السنة للشيخ سيد سابق جـ٣ صـ١٠١

(٢) المرجع السابق جـ٣ صـ٢٠٢

(٣) فتح البارى جـ٥ صـ٣٦٠

(٤) فتح البارى جـ٥ صـ١٦١

واستشرى البخل والتقتير على الدعوة والدعاة ، وتكاد علوم الشرع تندثر والدعاة ينقرضون ، مع الأخذ بفتوى من يجيز أخذ الأجر ، فكيف لو أخذ بفتوى من لا يجيز أخذ الأجر ؟ إذن لن يوجد من يعلم أو يتعلم ، على أنه يجب على الداعى أن يكون وجهته ومقصده لله تعالى ، وأن يجعل من أجره وسيلة لغاية كريمة ، وهى نشر الإسلام ، وألا تكون الدعوة وسيلة إلى طلب المال ، وإن اليقظة الإسلامية المعاصرة من خلال الجمعيات الإسلامية ، قد عادت إلى سالف العهد فى فجر الإسلام ، حيث إن أعضاء تلك الجمعيات يأمرون بالمعروف حسبة لله تعالى .

ولقد شهدت الدعوة الإسلامية عبر تاريخها ضروبا من الدعوة وألوانا من الدعاة ، تضافروا جميعا على نشر الإسلام وحفظه ، والذود عنه ، إلى جانب ذاتية الإسلام التى تتوافق مع الفطرة :

﴿ **فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لايعلمون** [1] ﴾ ومن هذه الضروب ما يلى :

أولا : المحتسب

والمحتسب هو الشخص المعين من قبل الحاكم للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

والحسبة لغة كما جاء فى لسان العرب :

مصدر احتسابك الأجر على الله تقول : فعلته حسبة واحتسابا .

والاحتساب طلب الأجر . [2]

وهى فى الشرع كما عرفها الماوردى: « أمر بالمعروف إذا ظهر تركه ، ونهى عن المنكر إذا ظهر فعله »

وعرفها الإمام الغزالى : « كل منكر موجود فى الحال ظاهر للمحتسب بغير تجسس معلوم كونه منكرا بغير اجتهاد » [3] .

---

(١) سورة الروم آية ٣٠

(٢) الأحكام السلطانية للماوردى صـ٢٤٧

(٣) إحياء علوم الدين:جـ٧ صـ١٢٧٧

والمختار لدىّ تعريف الماوردى لشموله على الدعوة والترغيب والترهيب .

أما تعريف الإمام الغزالى ، فلقد قصر الحسبة على إنكار المنكر فقط .

والحسبة نظام عرف منذ فجر الإسلام ، فلقد ولى الرسول ﷺ[1] « سعيد ابن سعيد بن العاص بن أمية على سوق المدينة ، وولى عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه السائب بن يزيد ، مع عبد الله بن عقبة بن مسعود على سوق المدينة » .

والمحتسب يجمع بين الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ويخول له سلطة إيقاع العقوبة على العصاة . ولقد عدد أبو حامد الغزالى فى الإحياء درجات العقوبة وتدرجها :

« بالوعظ والنصح ، ثم بالتعنيف ، ثم التغيير باليد ، ثم التهديد بالضرب وتحقيقه ، ثم الاستظهار بالأعوان والجنود»[2] ولقد جاء فى كتاب الحسبة فى الإسلام [3] : «فعلى المحتسب أن يأمر العامة بالصلوات الخمس فى مواعيدها ويعاقب من لم يصل بالضرب والحبس . أما القتل فإلى غيره ، ويتعاهد الأئمة والمؤذنين ، فمن فرط منهم فيما يجب من حقوق الإمامة أو خرج عن الأذان المشروع ، ألزمه بذلك واستعان فيما يعجز عنه بوالى الحرب ، وكل مطاع يعين على ذلك ، والمحتسب يفرض له أجر نظير عمله من بيت المال » .

ولقد وضع الفقهاء فروقا بين المتطوع فى الدعوة إلى الله والمحتسب ، ومن هذه الفروق ما يلى :ـ

١ ـ الدعوة إلى الله فرض عين على المحتسب وفرض كفاية على غيره .

٢ ـ أن قيام المحتسب به من حقوق تصرفه التى لا يجوز أن يتشاغل عنها ، وقيام المتطوع به من نوافل عمله ، الذى يجوز أن يتشاغل عنه لغيره .

---

(١) نظام الحسبة فى الإسلام د . إسحاق الحسينى صـ٣١٢

(٢) الإحياء جـ ص ١٢٣٦

(٣) لابن تيمية صـ١٤

٣ ـ أن المحتسب منصوب للاستعداء فيما يجب إنكاره ، وليس المتطوع منصوبا للاستعداء .
٤ – على المحتسب أن يبحث عن المنكرات الظاهرة ؛ ليصل إلى إنكارها ، ويفحص عما ترك من المعروف الظاهر ؛ ليأمر بإقامته ، وليس على غيره من المتطوعة بحث ولا فحص .
٥ – للمحتسب أن يعذر فى المنكرات الظاهرة ولا يتجاوز الحدود ، وليس للمتطوع أن يعذر على منكر .
٦ ـ للمحتسب أن يرتزق على حسبته من بيت المال ، ولا يجوز للمتطوع أن يرتزق على إنكار منكر .(١)

ولقد شملت الحسبة جميع مظاهر الحياة الدينية والدنيوية ، وظلت تؤدى رسالتها فى مصر منذ أوائل الإسلام ، حتى عام (١٢٣٤ هـ ـ ١٨١٩ م) حينما ألغى التزامها ، وأصبح المحتسب موظفا تابعا لديوان الخديوى عام (١٢٥٣ هـ ـ ١٨٣٧ م) هذا ، وما أحوج الدعوة فى هذا العصر أن يعود إلى الداعى صفة المحتسب واختصاصاته التى عرفت منذ صدر الإسلام .(٢)

ثانيا : القصص :

وهو لون من الدعوة ظهر فى صدر الإسلام وصورته : « أن يجلس القاصُّ فى المسجد وحوله الناس فيذكرهم بالله ويقص عليهم أحاديث وقصصا عن الأمم الأخرى ، لاتعتمد على الصدق بقدر ما تعتمد على الترغيب والترهيب »(٣)

« وتميم الدارى أول من قص على الناس بأمر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وذكر ابن الأثير أن أول من قص من الصحابة

---

(١) الأحكام السلطانية للماوردى صـ٢٤١
(٢) نظام الحسبة فى الإسلام من أبحاث المؤتمر الأول لمجمع البحوث الإسلامية د . إسحاق الحسينى صـ٣١٢
(٣) فجر الإسلام ، الأستاذ أحمد أمين ص ١٥٩

وتصدر المجالس الجامعة للدعوة والإرشاد الأسود بن سريع »[1] ، ثم تطور أمر القصص والقصاص فى عهد الفتنة بين على كرم الله وجهه ومعاوية ابن أبى سفيان ، وأصبح فى كل قطر قاص يعرف به ، فارتفع شأن القصص والقصاص وأصبح عملا رسميا .

« فبدأ القصص بمصر عام (٣٨ هـ) وكان ثوبة الحضرمى وأبوإسماعيل ابن نعيم وأبورجب بن عاصم ، ممن عينوا قصاصا لجامع عمرو بن العاص ، وكان راتب الأخير عشرة دنانير فى الشهر »[2] .

غير أن هذا اللون من الدعوة سرت إليه الإسرائيليات والأحاديث المفتراة والقصص غير المعقول ، وكان مصدر هذه الأخبار (وهب بن منبه ، وكعب الأحبار) وهما من اليهود الذين دخلوا فى الإسلام .

ولهذا فطن الإمام على كرم الله وجهه إلى الخطورة المترتبة على هذا اللون من الدعوة فأخرجهم من المساجد ، واستثنى الحسن البصرى لتحريه الصدق .

ولقد ألف العلماء كتبا كثيرة للتحذير من هذا اللون من الدعوة ، ومن هذه الكتب :

« الباعث على الخلاص من حوادث القصاص » ، للحافظ زين الدين أبو الفضل العراقى »

وألف الإمام جلال الدين السيوطى المتوفى (٩١١ هـ) كتابا سماه :
« تحذير الخواص من أكاذيب القصاص »

وما زالت الدعوة الإسلامية فى العصر الحديث تعانى من الدعاة الذين ينهلون من هذا اللون من الدعوة ، مروجين للإسرائيليات المفتراة والقصص الغريب،ومع الأسف مازالت هناك كتب يجدد طبعها،تحمل بين صفحاتها كل ماهو غريب وشاذ ، كـ « بدائع الزهور فى وقائع الدهور » لابن إياس و« قصص الأنبياء » للعرائسى ، فضلا عن الأحاديث الضعيفة والآثار

---

(١) أسد الغابة فى معرفة أخبار الصحابة جـ١ صـ٨٥
(٢) وفيات الأعيان لابن خلكان جـ٢ صـ١٩٤

الموضوعة فى كثير من أمهات الكتب الإسلامية .

ثالثا : الدعاة المتطوعون

ماكاد الإسلام يلامس قلوب المسلمين حتى أيقن كل مسلم بمدى الأمانة الملقاة على عاتقه من تبليغ الدعوة،فانطلق يدعو إلى الله،وغدا المجتمع المسلم كله قوافل من الدعاة يبذلون المهج والأرواح فى نشر الإسلام ، وكان أمل المسلم الذى لا يعادله أمل وسعادته التى لا تعادلها سعادة ، حينما يأخذ بيد أخ أو صديق له من ظلمات الشرك إلى نور الإيمان ، ومما عمق هذا الشعور لدى جماعة المسلمين ما جاءت به آيات القرآن الكريم ، وما بشرت به السنة النبوية الشريفة ، من بيان فضل الدعاة وعظم أجرهم واستحقاقهم ثواب الله والجنة .

قال تعالى : « ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إننى من المسلمين »(١) .

عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ « من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجر من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا » .

وعن سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « لأن يهدى بك الله رجلا واحدا خير لك من حمر النعم »(٢) .

وإزاء هذه الأدلة الشرعية فضلا عما تميز به الإسلام من توافق مع الفطرة ، تتضافر جهود المسلمين جميعا نحو نشر الإسلام ، فبجانب ما ذكر من أمر المحتسبين والقصاص . فإنه يوجد ضرب من الدعاة ، كان لهم فضل كبير فى نشر الدعوة ، إنهم الدعاة المتطوعون ، ويمكن تصنيفهم إلى ثلاثة أصناف :ـــ

الأول : العلماء من الدعاة الذين لا يطلبون أجرا ولا يتكسبون بالدعوة ولا يتاجرون

---

(١) سورة فصلت آية ٣٣

(٢) رواه مسلم

بها ، وتاريخ الدعوة يحمل بين صفحاته أعلاما فتح الله بهم القلوب ، وسنعرض لهم ، إن شاء الله فى إيجاز عند التأريخ للدعوة والدعاة فى الإسلام .

ثانياً : قوافل التجار :

فلقد كانت قوافل التجار من المسلمين تهاجر فى الأرض تبتغى الرزق الحلال والتجارة الرابحة ، وفى أثناء ترويجهم لبضائعهم يدعون إلى الإسلام بالقدوة الحسنة والسلوك الطيب والتعامل الكريم .

وإن ما فتح بواسطة هؤلاء التجار أكثر مما فتح عنوة ، فهم وراء انتشار الإسلام فى الهند وأندونيسيا وجزر الملايو ، وهم الذين حملوا الإسلام إلى أفريقيا ، وكانت استمالتهم للقلوب ، وتأثيرهم فى النفوس بالأساليب الآتية :

أولا : الاختلاط والائتلاف القائمان على حسن المعاملة ، ومكارم الأخلاق ، والتسامح فى البيع والشراء ، بجانب السلوك الإسلامى خلال الحياة اليومية .

ثانيا : الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى حدود قول الله تعالى : ﴿ **ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن** ﴾[1] .

ثالثاً : إزالة الأوهام التى تسيطر على عقول الأمم من جراء انحراف العقيدة ، واتباع الهوى وفساد الأخلاق ، وبهذا انتشر الإسلام بين ربوع الدنيا بواسطة التجار لاسيما اليمنيين والحضارمة .

ثالثاً : الدعاة من المتصوفين

للتصوف دور لا ينكر وجهد لا يجحد فى نشر الإسلام ، ومهما اختلف فى شأن التصوف هل هو إسلامى النشأة ؟ أم وافد مع روافد الثقافات والفلسفات القديمة ؟ مما لا مجال له فى بحثى هذا ، فإن المتصوفة نشروا الإسلام بمنهجهم الخاص فى التربية وأسلوبهم المميز فى السلوك ، وحينما أذكر التصوف لا أعنى به ذلك الذى شاع فى عصر الفاطميين والمماليك ، وما جاء بعد ذلك بما يحمل من مظاهر الشعوذة والدجل ، والخروج للمواكب

---

(١) سورة النحل آية ١٢٥

والأعلام والشطحات والفلسفات ، وإنما أقصد التصوف الذي يضفي على النفس الصفاء وعلى القلب الإشراق ، وفي العقل اليقين . التصوف الذي يصفو به الإنسان من سيطرة الشهوة واتباع الهوى ، ويتسامى عن متاع الدنيا ويترفع عن سيء الأعمال والأقوال . وتاريخ التصوف حافل بالأعلام الذين كان لهم دور بارز في نشر الإسلام ومنهم :—

« الشيخ عبد القادر الجيلاني الذي عاش في القرنين الخامس والسادس الهجريين ، ولقد كان عالما بالأصول والفروع والحديث رواية ودراية وجلس للوعظ أربعين سنة » (١) .

وكذلك كان لأتباع أبي الحسن الشاذلي والمرسى أبي العباس أثر كبير في نشر الإسلام في أفريقيا ، كما لا ينكر فضل التيجانية والسنوسية في انتشار الإسلام في ساحل الذهب وغانا والصومال والسودان ونيجيريا وكثير من بلدان أفريقيا .

بهذا العرض الموجز تتضح ضروب الدعوة وأنواعها .

المبحث الأول

« التأريخ للدعوة حتى نشأة الجمعيات الإسلامية »

١ ـ الدعوة في صدر الإسلام .

كان ﷺ يدعو الناس إلى الله فرادى ومجتمعين ، يغشى أماكن تجمعاتهم ودور ندواتهم ، ويذهب إلى الأسواق ، ويعرض نفسه على القبائل الضاربة في الصحراء ، يقرأ عليهم القرآن ويجادلهم بالتي هي أحسن ، ويؤثر في قلوبهم بالموعظة الحسنة والقدوة الطيبة ، وكان ﷺ يوفد أصحابه لتبليغ ونشر الإسلام ، فيرسل مصعب بن عمير رضى الله عنه إلى يثرب ، ويوفد شهداء الرجيع وبئر معونة إلى مضارب القبائل العربية ، ويبعث علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ومعاذ بن جبل إلى اليمن ، ويكتب الرسائل إلى كسرى الفرس وقيصر الروم وعظيم القبط في مصر ونجاشي الحبشة ، حتى انتقل إلى الرفيق

---

(١) الدعوة إلى الإسلام للشيخ محمد أبي زهرة ص ١١٨ .

الأعلى بعد ما بلغ الرسالة وأدى الأمانة ، وحينما استقر الصحابة في الأمصار والأقطار لم يتجهوا إلى مااتجه إليه الغزاة والمستعمرون،من سلب للأموال وسبى للأنفس وسفك للدماء ، لكنهم – رضى الله عنهم – كانوا دعاة خير ورسل رحمة وجيوش هداية يقرءون على الناس القرآن الكريم،ويعرفون بالرسول ﷺ، ويذكرون مكارم أخلاقه وحسن شمائله ، إلى جانب ما تميزوا به من السلوك الطيب ، والخلق الرفيع ، وحسن المعاملة ، والوفاء للعهد ، والابتعاد عن الدنايا ، فتفتحت لهم القلوب ، واستراحت بفتوحاتهم النفوس . يقول مسروق وهو من التابعين : [1] « لقد جالست أصحاب محمد ﷺ فوجدتهم كالأخاذ[2]،فالأخاذ يروى العشرة والأخاذ يروى المائة والأخاذ لو نزل بأهل الأرض لأصدرهم » .

وكان لانتشار الصحابة فى الأمصار أثر كبير فى نشر الإسلام ، ووجدت مدارس تخرج فيها جيل من التابعين وتابعيهم ، ممن حافظوا على بيضة الإسلام واستمرار مسيرته حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

مدارس الصحابة :

١ – **مدرسة مكة** : ومن أئمتها معاذ بن جبل ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله ابن الزبير رضى الله عنهم جميعا .

٢ ـ **مدرسة المدينة** : ولقد اشتهر منها كثير من أعلام الصحابة ، كأبى بكر وعمر وعثمان وعلى وزيد بن ثابت وعبدالله بن عمر رضى الله عنهم .

وكانت هذه المدرسة ينبوعا للكثير من العلماء والفقهاء والدعاة .

٣ ـ **مدرسة الكوفة :**

نزل بالكوفة من أصحاب رسول الله ﷺ عدد كبير على رأسهم : على ابن أبى طالب وعبد الله بن مسعود ، وقد خلفوا أتباعا يعدون بالمئات .

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد جـ٣ ص١٠٤

(٢) الأخاذ ـ الغدير

٤ ـ **مدرسة البصرة :**

ومن أشهر دعاتها أبوموسى الأشعرى وأنس بن مالك ، وكان من هذه المدرسة الداعيان الإسلاميان : أبوالحسن البصرى وابن سيرين .

٥ ـ **مدرسة الشام :**

ومن أئمتها معاذ بن جبل وعبادة بن الصامت وأبوالدرداء .

٦ ـ **مدرسة مصر :**

ومن روادها عمرو بن العاص وابنه عبد الله ، وأعداد كثيرة من الصحابة قدموا لفتح مصر واستقروا بها .

وبهذا استطاع صحابة رسول الله ﷺ أن يحملوا أمانة الدعوة وشرف الرسالة .

الدعوة فى عصر بنى أمية :

استقر الحكم لبنى أمية عقب مبايعة الحسن بن على رضى الله عنهما لمعاوية فى الكوفة عام (٤١ هـ) ، بعد معارك سالت فيها الدماء الزكية من آل وصحابة رسول الله ﷺ ، والرعيل الأول من المسلمين ، وغدا الحكم فى الإسلام بعد الخلافة الراشدة القائمة على العدل والشورى ، والبعد عن الترف إلى ملك آل إلى أصحابه بقوة السيف وشدة المكر وسعة الدهاء ، وأصبحت الخلافة الأموية أقرب إلى الدولة السياسية منها إلى دولة الدعوة الإسلامية . وتحولت الدعوة عن مسارها المستقيم ، فانقلبت إلى فرق وأحزاب ، كالشيعة بجماعاتها المتعددة وآرائها المتطرفة ، والخوارج التى بلغت ما يقرب من عشرين جماعة ، كانوا غلاة فى عقيدتهم ، فران هذا الغلو على قلوبهم وحملهم على الشطط ، فكفروا غيرهم وشقوا عصا الطاعة على مخالفيهم وأعلنوا الحرب عليهم .

وبجانب هؤلاء ظهرت المعتزلة وأهل السنة من الأشاعرة واالماتريدية ، وإذا ما كنا نؤرخ لمسار الدعوة فإنه لابد أن يذكر أثر هذه الفرق فى اطراد حركة الدعوة وظهور كثير من الدعاة ، جمعوا بين فصاحة اللسان وروعة النطق وسحر البيان والصلابة فى الرأى ، وكانت كل جماعة تؤمن إيمانا عميقا برسالتها متحمسة أشد الحماس لدعوتها .

ولقد جرت هذه الفرق على الإسلام ويلات الخلاف ومصائب الشقاق ، وبعدما كانت الدعوة تسير إلى قلوب غير المسلمين انبرت هذه الفرق تجادل ويكيد بعضها لبعض ، واندس بينها كل من يحمل حقدا على الإسلام .

يقول الأستاد أحمد أمين : « والحق أن التشيع كان مأوى يلجأ إليه كل من أراد هدم الإسلام لعداوة أو حقد ، ومن كان يريد إدخال تعاليم آبائه من يهودية أو نصرانية أو زرادشتية ، هؤلاء ، وكانوا يتخذون حب أهل البيت شعارا يضعون وراءه كل ما شاءت أهواؤهم »(١) .

وإن كان هذا هو الاتجاه العام للدعوة فى عصر بنى أمية . فإن هذا العصر لم يخل من دعاة يرفعون للدين الحق أعلامه ، وهداة يدعون إليه ويدافعون عنه ، بعيدين عن تلك الجماعات المتنافرة ، والأحزاب المتصارعة وكان من دعاة العصر :

١ – الحسن البصرى .
٢ – محمد بن سيرين .
٣ – أبوإدريس الخولانى .
٤ – طاوس بن كيسان الجندى .
٥ – سعيد بن جبير . (٢)

هذا بجانب الفتوحات الإسلامية ، وانتشار الإسلام بواسطة التجار المسلمين .

الدعوة فى العصر العباسى :

قامت الدوله العباسية عام « ١٣٢ هـ » ، واستمرت حتى سقوط بغداد فى أيدى التتار عام (٦٥٦ هـ) ، ولقد قسم المؤرخون الدولة العباسية إلى مراحل ثلاث :ــ

العصر الأول : من (١٣٢ هـ إلى ٢٣٢ هـ) وكانت السلطة فى هذه الفترة فى أيدى الخلفاء الذين كانوا قوادا للجيوش ، وعلماء فى أمور الدين يهزون أعواد المنابر بخطبهم البليغة المؤثرة .

---

(١) فجر الإسلام:الأستاذ / أحمد أمين صـ٢٧٦
(٢) هداية المرشدين:للشيخ على محفوظ صـ٦٤

العصر الثانى : من (٢٣٢ هـ إلى عام ٥٩٠) وفى هذا العصر ضاعت السلطة السياسية من أيدى الخلفاء ، واستقرت فى أيدى الأتراك والبويهيين والسلاجقة ، وبقيت لهم السلطة الدينية .

العصر الثالث : من (٥٩٠ هـ إلى عام ٦٥٦ هـ) ، وخلال هذه الفترة ضعف الخلفاء العباسيون ، ولم يعد للخليفة العباسى سوى بغداد وما حولها (١) .

وكانت النهاية مؤلمة وحزينة بسقوط الخلافة تحت وطأة التتار. ولقد اتسمت الدعوة الإسلامية خلال الدولة العباسية بما يلى :ــ

١ – منازلة الفرق الإسلامية كل منها الأخرى فى مسائل:الاعتقاد، والجبر والاختيار ، والصلاح والأصلح ، وصفات الله والثواب والعقاب .

٢ ــ منازلة أهل الديانات الأخرى كالمجوس واليهود والنصارى .

٣ ــ اتجاه العلماء إلى الدراسات الإسلامية ، كالتفسير وتدوين الحديث وعلومه ، وظهور المذاهب الفقهية والمدارس النحوية ، وترجمة الفلسفات المعاصرة للغة العربية ، أما بالنسبة لأمر الدعوة من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فلم يلق العناية الرسمية من الخلفاء العباسيين ، لاسيما فى المرحلتين الثانية والثالثة اللتين شهدتا ضعف الخلفاء ، وانصرف العلماء إلى التأليف والتدوين ، وانصرفوا عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وتركوا أمر العامة للقصاص والمبتدعين ، مع مظاهر الترف ، مما أدى إلى الانفصام التام بين مثالية الإسلام وواقع المسلمين .

وكان الرد على هذا القصور ظهور فرقة المتطوعين ، للنكير على الفساق فى بغداد ، وكان لهذه الحركة زعيمان لكل منهما منهج فى الإصلاح وإزالة المنكر ، وهذان الزعيمان هما :ــ

خالد الدريوش : كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ولكن لا يثور على السلطان ، فهو يطلب الإصلاح ويتولاه فى حدود الطاعة للحكومة .

---

(١) الطبرى ج ١٠ ص ٢٤١

سهل بن سلامة الأنصارى : كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويعمل بالكتاب والسنة ، ومقاتلة من خالفه كائنا من كان سلطانا أو غيره .

يقول الطبرى : « إنه تبعهما خلق كثير ، وكان كل من أجاب سهلا عمل على باب داره برجا جص وآجر ، ونصب عليه السلاح والمصاحف ، وكان ذلك عام ٢٠١ ، ٢٠٢ هـ »(١) واشتد ساعد الخوارج وظهر الزنادقة .

مما سبق يتضح أن الدعوة سواء فى عهد بنى أمية ، أو الدولة العباسية انتشرت بسبب ذاتيه الإسلام ، وبالجهود الفردية من العلماء والتجار كما سبق فى ضروب الدعوة ، ولقد اشتهر من دعاة هذا العصر :

١ – أبوالعباس محمد الشهير بابن السماك .

٢ – سفيـــان الثـورى .

٣ – ابـن سمعون الواعظ البغدادى .(٢)

٤ – الإمـام أبوالفرج عبدالرحمن بن على الجوزى .

الأزهر الشريف والدعوة الإسلامية :

وإذا كنا بصدد ذكر روافد الدعوة الإسلامية والتأريخ لمسارها عبر التاريخ فإن التاريخ ليقف طويلا أمام الأزهر الذى حمل لواء الدعوة الإسلامية وكان ولا يزال حصنا للغة وقلعة للإسلام .

بناؤه : أنشأ جوهر الصقلى الأزهر عام (٣٥٩ هـ) ليكون مركزاً لنشر المذهب الشيعى الفاطمى ، وأطلق عليه اسم الأزهر نسبة إلى فاطمة الزهراء رضى الله عنها .(٣)

وقد نظمت الدعوة خلال العصر الفاطمى تنظيما دقيقا ، ولكن هذا التنظيم لم يوجه إلى نشر الإسلام ، بل وجه لنشر المذهب الشيعى ، ولقد استحدث

---

(١) الطبرى حـ١٠ صـ٢٤١

(٢) هداية المرشدين صـ٦٦

(٣) الأزهر صـ٢٦ من مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية .

الفاطميون منصب داعى الدعاة ، وكان يلى قاضى القضاة فى المنزلة ، ويساعده اثنا عشر نقيبا ، وله نواب ينوبون عنه فى البلاد ، ولقد أحدث الفاطميون الكثير من الأعياد والمناسبات التى لا أصل لها فى الإسلام ، وكانوا يعنون بها عناية خاصة ، وهكذا كان الأزهر فى بدء تاريخه مقصورا على الدعوة الفاطمية ، مستعينا على ذلك بشتى الوسائل ولو أدى إلى إحداث أشياء فى الإسلام ليست منه ، واستمر يؤدى رسالته المذهبية المحدودة ، حتى سقطت الخلافة الفاطمية عام (٥٦٧ هـ) (١) على يد صلاح الدين الأيوبى ، فأبطل المذهب الشيعى وناصر المذهب السنى ، وقد أدى ذلك إلى أن يهمل شأن الأزهر خلال الدولة الأيوبية ، وعطلت به صلاة الجمعة ما يقرب من مائة عام حتى أعيدت فى عهد الظاهر بيبرس إبان حكم المماليك .

ومن علماء هذا العصر :

أبو على الحسن بن الحسن الهيثم المتوفى عام (٤٣٠هـ) وعلى بن إبراهيم الحوفى المصرى . وأبو محمد القاسم الشاطبى ، الذى وفد على الأزهر عام (٥٧٢ هـ) وهو مؤلف الشاطبية فى علم القراءات .

الأزهر فى عهد المماليك :

عادت للأزهر مكانته وبلغ شأنا عظيما إبان عصر المماليك ، وأعيدت حلقات العلم ودروس الوعظ إليه . إذ إن الظروف فى هذه الفترة ألقت على مصر والأزهر حماية الإسلام ، فلقد اجتاحت جيوش التتار الممالك الإسلامية ، فهوت بغداد تحت وطأة ضربات التتار ، وفى نفس الوقت كان مسلمو الأندلس يتقهقرون أمام جحافل الفرنجة . ووقفت مصر بأزهرها تستقبل علماء المشرق والمغرب ، ونادى الدعاة بالجهاد فى سبيل الله ، فأوقف الزحف التترى المدمر فى (عين جالوت) ، وانتهت الإمارات الصليبية فى ديار الإسلام ،وصد زحف الفرنجة الذين حاولوا الاستيلاء على شمال أفريقيا بعد سقوط الأندلس ، ومن علماء هذا العصر ودعاته إلى الجهاد فى سبيل الله :

١ – ابن تيمية .

---

(١) الأزهر صـ٢٣٢ من مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية .

٢ – العز بن عبدالسلام .
٣ – أبو يحيى زكريا بن زكريا الأنصارى المولود عام (٨٢٣هـ) من علماء الأزهر .

الأزهر فى العهد العثمانى :

تدهور الأزهر إبان هذا العصر وذبلت رسالته ، وانطفأت جذوة الدعوة فى أروقته ، خاصة عندما أُخذ العلماء وذخائر الكتب إلى القسطنطينية .

ويصور كتاب الأزهر حالته إبان هذا العصر : « فلقد عاش الأزهر فى تدهور وهزال ، واستكان العلماء وظنوا ألا مطمح لهم فى الاجتهاد ، فأغلقوا أبوابه ورضوا بالتقليد ، وعكفوا على كتب لا روح فيها »(١) .

وبهذا خفت ضياء الدعوة وأصبحت الخطب المنبرية لا عاطفة فيها ، وتعتمد على السجع المتكلف وكتب الدواوين ، وقلما وجد خطيب يرتجل الخطبة ، وبالرغم من هذا فلقد ظل الأزهر فى هذا العصر يؤدى رسالته ، ويفد إليه طلاب العلم ورواد المعرفة وأقيمت حلقات لتدريس المذاهب الأربعة ، وقد أنشىء منصب شيخ الأزهر فى منتصف القرن التاسع الهجرى السابع عشر الميلادى ، وأسندت أول مشيخة للأزهر للشيخ محمد بن عبدالله الخروشى ، ومن علماء الأزهر خلال هذه الفترة :

– أحمد بن عمر بن أحمد أبو حامد الأزهرى الشهير بالدرْدير ولد عام (١١٢٧ هـ) .
– الشيخ عبدالله الشرقاوى شيخ الأزهر .
– المؤرخ الجليل الشيخ عبدالرحمن الجبرتى .

الأزهر وأسرة محمد على باشا :

قام الأزهر إبان الحملة الفرنسية على مصر عام (١٧٩٨م) بدور خطير ، فلقد قاد المقاومة الوطنية ، ومن فوق منبره علا صوت الجهاد والاستشهاد ، وفى الوقت

---

(١) الأزهر صـ٢٢٤ من مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية .

الذى توارى فيه ولاة مصر وأمراؤها عن مواجهة الغزو الفرنسى ، كان الأزهر بعلمائه يتصدى للاحتلال ، و ينظم صفوف المجاهدين مما أغاظ جنود الاحتلال فاقتحمت خيولهم الأزهر .

وكان لموقف العلماء أثر كبير فى رفعة شأنهم ومشاركتهم فى أمور البلاد،حتى إنهم عزلوا الوالى التركى خورشيد باشا ، وعينوا مكانه محمد على عام (١٨٠٥ م) .

ولقد نجح محمد على فى إبعاد العلماء عن المشاركة فى سياسة الأمة وتوجيه الأمور بها بوسيلتين :

الأولى: الاستيلاء على أوقاف الأزهر وفرض رواتب للعلماء والدعاة ، لا تكفى العيش الكريم ، وخلع عليهم كساوى تعطى لبعض من يدينون له بالولاء ، واستمر هذا التقتير على العلماء خلال العصور المتتالية .

الثانية : إيفاد البعوث إلى أوروبا لتوجيه الثقافة بعيدا عن الأزهر ، فانطوى الأزهر على نفسه وتدهورت حالته ، واقتصر على علوم اللغة والدين فقط ، حتى جاءت النهضة الإسلامية بموقظ الشرق السيد / جمال الدين الأفغانى والمصلح الدينى الإمام محمد عبده .

ومن آثارهما عودة الحياة العلمية والأدبية إلى الأزهر ، ومشاركته فى الكفاح الوطنى بدءا بالثورة العرابية وما تلاها من ثورات ، وامتدت يد الإصلاح إلى الأزهر خلال الحقب التالية ، وكان فجر هذا الإصلاح وثمرته الأولى القانون الذى صدر فى عهد الشيخ محمد المهدى العباسى عام (١٨٧٠ م) ، وانتهت سلسلة هذه القوانين بالقانون رقم (١٠٣ لسنة ١٩٦١) بشأن تطوير الأزهر[1] ، هذا ، ولقد أنشئ قسم الوعظ والإرشاد بالأزهر عام (١٩١٨) ، وكان علماؤه يتبعون وزارة الداخلية ثم ألحق بالأزهر عام (١٩٢٨) ، ومازال هذا القسم يؤدى رسالته،ثم أنشئت كلية أصول الدين ومن أقسامها تخصص الدعوة والإرشاد ، ولقد توسع فى هذا القسم حتى أنشىء خلال عهد المرحوم الدكتور عبدالحليم محمود شيخ الأزهر كليات للدعوة فى القاهرة ولها فروع فى الأقاليم .

---

(١) الأزهر فى اثنى عشر عاما صـ٧٨

أعلام الأزهر من العلماء والدعاة :

شهد تاريخ الدعوة الإسلامية منذ نشأة الأزهر عام (٣٥٩ هـ) نجوما زاهرة وأعلاما شامخة من أعلام الدعوة ، حفظوا بيضة الإسلام بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر .

وما من عصر من العصور إلا وبه عالم أزهرى ، يقود كفاحه أو يكفكف من طغيان حكامه ، أو يلوذ به من وقع عليه حيف أو جور ، وعالم الدعوة الإسلامية مازال يرهف السمع لعلماء دعوا الله صادقين ، أو عكفوا على ضروب العلم مؤلفين وباحثين .

وقد مضى نماذج منهم إبان العصر الفاطمى والمملوكى والتركى ، وخلال اليقظة الإسلامية المعاصرة سطعت فى سماء الدعوة أعلام شامخة منهم ، الشيخ محمد عبده ، والشيخ حسن الطويل ، والشيخ حسونة النواوى ، والشيخ عبدالمجيد سليم ، والشيخ محمد مصطفى المراغى ، والشيخ محمود شلتوت ، والشيخ الدكتور عبدالحليم محمود . وهذه الأعلام على سبيل المثال لا الحصر . وغيرهم مئات وآلاف سطروا تاريخ الإسلام بأنصع الصفحات ، وهذه القوافل من الدعاة من وعاظ الأزهر وأئمة المساجد ، وإخوانهم من أعلام الدعوة فى الأقطار الإسلامية .

والباحث يتساءل :

ما موقف الدعوة الإسلامية لو لم يكن الأزهر – لاقدر الله – موجودا ؟ لاشك أن الوضع سيكون مختلفا تماما لاسيما فى هذا العصر ، الذى طوقت فيه ديار الإسلام من الاستعمار والتبشير ، ودعاة العلمنة والتغريب ، ولله در أمير الشعراء أحمد شوقى حينما شدا بفضل الأزهر قائلا :ـــ

ظلمات لاترى فى جنحها	غير هذا الأزهر السمح الشهابا
زيدت الأخلاق فيه حائطا	فاحتمى فيه رواقا وقبابا
وترى الأعزال من أشياخه	صيروه بسلاح الحق غابا
قسما لولاه لم يبق بها	رجل يقرأ أو يدرى الكتابا
حفظ الدين مليا ومضى	ينقذ الدنيا فلم يملك ذهابا

المبحث الثاني

دراسة موجزة للحركات الإسلامية
التي مهدت لنشأة الجمعيات الإسلامية

رأيت في هذا في الجزء من مبحثى التمهيد أن أتعرض بإيجاز لليقظة الإسلامية التي مهدت بفكرها لنشأة الجمعيات الإسلامية ، فإن حركات التجديد الإسلامى كل منها تأخذ مما سبقتها وكل مصلح يبدأ من حيث انتهى سلفه[1] فإن من سنن التاريخ الإسلامي القدرة على الخروج من دائرة الضعف والتخلف بالتماس جوهر القيم الأساسية . وكلما ضعفت حياة هذا المجتمع الإسلامى وانحرفت ظهرت قوة شابة تحمل اللواء وكلما تحول منهج الفكر واضطرب ظهر مصلح مجدد ، يرده إلى الجادة ، وهكذا عاش تاريخ الإسلام بين التحدى ورد الفعل ، وإن البعث الإسلامى المعاصر لاسيما الجمعيات الإسلامية ، قد انبثقت من آثار كل من :

دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب بنجد ، والإمام محمد بن على بن إدريس السنوسى بليبيا ، والسيد جمال الدين الأفغانى والشيخ محمد عبده فى مصر ، هذا ولقد رأيت أن أذكر في شيء من الإيجاز فكر هؤلاء الأعلام وآثارهم فيمن خلفهم مستهدفا من هذا التمهيد أن أربط بين فكر الجمعيات الإسلامية والروافد التي نهلت من مبادئها مما سيتضح خلال العرض إن شاء الله .

أولا : الإمام محمد بن عبد الوهاب : (١١١٥ هـ - ١٢٠٦ هـ) - (١٧٠٣ - ١٧٨٧ م) .

---

(١) اليقظة الإسلامية أنور الجندى ص ١٤ .

ولد في بلدة العيينة شمال الرياض ، وحفظ القرآن الكريم ولم يتجاوز عمره عشر سنوات . ودرس الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل وتأثر بكتب ابن تيمية وابن القيم ، وكانت له رحلات كثيرة في طلب العلم ، فقصد مكة والمدينة والبصرة والشام ، وأثناء هذه الرحلات وقف على حالة المسلمين . ورأى أن التوحيد الذي هو جوهر الإسلام قد دخله كثير من شوائب الشرك ، فبالغ المسلمون في تقديس الأولياء وقصدوا أضرحتهم ، وقدموا لها النذور وتمسحوا بها معتقدين أنها تجلب خيرا أو تدفع شرًا . إلى جانب انتشار البدع والخرافات وقفل باب الاجتهاد والركون إلى تقليد المذاهب ، وكذلك الركود الاقتصادى وسوء الأوضاع المالية وذلك بسبب تحول التجارة إلى رأس الرجاء الصالح والفساد الاجتماعي بسبب إهمال الولاة الأتراك للبلاد الإسلامية . فعم الجهل واستشرت عوامل الفساد في الأمة الإسلامية .

فبدأ الشيخ دعوته في نجد واستقر في الدرعية عام (١١٥٨ هـ) . حيث ناصره أميرها محمد بن سعود الذي بايعه على الجهاد والنصرة ونشبت معارك بين أتباع الإمام وخصومه ، ودانت لهم نجد والرياض ، وحينما شعرت الخلافة العثمانية بالخطر المحدق بها من جراء هذه الحركة ، عهدت إلى واليها في مصر محمد علي باشا لإخمادها والقضاء عليها .

فأرسل جيوشه عام (١٢١٦ هـ) بقيادة نجليه إبراهيم باشا وطوسون باشا ونشبت الحرب بين الفريقين ، وقد انتهت بزوال ملك آل سعود بنجد والقضاء على الدولة الوهابية ، واستيلاء إبراهيم بن محمد علي باشا على الدرعية ، غير أنه قدر لهذه الحركة أن تستيقظ من جديد في نجد والحجاز ، على يد عبد العزيز آل سعود عام (١٣٤٣ هـ ـــ ١٩٢٥ م) (١) .

---

(١) أثر الدعوة الوهابية : الشيخ حامد الفقى ص ٢٠٣ .

الأسس التى قامت عليها دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب :

دعا الإمام محمد بن عبدالوهاب إلى المبادئ والأسس التالية :

١ – توحيد الله تعالى توحيدا خالصا لا تشوبه شوائب الشرك .

٢ – توضيح حقيقة التوسل وهو نوعان :

أ – توسل مطلوب ومرغوب فيه وهو التوسل بأسماء الله والأعمال الصالحة .

ب – التوسل المبتدع وهو التوسل بالذوات الصالحة .

٣ – منع شد الرحال إلا إلى المساجد الثلاثة .

٤ – حرمة البناء على القبور وكسوتها وإسراجها وإقامة المساجد عليها .

٥ – عدم تأويل الآيات المتشابهة لاسيما آيات الصفات وأنها على الحقيقة من غير تمثيل ولا تكييف .

٦ – إنكار البدع ومحدثات الأمور وإزالتها بالقوة .

وتعتبر هذه الآراء امتدادا لآراء ابن تيمية وابن القيم والمدرسة السلفية (١) .

آثار الدعوة الوهابية فى اليقظة الإسلامية :

على الرغم مما يؤخذ على هذه الدعوة من جوانب سلبية وتعرضها للنقد واختلاف المؤرخين عليها ، فإنها تركت آثارها على النهضة الإسلامية ، ومما يؤخذ على دعوة محمد بن عبدالوهاب ما نوجزه فيما يلى :

١ – توسعها فى أمر البدع حتى إنهم توهموا أمورا لا صلة لها بالعبادات بدعا .

٢ – غلوهم فى استئصال المخالفين ، واعتقادهم أن رأيهم هو الصواب ورأى مخالفيهم خطأ لا يقبل التصويب .

٣ – الحملات القاسية والعنيفة على التصوف وإنكار أن له صلة بالإسلام .

٤ – أن الدعوة الوهابية لم تقدم النموذج العملى للمجتمع المسلم ، ولم تتصد لمشاكل المسلمين الاقتصادية والاجتماعية وأعطت ظهرها للمخترعات العلمية الأوروبية .

---

(١) محمد بن عبدالوهاب عقيدته السلفية للعلامة أحمد بن حجر صـ٤٤

وعلى الرغم من هذه المآخذ والسلبيات ، إلا أنها ايقظت الأمة الإسلامية بعد رقاد طويل وجهل مطبق ، وتجاوزت حدود الجزيرة العربية إلى شتى بقاع العالم الإسلامى .

فانتشرت فى الهند على يد السيد أحمد الذى قدم من مكة حاجا عام (١٨٢٠ م) ، وحينما عاد إلى الهند دعا بدعوة ابن عبدالوهاب ، وأسس دولته فى إقليم البنجاب على أساس مبادئها ، ولكن هذه الدولة انتهت بوفاته عام (١٨٣٠ م) [١] .

وظهر الشوكانى فى اليمن ، والألوسى فى العراق ، والسنوسى فى ليبيا ، والمهدى فى السودان ، والسلفية بالمغرب ، وخير الدين التونسى فى تونس ، والقاسمى والبيطار فى الشام ، ثم جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده فى مصر ، وامتدت آثارهما إلى الشيخ رشيد رضا الذى عمل على نشر كتب ابن تيمية وابن القيم ، ورسائل محمد ابن عبدالوهاب فى مطبعة المنار .

وكذلك سار على نهجهما الشيخ محمد حامد الفقى الذى أنشأ جماعة أنصار السنة المحمدية ، التى سارت على خطا الدعوة الوهابية ، ومازالت تؤدى رسالتها منذ ما يقرب من نصف قرن ، كما سيتضح عند الكتابة عنها إن شاء الله تعالى .

ثالثا : الدعوة السنوسية – الإمام محمد بن على السنوسى : ١٢٠٢ هـ – ١٢٧٦ هـ ١٧٩٨ م – ١٨٥٩ م

مولده ونشأته : [٢]

ولد رحمه الله فى قرية مستغانم بالجزائر وتلقى تعليمه الأول بهاوحفظ القرآن صغيرا ، ثم توجه إلى جامع القرويين بمدينة فاس بالمغرب .. ويعتبر أحد ينابيع الثقافة الإسلامية فى شمال أفريقيا وهو قرين الأزهر فى مصر ، ظل فى جامع القرويين يتعلم ويُعَلِم ، ثم تولى مشيخة الجامع لمدة سبع سنوات ، ثم تابع مسيرة العلم فاتجه إلى تونس وليبيا واستقر به المقام فترة فى مصر ، والتقى بعلماء الأزهر فلم يلق منهم

(١) الشيخ محمد بن عبدالوهاب لابن حجر صـ٧٤

(٢) التاريخ الإسلامى د . أحمد شلبى صـ٤٤٦

قبولا ، فرحل إلى مكة فاليمن ثم عاد إلى مكة .

وخلال تطوافه فى العالم الإسلامى وقف على حالة المسلمين وما اعتراهم من وهن وضعف وتواكل ، وأثناء وجوده فى الحجاز وقف عن كثب على حقيقة الدعوة الوهابية ، وأبصر إيجابياتها وسلبياتها ، والدوافع التى جمعت ما بين الرجلين تكاد تكون متشابهة ، فكلاهما نشأ فى عصر ران عليه التقليد والضعف وسيطرة البدع مع إطباق الاستعمار على العالم الإسلامى ومحاولات الدول الأوروبية القضاء على الخلافة الإسلامية ، وتقسيم العالم الإسلامى إلى دويلات يسهل إخضاعها والسيطرة عليها ، فاحتلت الجزائر عام (١٨٣٠) ، وكلا الرجلين « السنوسى وابن عبدالوهاب » نهلا من منهل الإسلام الصافى القرآن والسنة ، وتتلمذ على كتب ابن تيمية وابن القيم .

غير أن بين الحركتين اختلافا فى المنهج والأسلوب يتضح هذا من خلال كتب الإمام السنوسى وأهم هذه الكتب :

١ - إيقاظ الوسنان .
٢ - بغية القاصد وخلاصة الراصد .
٣ - الطرائق الأربعين .

الأسس التى قامت عليها الدعوة السنوسية :

انفردت هذه الحركة بمنهجين كلاهما متمم للآخر :

الأول : المنهج النظرى ويعتمد على الأسس التالية :

١ - وجوب العودة لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وتقديمهما على رأى كل مجتهد .
٢ - فتح باب الاجتهاد ومحاربة التقليد ومن أقواله فى هذا :

« لايجب انحصار التقليد فى الأئمة الأربعة رضى الله عنهم؛لأنه لا واجب إلاّ ما أوجبه الله ورسوله ، ولم يوجب الله ورسوله على أحد من الناس أن يتمذهب بمذهب رجل من الأئمة فيقلده دون غيره ويقول :

« هذه بدعة قبيحة حدثت فى الأمة لم يقل بها أحد من أئمة الإسلام ،

فياللعجب ماتت مذاهب رسول الله ﷺ ومذاهب التابعين وتابعيهم وسائر الإسلام ، وبطلت جملة إلا مذاهب أربعة أنفس فقط من بين الأئمة والفقهاء ، وهل بذلك قال أحد من أئمة الإسلام أو دعا إليه ؟ » (١) .

٣ _ ليست هناك حدود تجزىء العالم الإسلامى ، والإصلاح ينبغى أن يكون شاملا النواحى الدينية والسياسية والاقتصادية .

٤ _ نشر الإسلام بين اللادينيين والوقوف فى مواجهة التبشير المسيحى فى قارة أفريقيا .

موقف السنوسية من التصوف :

لم يعلن الإمام محمد السنوسى إنكاره للتصوف ولم يشن الحرب عليه كالدعوة الوهابية . ولكنه سلك طريقا وسطا ، فأعطى للتصوف الحق قدره ودعا إليه وأنكر على أدعياء التصوف أحوالهم فيقول :

« الصوفية يزينون سلوكهم بمبادئ الشريعة لا يعيبهم إلا الجهلة بعلومهم أو المتعصبون عليهم ، ولايمنعنا ذلك من النظر إلى الصوفى كإنسان يخطىء ويصيب وأن السنة هى المرجع وهى الحاكمة بالخطأ والصواب لأنها حجة على الجميع ، وليس هناك لأحد حجة عليها » (٢) .

بهذا الموقف المعتدل استطاع الإمام السنوسى أن ينقى التصوف من الغلو والتواكل ، وأنكر شطحات المتصوفين فى أمور الغيب والحلول ووحدة الوجود .

المنهاج العملى للحركة السنوسية :

بجانب ما سبق من الأسس النظرية التى قامت عليها الدعوة السنوسية ، فإنها خطت لنفسها طريقا عمليا ، انفردت به وحدها وتميزت به عما سواها من الحركات الإسلامية ، هذا الطريق هو :

إنشاء الزوايا :

والزوايا صورة صغيرة للمجتمع المسلم ، فالزاوية الواحدة تتكون من :

١ _ مسجد صغير .

---

(١) السنوسية دين ودولة د . محمد فؤاد شاكر ص٣٠

(٢) موقف الإمام من التصوف :_ د . عبدالله ريده :مجلة الهدى الليبية،السنة الخامسة،عدد ٢أغسطس سنة ١٩٦٦ .

٢ – مدرسة لتحفيظ القرآن .

٣ – معهد دينى لتدريس العلوم الإسلامية .

٤ – مكتبة علمية .

٥ – بيوت الإخوان .

٦ – مكان لاستقبال الضيوف .

٧ – إنشاء المزارع وبعض المصانع ودار للعلاج .

اختيار الزوايا :

كان رحمه الله يختار المواقع الهامة كتقاطع الطرق ، وملتقى القوافل أو بالقرب من حدود الدول المجاورة .

تنظيم الزوايا :[١]

أ – يتولى أمر الزاوية والإشراف عليها « مقدم » يتولى أمورها ويفصل فى الخصومات والمنازعات ، وله وكيل يتولى جباية الأموال والإنفاق على الزاوية ، وينظر فى زراعة الأرض . ولكل زاوية شيخ يقيم الصلاة ويعلم الأولاد ويباشر عقود النكاح والصلاة على الجنائز ، إلى جانب ما انفردت به الزوايا من التدريب العسكرى على فنون القتال مما كان له أكبر الأثر فى الدفاع عن ليبيا ضد الاحتلال الإيطالى .

ب – شكل الإمام السنوسى مجلسا يسمى « مجلس الخواص » يتكون ممن بلغ درجة عالية من العلم والمعرفة ، وهذا المجلس يشرف على جميع الزوايا .

انتشار الزوايا :

أنشأ الإمام محمد بن على السنوسى الزاوية الأولى فى مكة عام (١٨٣٧ م) فى جبل أبى قبيس ، ثم أنشأ عدة زوايا بالقرب من الطائف والمدينة وينبع وجدة ، غير أن ما أثارته الدعوة الوهابية من خلافات وحروب حال دون نجاح هذه الزوايا ، فترك الحجاز وتوجه إلى مصر عام (١٨٤٠ م) ، ونزل بالأزهر إلا أنه وجد صدودا واعتراضا على أفكاره من علمائه ، فغادر مصر

---

(١) التاريخ الإسلامى د . أحمد شلبى صـ٤٢٨

إلى ليبيا عام (١٨٤٣ م) ، وأنشأ الزاوية البيضاء فى الجبل الأخضر فى عام (١٨٥٦ م) ، وأنشأ زاوية فى واحة الجغبوب لمكانها ولسيطرتها على طريق القوافل ، فجعلها مقرا لدعوته وأنشأ بها مدرسة دينية عمادها الرجال الذين رافقوا الإمام فى رحلاته ، وكان بها مكتبة دينية فيها ما يقرب من ثمانية آلاف مجلد ، ووجد بها حوالى ثلثمائة طالب أعدوا إعدادا خاصا لنشر الإسلام .

وفى عهد الإمام المهدى نجل الإمام محمد بن على السنوسى نقل مركز الدعوة من الجغبوب إلى الكفرة عام (١٨٩٥ م) ، ثم انتشرت الزوايا حتى أضبحت فى مطلع القرن العشرين مائة وستا وثلاثين زاوية موزعة على :

برقة – طرابلس – فزان – الجزيرة العربية – مصر [١] .

أثر الدعوة السنوسية على اليقظة الإسلامية المعاصرة :

١ – بينما نرى حركة الإمام محمد بن عبدالوهاب قد استنفدت طاقاتها فى مواجهة خصومها ، وهم مسلمون مهما اعترى إسلامهم من شوائب البدع والخرافات والأباطيل والترهات التى عاقت تقدمهم .

نرى الإمام السنوسى ينفرد بنشر الإسلام والتبشير به ، لاسيما فى قارة أفريقيا حيث كان التبشير المسيحى ينفث سمومه ويتسلل إلى قلب أفريقيا، ولقد كان للسنوسية فضل كبير فى مواجهة قوافل التبشير المسيحى ، فأرسلت أتباعها إلى مجاهل أفريقيا وكانت مراكز دعوتها محط قوافل الأفارقة ، يحسنون استقبالهم ويشرحون لهم الإسلام .

ومن وسائل الإمام فى نشر الإسلام :

١ – « أنه اشترى قافلة من العبيد كان تجار الرقيق خطفوهم ليعرضوا فى أسواق الرقيق ، ولكن الإمام أعتقهم جميعا وأكرمهم وعلمهم الإسلام ، ثم تركهم يعودون إلى قبائلهم مبشرين بالإسلام » [٢] .

---

(١) التاريخ الإسلامى د . أحمد شلبى صـ٤٣٠

(٢) التاريخ الإسلامى د . أحمد شلبى صـ٤٢٩

٢ – كان لما اتبعته السنوسية من تنظيم زواياها وتقسيمها إلى جماعات متعاونة ومتكاملة دينيا واجتماعيا واقتصاديا أثر كبير فى فكر الجمعيات الإسلامية فى مصر ، لاسيما جمعية الإخوان المسلمين ، يزكى ما ذكرته وجود ما يقرب من إحدى وعشرين زاوية فى مصر فى مطلع القرن العشرين ، وبعض هذه الزوايا بمحافظة البحيرة المتاخمة للصحراء الليبية ، تلك المحافظة التى نشأ بها المرحوم الإمام حسن البنا ، وهى أيضا موطن الإمام محمد عبده والعديد من علماء الأزهر الشريف .

ويتضح هذا الفكر فى جمعية الإخوان المسلمين من خلال نظام الأسر والشعب .

٣ – كان للأسلوب التربوى الذى انفردت به السنوسية أثر كبير لاسيما فى فكر الإمام محمد عبده ، الذى اتجه إلى التربية والتعليم حينما أخفق أستاذه السيد جمال الدين الأفغانى فى دعوته السياسية ، فلقد أشار عليه الإمام محمد عبده أن يهجر السياسة ، وأن ينتقيا عددا من الطلاب ويذهبا بهم إلى الصحراء ، يعلمانهم ويدربانهم على قيادة الأمة الإسلامية ، ويبدو هذا الاتجاه بسبب الاتصال بالسنوسية كما سيأتى عند الكلام عن الإمام محمد عبده .

٤ – كان لاتجاه السنوسية المعتدل نحو التصوف أثر كبير فى بعض الجمعيات الإسلامية ، التى لم تسقط التصوف من حسابها ، ولم تعلن العداء له ولكنها عملت على تنقيته من البدع والخرافات ، كجمعية الإخوان المسلمين وجمعية الشبان المسلمين فى باكورة نشأتها .

٥ – قامت السنوسية بدور بطولى فى مواجهة الاستعمار الإيطالى من خلال مقاومة الزوايا ، التى أبرزت العديد من المجاهدين كان على رأسهم المجاهد الإسلامى الكبير الشهيد عمر المختار ، وكان لهذا الجهاد الرائع أثر كبير فى إيقاظ الوعى الإسلامى ، ومحاربة الاستعمار فى أفريقيا فى وجه الغزو الفكرى والتبشير الصليبى .

وبهذا يتضح أثر الدعوة السنوسية فى حركة اليقظة الإسلامية المعاصرة ، وانفرادها بوضع المنهج العملى والتربوى للمجتمع المسلم .

ثالثا : السيد جمال الدين الأفغانى : (١٢٥٤ هـ - ١٣١٤ هـ) - (١٨٣٨ م - ١٨٩٧ م)

يكاد المؤرخون يجمعون على أن حركة التجديد الإسلامى المعاصر مدينة بالفضل إلى الكثير من توجيهات السيد جمال الدين الأفغانى ، حتى إنه لقب بموقظ الشرق .

وإن الباحث لتاريخ الجمعيات يرى آثاره واضحة فى تلك الجمعيات .

مولده وثقافته : [١]

ولد جمال الدين الأفغانى فى سعد أباد إحدى القرى التابعة لمدينة كابل فى أفغانستان ، ويتصل نسبه بالسيد الترمذى المحدث المشهور ، ويرتقى إلى سيدنا الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما .

تلقى تعليمه الأول فى مدينة كابل ، ثم تبحر فى العلوم الدينية والثقافية .

وتعلم اللغة العربية والأفغانية والفارسية ، واستكمل الغاية من دروسه وهو فى الثامنة عشرة من عمره .

رحلاته :

سافر إلى الهند ووقف على أحوال المسلمين بها ، وأقام فيها يدرس العلوم الحديثة ثم سافر إلى مكة عام (١٢٧٣ هـ) ، ثم رجع إلى أفغانستان وشارك فى سياسة الأمور بها ثم عاد إلى الهند . ثم مصر عام (١٢٨٦هـ)، ومكث بها أربعين يوما وغادرها إلى مكة وعاد إلى مصر مرة ثانية عام (١٢٨٨هـ) ، واستقر بها حتى عام (١٢٩٦هـ)، ثم رحل إلى الآستانة ثم بطرسبرج فى روسيا وباريس ، ثم عاد إلى استانبول حتى توفى عام (١٣١٤ هـ - ١٨٩٧ م) .

الأسس التى قامت عليها دعوة الأفغانى :

تكاد تكون حالة المسلمين من الضعف والتفرق وانتشار البدع واستبداد الحكومات هى السمة البارزة ، التى جمعت بين أعلام اليقظة الإسلامية وإن وجد اختلاف فى الوسائل والتطبيق ، ولقد كانت دعوة الأفغانى تقوم على المبادىء التالية :

١ - أن يكون قوام نهضة المسلمين القرآن الكريم .

---

(١) جمال الدين - عبد الرحمن الرافعى ص ١

يقول رحمه الله : « فالقرآن وحده الذى كان كافيا فى اجتذاب الأمم القديمة وهدايتها جدير أن يكون كافيا اليوم أيضا فى اجتذاب الأمم الحديثة وهدايتها . ياويلنا .. ياويلنا القصور منا والتبعة علينا انصرفنا عن الأخذ بروح القرآن والعمل بمضامينه إلى الاشتغال بألفاظه وإعرابه ، والوقوف عند بابه دون التخطى إلى محرابه [1] .

٢ ـ الدعوة إلى الثورة السياسية على جميع النظم الفاسدة فى المجتمعات الإسلامية ، فهى أسرع لتحقيق النتائج ، أما وسائل الإصلاح التدريجى فيرى أنها لا تفى بالغاية ، وكان يرى ببصيرته الخطر الداهم والمحدق بالإسلام ، قال الكاتب الأمريكى « لو تروباستواد » :

« كان جمال الدين أول مسلم أيقن خطر السيطرة الغربية المنتشرة فى الشرق الإسلامى وتمثل عواقبها فيما إذا طال عهدها،فهب يضحى بنفسه ويفنى حياته فى سبيل إيقاظ العالم الإسلامى،وليس هناك من قطر وطئت أرضه قدم جمال الدين إلا وكانت فيه ثورة فكرية لا تخبو نارها » [2] .

٣ ـ فتح باب الاجتهاد :

فلقد حمل على التقليد حملات قاسية ورد على من زعم أن باب الاجتهاد أغلق فقال : « ما معنى أن باب الاجتهاد مسدود ؟ وبأى نص سد باب الاجتهاد ؟ وأى إمام قال لا ينبغى لأحد من المسلمين بعدى أن يجتهد ليتفقه فى الدين ؟ ثم يستطرد قائلا : فمن كان عالما باللسان العربى وعاقلا وعارفا بسيرة السلف وما كان من طريق الإجماع جاز له النظر فى أحكام القرآن وتمعنها واستنباط الأحكام منها » [3] .

٤ ـ الوحدة الإسلامية :

عمل جمال الدين على توحيد كلمة المسلمين واتحاد صفوفهم وذلك من خلال جمعية العروة الوثقى التى كانت منتشرة فى جميع الأقطار الإسلامية

---

(١) جمال الدين:الشيخ أبوريه صـ٢١٤

(٢) جمال الدين:الشيخ أبوريه صـ١٦

(٣) جمال الدين:عبدالرحمن الرافعى صـ١٦٠

وكان أعضاؤها يختارون من كبار المسلمين ذوى الغيرة الدينية والحماس المتأجج ولها فروع فى جميع البلدان ويجتمع كل منها للبحث فى شئون المسلمين وكان من أعضائهاوالمؤسسين لها :الإمام الشيخ محمد عبده وعبدالله النديم . والأمير عبدالقادر الجزائرى وشكيب أرسلان ، فضلا عن العديد من رجالات العالم الإسلامى . ولتدعيم هذه الجمعية أنشئت مجلة العروة الوثقى فى باريس والتى صدر منها ثمانية عشر عددا عام(١٣٠١ هـ ـ١٨٨٤ م) والتى أقلقت مضاجع الإستعمار فى العالم الإسلامى وأفزعت الحكام المستبدين بشعوبهم فصودرت أعدادها ومنعت من معظم الأقطار الإسلامية بعد ثمانية عشر عددا .

ولقد وضع جمال الدين والشيخ محمد عبده قسما يقسم كل عضو عليه . ومن خلال هذا اليمين يتضح الأسس التى قامت عليها دعوة الرجلين رحمهما الله تعالى : وهذا هو نص القسم :

« أقسم بالله العالم بالكلى والجزئى والجلى والخفى القائم على كل نفس بما كسبت الآخذ لكل جارحة بما اجترحت لأحكمن كتاب الله تعالى فى أعمالى وأخلاقى بلا تأويل ولا تضليل ولأجيبن داعيه فيما دعا إليه ولا أتقاعد عن تلبيته فى أمر ولا فى نهى . ولأدعون لنصرته ولأقومن بها ما دمت حيا لا أفضل على الفوز بها مالا ولا ولدا .

أقسم بالله مالك روحى ومالى ، القابض على ناصيتى ، المتصرف بإحساسى ووجدانى ، الناصر لمن نصره ، والخاذل لمن خذله ، لأبذلن مافى وسعى لإحياء الأخوة الإسلامية ، ولأنزلنها منزلة الأبوة والبنوة الصحيحتين . ولأعرفنها كذلك لكل من ارتبط برابطة العروة الوثقى ، وانتظم فى عقد من عقودها ، ولأراعينها فى غيرهم من المسلمين ، إلا أن يصدر عن أحد مايضر بشوكة الإسلام ، فإنى أبذل جهدى فى إبطال عمله المضر بالدين ، آخذا على نفسى فى أثره مثل ماآخذ عليها فى المدافعة عن شخصى ، أقسم بهيبة الله وجبروته على ألا أقدم إلا ماقدمه الدين ولا أوخر إلا ما أخره الدين ، ولا أسعى قدما واحدة أتوهم فيها ضررا يعود على الدين جزئيا أو كليا ، وألا أخالف أهل العقد

الذين ارتبط معهم بهذا اليمين فى شىء يتفق رأى أكثرهم عليه ، وأسأل الله نجاح العمل وتقريب الأمل ، وتأييد القائم بأمره الناشر لواء دينه،آمين »[1]

من هذا القسم يتضح منهج العروة الوثقى فى جمع شمل المسلمين ، والتى كانت باكورة نشأة الجمعيات الإسلامية .

ولم يقتصر السيد جمال الدين على جمعية العروة الوثقى فقط ، بل أسس فى مكة « جمعية أم القرى » ، لتدعو إلى الرابطة الإسلامية .

٥ ـ الرد على مزاعم المستشرقين :

ظهر اهتمام علماء الغرب بالإسلام وعلومه منذ الحروب الصليبية ، وكان البعض من هؤلاء العلماء يتحرى الصدق وينطق بالحق ، والكثير حمله حقده الأسود وغله الدفين على نشر الأكاذيب وتزييف الحقائق وتشويه الإسلام .

هذا ولقد تصدى جمال الدين لافتراءات المستشرقين فرد على الفيلسوف الفرنسى رينان . وفند مفترياته ضد العرب والإسلام ، مما جعل هذا الفيلسوف يرجع عن آرائه ويوطد علاقته مع جمال الدين ، كذلك قام فى الهند بالرد على الدهريين فى رسالة نقلها إلى العربية الإمام الشيخ محمد عبده .

أثر جمال الدين على النهضة الإسلامية :

يعتبر جمال الدين موقظ الشرق وباعث نهضته،وما من قطر حل به إلا ترك فيه آثاره الواضحة .

وظهر أثره فى مصر لدى الشيخ محمد عبده ومدرسته السلفية ، وفى أندونيسيا فى حركة تجديد المنار ، وفى الجزائر فى جمعية علماء الجزائر لمؤسسها المرحوم عبد الحميد بن باديس المتوفى (١٩٤٠ م) ، وفى الهند فى جماعة أهل الحديث ، وفى ندوة علماء الهند لمؤسسها محمد شبل النعمانى المتوفى (١٩٤١ م)[2] ، غير أن آثاره فى مصر كانت متعددة الجوانب محققة لأهداف كثيرة ، وأثمرت نهضة

---

(١) تاريخ الأستاذ الإمام:للشيخ رشيد رضا جـ١ صـ٢٨٧

(٢) الفكر الإسلامى الحديث:د . محمد البهى صـ١٣٠

إسلامية مازالت تؤتى ثمارها حتى الآن ، ومن آثاره ما نوجزه فى التالى :

١ - دفع بالمصريين للثورة على كل مظاهر التخلف والوقوف فى وجه الحكام المستبدين ، مما مهد للثورة العرابية وماتلاها من ثورات ، كما أهاب بالعلماء أن ينبذوا التقليد ويفتحوا أبواب الاجتهاد . والوقوف على النهضة الأوروبية الحديثة ، والأخذ منها بما لا يتعارض مع الإسلام .

٢ - **الخطابة :**

كانت الخطابة فى عصره لا روح فيها ، فتلقى من ديوان مطبوع ، وتعتمد على السجع المتكلف،ولاتمس حاضر المسلمين ولا تتعدى منبر المسجد . فحينما قدم رحمه الله إلى مصر ، أيقظت خطبه البليغة المشاعر وحركت النفوس ، حتى إنه لقب بخطيب الشرق . ولم تقتصر على المساجد فقط ، بل تعداها إلى الأندية والمقاهى ، فكان له مجلس خاص فى قهوة البوستة بالأزبكية ، يلتقى فيها مع طلابه ومريديه مما كان له أثر فى الجمعيات الإسلامية ، لاسيما الإخوان المسلمون . فإن مرشدها العام الإمام حسن البنا بدأ دعوته من خلال التجمعات فى الأندية الرياضية والمقاهى ، كما سيتضح من خلال البحث إن شاء الله .

٣ - **الصحافة :**

أسس مدرسة صحفية تعمل على نهضة الإسلام ، وجعل منها منبرا يوقظ الهمم ويلهب المشاعر ، ويقلق مضاجع الاستعمار ، وجريدة العروة الوثقى التى صدرت فى باريس نموذج لأثره فى الصحافة .

هذا ولقد ترك مدرسة صحفية انتزعت الريادة والتوجيه من صحفيى الشام الذين وجهوا الصحافة فى مصر نحو العلمنة والتغريب والقومية كالأهرام والمقطم والجريدة .

ومن رواد هذه الصحافة (الشيخ محمد عبده وعبد الله النديم والشيخ على يوسف والشيخ عبدالعزيز البشرى ورشيد رضا ومحب الدين الخطيب) ، ثم تتابع هذا الأثر إلى المجلات الإسلامية الناطقة بلسان الجمعيات الإسلامية .

٤ – كان إنشاء جمعية العروة الوثقى وجمعية أم القرى وإنشاء الشيخ محمد عبده الجمعية الخيرية الإسلامية دافعا إلى إنشاء الجمعيات الإسلامية المعاصرة ، التى يرجع الفضل إليها فى اليقظة الإسلامية الحديثة .

الفرق بين الوهابية والسنوسية ودعوة الأفغانى :

تكاد تكون حالة المسلمين من الضعف والتفرق وانتشار البدع هى السمة البارزة التى جمعت بين الوهابيين والسنوسية وجمال الدين . فهدف الجميع واحد ، غير أن كل مصلح نهج منهجا يتلاءم مع ثقافته والبيئة التى نشأ فيها ، ومن هنا تبدو بعض الاختلافات بين كل من الحركات السالفة ، ودعوة جمال الدين نوجزها فيما يلى :

١ ــ الدعوة الوهابية والسنوسية اللتان انطلقتا من الصحراء كلتاهما دعوة دينية خالصة ، أما دعوة الأفغانى فهى سياسية بالمقام الأول دينية فى المقام الثانى . وهذا الاتجاه بسبب رحلات الأفغانى إلى بلاد الشرق وأوروبا ووقوفه على النهضة الحديثة .

٢ – بينما كانت الحركة الوهابية والسنوسية بعيدتين عن الاستعمار والاختلال والتبشير والغزو الفكرى كان الأفغانى معاصرا للاحتلال الانجليزى فى مصر والهند، معايشا للمشاكل الاقتصادية التى أودت باستقلال مصر ، ووقف على محاولات روسيا القيصرية لتقويض الخلافة العثمانية ، ومؤامرات أوروبا على العالم الإسلامى .

٣ ــ بينما وقفت الوهابية والسنوسية بمنأى عن التطور الصناعى والتقدم العلمى ونظرت إليهما نظرة الارتياب ــ ولهذا لم تصمدا حينما واجهتا الأسلحة الحديثة فى جيش محمد على والجيش الإيطالى ، ــ نجد جمال الدين الأفغانى يدعو إلى النهضة العلمية ومواكبه لغة العصر صناعيا وعلميا وعسكريا واقتصاديا .

رابعا : الإمام محمد عبده :

يعتبر الإمام محمد عبده رائدا من رواد النهضة الإسلامية الحديثة ، ومؤسس مدرسة من الرواد الذين أسهموا بجهد كبير فى حركة التجديد الإسلامى المعاصر .

ولست فى مقام التأريخ لحياته أو المقوم لأعماله ، وإنما أهدف إلى بيان أثره فى

نشأة الجمعيات الإسلامية والإصلاح الدينى والنهوض برسالة الأزهر .

مولده ونشأته :

ولد رحمه الله فى عام (١٢٦٦ هـ - ١٨٤٩ م) فى قرية محلة نصر مركز شبراخيت بحيرة ، وتلقى تعليمه الأولى فى القرية ، ثم انتقل إلى طنطا لتجويد القرآن ودراسة العلوم الشرعية ، غير أن عقم الدراسة وجفاء أسلوبها دفعاه للعودة إلى قريته فأصر والده على إرجاعه لطلب العلم ، وفي طريق العودة المكره عليها قيض الله له (رجلا) من أخوال ابيه يسمى بالشيخ درويش :

« صوفى على اتصال بالزاوية السنوسية ، فشرح الله به صدر الإمام وعادت إليه الرغبة فى التعليم » [١] ولم يطل به المقام فى طنطا فارتحل إلى الأزهر عام (١٨٦٦ م) ، فاصطدم بأسلوب الدراسة به ، ولكن الله أراد له الخير بلقائه بالسيد جمال الدين الأفغانى الذى قدم إلى مصر عام (١٢٨٨ هـ ١٨٧١ م) ، فلازمه وسرت فيه روح أستاذه ، فأيقظت فيه طاقات من الإشراق العلمى أثمرت فى جوانب عدة كالصحافة والتعليم والقضاء والفتوى والجمعيات الإسلامية و إصلاح الأزهر والمشاركة فى الثورة العرابية ، حتى غدا الإمام إمام عصره ومجدد قوته ، وما من رائد من رواد اليقظة الإسلامية إلا وقد تلقى عنه أو درس عليه أو تأثر بأفكاره .

آثار الإمام محمد عبده :

تنوعت أعمال الإمام وتعددت آثاره وكثرت أسفاره ، ومع كل عمل نيط به أو قطر حل فيه ، خلف وراءه آثارا جليلة وإصلاحات عظيمة ، فضلا عن التراث العلمى من المؤلفات القيمة . ومن آثاره رحمه الله ما يلى :

أولاً : تحرير الفكر من قيد التقليد ، وفهم الدين على طريقة سلف الأمة قبل ظهور الخلاف ، والرجوع فى كسب معارفه إلى ينابيعه الأولى [١] .

ثانيـــا : إصلاح التعليم :

حينما أخفق جمال الدين فى دعوته السياسية اتجه الإمام إلى التربية

---

(١) مذكرات الإمام ـ طاهر الطناحى ـ صـ١٩

والتعليم،ومما عمق هذا الاتجاه لديه الاحتلال الإنجليزى لمصر ، فلقد وجد رحمه الله أن حلقة الصراع مع الاحتلال ليست متكافئة ، فانسحب من ميدان السياسة إلى ميدان التربية ، وأخذ على أستاذه استغراق السياسة لحياته فقال :

« إن السيد جمال الدين كان صاحب اقتدار عجيب ، لو صرفه ووجهه إلى التعليم والتربية لأفاد الإسلام أكبر فائدة،وقد عرضت عليه حين كنا فى باريس أن نترك السياسة ونذهب إلى مكان بعيد عن مراقبة الحكومات ، نعلم ونربى من نختار من التلاميذ على مشربنا ، فلا تمضى عشر سنوات إلا ويكون عندنا من التلاميذ الذين يتبعوننا فى ترك أوطانهم والسير فى الأرض لنشر الإصلاح المطلوب » (١) .

وفى سبيل هذا الإصلاح وضع وهو فى المنفى ببيروت لائحتين لإصلاح التعليم وجه الأنظار فيهما إلى خطر مدارس التبشير فى العالم الإسلامى ، وحينما عاد إلى مصر وضع لائحة لإصلاح التعليم فى مصر ، غير أن اللورد كرومر اعترض عليها .

ثالثـــا : إصلاح الأزهر :

كان الأزهر إبان عصر الإمام يحتدم فيه الصراع والجدال بين دعاة الإصلاح والتجديد وجماعة الجمود والتقليد . ومع مطلع القرن الرابع عشر الهجرى كان جل علماء الأزهر يرتابون فى علوم العصر ، ويتوجسون منها خيفة، فصرح الشيخ عبدالرحمن النشرتى لإحدى الصحف عام (١٩٠٥ م) (٢) :

« وأما الخدمة التى قام بها الأزهر للدين ولا يزال يؤديها ، فهى حفظ الدين لاغير ، وما سوى ذلك من أمور الدنيا وعلوم العصر ، فلا علاقة له بالأزهر ولا ينبغى له » .

---

(١) تجديد الفكر الإسلامى:د . محمد عمارة صـ١٥٥

(٢) محمد عبده ـ العقاد صـ١٩٠

ولم يكن هذا اتجاه العلماء وحدهم ولكن كان رغبة الحكومة والقصر والاحتلال ، وهكذا بين هوى الحكام وجمود بعض العلماء حاول الشيخ محمد عبده إصلاح الأزهر ، ولقد أتيحت له الفرصة حينما عين عضوا بمجلس إدارة الأزهر عام (١٨٩٥ م) ، وقد أثمرت جهوده العديد من الإصلاحات ، غير أنها مالبثت أن تعثرت بسبب جمود بعض العلماء ومحاربة الحكام ، مما دفع الشيخ إلى تقديم استقالته من مجلس إدارة الأزهر عام (١٩٠٥ م) وقال قولته المأثورة : « إن بقاء الأزهر متداعيا على حاله فى هذا العصر محال فهو إما يعمر أو يتم خرابه » (١) .

رابعـــا : **تأسيس الجمعيات الدينية والخيرية :**

يعتبر الإمام محمد عبده رائدا فى تأسيس الجمعيات الدينية والخيرية ، فكما سبق أنه اشترك مع جمال الدين فى تأسيس جمعية العروة الوثقى بباريس ، وأثناء وجوده فى بيروت أسس جمعية « التأليف والتقريب » .

والهدف منها التقريب بين الأديان وقد دارت بينه وبين بعض رجال الدين المسيحى وبعض مفكرى العالم مجادلات ومراسلات ، فراسل بعض نبهائهم مثل جوستاف لوبون ، وهربرت سبنسر وتولستوى ، وكان المستشرق البريطانى إدوارد براون شديد الإعجاب به ، وقدم إلى مصر وحضر حلقات تفسير القرآن الكريم للإمام . وفى عام (١٨٨٢ م) أسس الجمعية الخيرية الإسلامية وإن كان يغلب عليها الطابع الاجتماعى ، إلا أنه كان لها مدارس خاصة يتربى فيها الطلاب على مبادىء الإسلام .

وفى عام (١٩٠٠) أنشأ جمعية إحياء العلوم والتى عنيت بإحياء التراث الإسلامى وإعادة طبعه ، وكانت هذه الجمعيات من أول ما عرفته مصر من هذا النوع من النشاط الدينى ، وما كاد يبزغ فجر القرن الرابع عشر الهجرى إلا وكانت

---

(٣) تجديد الفكر الإسلامى د . محمد عمارة صـ٤٦

مصر تزخر بالعديد من الجمعيات الإسلامية التى كان لها دور بارز فى اليقظة الإسلامية ، الحديثة ، كما سيتضح خلال أبواب الرسالة إن شاء الله .

التراث العلمى للإمام محمد عبده :

ترك-رحمه الله-مؤلفات علمية تدل على سعة علمه وصائب رأيه ، وتوضح منهجه فى التفكير ومشربه فى الإصلاح وجنوحه إلى الاجتهاد ، ومن هذه المؤلفات :

١ – تفسير القرآن الكريم من فاتحة الكتاب إلى آخر سورة النساء ، والذى سار على نهجه الشيخ رشيد رضا إلى أن وصل إلى سورة يوسف .

٢ – رسالة التوحيد .

٣ – رسالة العلم والمدنية بين الإسلام والنصرانية .

٤ – شرح نهج البلاغة .

٥ – شرح مقامات بديع الزمان .

ومع هذه المؤلفات القيمة فلقد ترك رجالا نابغين مرموقين،منهم من تلقى عنه ولازمه مثال : الشيخ رشيد رضا والشيخ حسونة النواوى والشيخ عبدالكريم سليمان ، ومنهم من حمل فكره ونهج منهجه فى الإصلاح الدينى مثال : الشيخ عبدالمجيد سليم والشيخ مصطفى عبدالرازق والشيخ محمد مصطفى المراغى والشيخ عبدالرحمن قراعة والشيخ محمد شلتوت ، وغيرهم كثيرون كان لهم دور بارز فى تجديد الفكر الإسلامى وتصحيح مساره ، وتنقيته من البدع والخرافات فضلا عن اتباعه فى مجالات السياسة والقضاء والفتوى والصحافة .

بهذا العرض الموجز لمبحثى التمهيد للرسالة يتضح مسار الدعوة الإسلامية عبر التاريخ وحتى نشأة الجمعيات الإسلامية ، كما يبرز دور الحركات الفكرية والدعوات الإصلاحية كالوهابية والسنوسية والأفغانية ، وإصلاحات الإمام محمد عبده . ولقد أثمرت هذه الأفكار مجتمعة اليقظة الإسلامية التى وقفت تصارع موجات التبشير والاستعمار ، وتعيد للإسلام سالف مجده،كما سيتضح خلال أبواب البحث إن شاء الله .

وبعد الفراغ من التمهيد السابق نبدأ بعون الله وتوفيقه فى « أبواب الرسالة وفصولها » .

البـــاب الأول

أسبـــاب نشأة الجمعيـــات الإسلامية

ويضم الفصول التالية

١ – الاستشراق والتبشير والاستعمار

٢ – إلغاء الخلافة الإسلامية

٣ – دعاة العلمنة والتغريب .

٤ – انتشار البدع والخرافات

٥ – الأزهر ونشأة الجمعيات الإسلامية .

الباب الأول
أسباب نشأة الجمعيات الإسلامية

إن ظاهرة بروز الجمعيات الإسلامية خلال القرن الرابع عشر الهجرى لم تكن أمرا عارضا عبر مسيرة الدعوة ، أو ظاهرة إسلامية طارئة ، أو انفصالا موقوتا ، جمع بين عدد من المسلمين ثم مالبث أن انطفأت جذوته ، ولم تكن وليدة فكرة عدد من الدعاة ارتبطت بهم فى حياتهم واندثرت بموتهم . بل كانت رد فعل لتلك الأنشطة المحمومة والمسمومة،لاقتلاع الإسلام من قلوب أتباعه ، فلقد تلفت رجالات الإسلام حولهم فإذا بالسهام تنتابهم من أعدائهم ، ومن بعض بنى جلدتهم الذين تربوا على موائد الاستشراق والتبشير والاستعمار ، ووصل التحدى للإسلام إلى غاية لايمكن السكوت عنها ، حيث خيل لأعدائه أنهم قد طوقوه وأجهزوا عليه . وإذا بالجمعيات الإسلامية تظهر خلال هذا القرن تحمل لواء الإسلام . هذا ولقد كانت هناك عوامل متعددة وأسباب كثيرة دفعت لقيام الجمعيات الإسلامية ، مما سأوضحه خلال الفصول التالية إن شاء الله .

الفصـــل الأول
الاستشــراق ـ التبشــير ـ الاستعمــار

إن الصراع بين الإسلام وأعدائه ليس وليد اليوم ولا الأمس القريب ، ولكنه أحقاد كامنة وثأر قديم وغل دفين ، فتاريخ الإسلام مثخن بالجراح الدامية من أعدائه ، ولولا أن الله تكفل بحفظه وتعهد ببقائه لأصبح أثرا بعد عين ، ولأسدلت عليه ستائر النسيان ، ولاعتراه ما اعترى الأديان الأخرى من التحريف والتبديل ، فمنذ أن تلقى الكفر الضربات الموجعة القاتلة فى بدر وأحد والخندق والقادسية واليرموك وحطين وعين جالوت والأندلس والقسطنطينية ، وأعداء الإسلام يتحينون الفرص للإجهاز عليه . ولقد اكتشفوا أنهم حينما يلجئون إلى ميدان القتال وساحات الوغى ، فإن المسلمين ينفرون إلى الجهاد يحركهم شوق جارف إلى ميدان النصر أو الشهادة ، وهم فى معاركهم ينطلقون من وحى دينهم مستجيبين لنداء الله :

﴿ انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ﴾ (١) .

وهكذا وجد أعداء الإسلام هجماتهم تنحسر، وحملاتهم الصليبية والتتارية تتحطم على صخرة الإسلام ، فلجئوا إلى أساليب ماكرة وطرق خبيثة للنيل من الإسلام وهدم كيانه داخل عقل المسلم ووجدانه ، وذلك بالاستشراق والتبشير والاستعمار ، وإن اختلفت هذه المسميات وتنوعت أعمالها ، فإنه يجمعها أمل واحد وغاية مشتركة

---

(١) سورة التوبة آية ٤١

عبر عنها مستر غلادستون رئيس وزراء إنجلترا فى مطلع القرن العشرين ، حينما قال :

« إن العقبة الكئود أمام استقرارنا فى الشرق شيئان ، ولابد من القضاء عليهما مهما كلفنا الأمر : (القرآن والكعبة) .

« والتبشير والاستشراق كلاهما دعامة الاستعمار في مصر والشرق الإسلامي فكلاهما دعوة إلى توهين القيم الإسلامية والغض من اللغة العربية الفصحى ، وتقطيع أواصر القربى بين الشعوب العربية ، وكذا بين الشعوب الإسلامية والازدراء بها فى المجالات الدولية » [1] .

الفرق بين الاستشراق والتبشير :

توجد فوارق بين الاستشراق والتبشير منها :

١ - أن الاستشراق أخذ طابع البحث العلمى فاستخدم الكتاب والمقال فى المجالات العلمية ، وتسلل إلى كرسى التدريس فى الجامعة .

٢ - أما التبشير فقد غزا العقول بالخدمات الاجتماعية ، كبناء الملاجئ والمستشفيات والإرساليات الطبية وكذلك رياض الأطفال .

هذا وإذا ما كنا بصدد ذكر دوافع قيام الجمعيات الإسلامية ، فإنه يجدر أن نُعَرِّف بكل من الاستشراق والتبشير والاستعمار باعتبارهم من أسباب نشأة الجمعيات .

أولا : المستشــرقـون :

عرف المفكر الألمانى المعاصر « رويدى بارت »الاستشراق فقال :

« كلمة الاستشراق مشتقة من الشرق ، وهى تعنى مشرق الشمس وعلى هذا يكون الاستشراق طلب معرفة علوم الشرق » [2] .

وعرف المستشرق فقال « إنه عالم غربي يهتم بالدراسات الشرقية » .

---

(١) الفكر الإسلامى وصلته بالاستعمار: د . البهى صـ٤٥٩

(٢) المستشرقون والتاريخ الإسلامى: د . على الخربوطلى صـ٦١

ويدور الجدل بين المؤرخين حول البداية الحقيقية للاستشراق ، وتوجد آراء كثيرة أرجح منها الرأى القائل بأنه بدأ منذ كان المسلمون بالأندلس أصحاب حضارة متألقة وأرباب رسالات سامية ، وكانت أوروبا تعيش في ليل بهيم من التأخر والتخلف ، يقول جوستاف لوبون :

« كان الشرق يتمتع بحضارة زاهرة بفضل العرب ، وأما الغرب فكان غارقا فى بحر من الهمجية ، ولم يكن عند أولئك البرابرة ما يفيد الشرق،ولم ينتفع الشرق منهم بشىء من الحقيقة » .

ومن ثم اتجهت أوروبا صوب ديار الإسلام ، لاسيما الأندلس التى كانت على مشارف أوروبا ، فأرسلت طلابها ليتزودوا من الحضارة الإسلامية المتألقة،ومن أوائل هذه البعثات :

« بعثة فرنسية برئاسة ابنة خالة لويس السادس ملك فرنسا ، وبعثة إنجليزية على رأسها ابنة الأمير جورج صاحب مقاطعة ويلز ، كما أرسل الملك فيليب ملك بافاريا إلى هشام الأول يستسمحه فى إيفاد هيئة لبلاد الأندلس ، لدراسة أنظمتها وشرائعها » (١) ويعتبر الاستشراق فى هذه الفترة استشراقا علميا ، واستكشافا لما لدى المسلمين من علوم ومعارف ، والوقوف على أسباب تقدمهم .

ثم تطور أمر الاستشراق خلال وبعد الحرب الصليبية ، فقد استعظمت أوروبا تقهقرها أمام جيوش المسلمين ، واندحار ملوكها ونبلائها وخزى رهبانها وباباواتها ، الذين سعروا نيران الحرب باسم الصليب ، فاتجه المستشرقون إلى حرب صليبية جديدة ، ولكنها تقنعت بقناع العلم ، واختفت تحت حجب المعرفة،قال الأب اليسوعى ميبز :

« إن الحرب الصليبية الهادئة التى بدأها مبشرونا فى القرن السابع عشر لاتزال مستمرة إلى يومنا هذا » (٢) .

---

(١) المستشرقون والإسلام - زكريا هاشم زكريا صـ٤٥

(٤) التبشير والاستعمار،عمر فروح صـ٣٧

أ - الحيلولة بين الشعوب الأوروبية والإسلام خاصة بعد الاتصال المباشر بالمسلمين خلال الحروب الصليبية وتأثر الحركات الإصلاحية فيها بالإسلام والمثال على ذلك جماعة فرسان المعبد التى حاصرت دمشق إبان الحملات الصليبية ومن المنطلق أن الضعيف يقلد الأقوى . والمستعمر يقتدى بالمستعمر ولكن الذى حدث من جماعة فرسان المعبد خلاف ذلك فلقد اعتنقت الإسلام فطردت من رحمة الكنيسة فغيرت اسمها إلى جماعة الصليب الوردي الذي كان مارتن لوثر أحد أعضائها هذا بجانب تأثر أوروبا بالإسلام من خلال الاتصال بالأندلس .

لهذا خشى رجال الدين فى أوروبا من تسرب الأفكار الإسلامية إليها يقول لورانس براون :

« إذا اتحد المسلمون فى إمبراطورية عربية أمكن أن يصبحوا لعنة على العالم وخطرا أما إذا ظلوا متفرقين فإنهم يصبحون لاوزن لهم ولا تأثير »(١)

ب ـ استهدف الاستشراق التمهيد لاحتلال البلاد الإسلامية وتحقيق حلم أوروبا بإقامة إمارات صليبية فى الشرق تستولى على بيت المقدس هذا الأمل الذى تبدد تحت أسنة المجاهدين فى الحروب الصليبية. يقول اليسوعيون :

« ألم نكن نحن ورثة الصليبيين ؟ أو لم نرجع تحت راية الصليب لنستأنف التسرب التبشيرى والتمدين المسيحى ولنعيد فى ظل العلم الفرنسى وباسم الكنيسة مملكة المسيح »(٢) .

---

(١) التبشير والاستعمار: عمر فروخ صـ٣٧

(٢) التبشير والاستعمار: عمر فروخ صـ١١٧

منهج الاستشراق لتحقيق أهدافه :

يذكر الأستاذ أنور الجندى خطورة الاستشراق فيقول :

« لعل أخطر آثار الاستشراق هى أنه يجرى من الفكر الإسلامى مجرى الدم،فليس هدفا ظاهرا محسوساً يمكن التحكم فيه،ولكنه شيء خطير يسرى فى النفس العربية والإسلامية عن طريق مخططات محكمة لاتكشف فى ظاهرها عن سرها وهدفها،إنه محاولة خطيرة لزرع اليأس والقنوط فى النفس العربية والإسلامية حتى لاتؤمن بذاتها ولاتثق بكيانها ولا تغار على ترابها أو لغتها أو عقيدتها » (١) .

ولقد سلك المستشرقون عدة طرق لتحقيق أهدافهم التى هى نفس أهداف التبشير والاحتلال،ومن هذه الوسائل مايلى :

١ – محاولات الهمز واللمز فى القرآن الكريم وترويج أن القرآن ليس من عند الله.

يقول جون تاكلى :

« يجب أن نستخدم القرآن وهو أمضى سلاح فى الإسلام ضد الإسلام نفسه لنقضى عليه تماما ، يجب أن نرى هؤلاء الناس أن الصحيح فى القرآن ليس جديدا والجديد فيه ليس صحيحا ، ومن ثم اتجهوا إلى ترجمة القرآن للغة اللاتينية ، حتى يسهل مناقشته وإثارة الجدل حوله .

« ففى عام (١١٢٢م) قام الراهب بطرس الفنرابلى،رئيس دير كوكونيا بفرنسا ، بالدعوة لترجمة القرآن،فقام بهذه الترجمة راهبان عام (١١٤٣م) وظلت هذه الترجمة مخطوطة فى عدة نسخ تتداولها الأديرة ، حتى طبعت فى مدينة (بال) بسويسرا عام (١٥٤٣م) (٢) .

٢ – عمدوا إلى شخصية الرسول ﷺ فروجوا حولها الأباطيل ، وأثاروا الشبهات

---

(١) اليقظة الإسلامية:أنور الجندى صـ٢٠٣

(٢) المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام·محمد محمد الصواف صـ٨٥

حول عدد من القضايا مثل : زواج الرسول ﷺ بأكثر من أربع ، وتعدد الزوجات فى الإسلام والطلاق والميراث والرق ، وفرية انتشار الإسلام بالسيف بل مضوا إلى أبعد من هذا ، فزعموا أن الإسلام شتات متجمع من النصرانية والوثنية .

قال مستشرق يدعى نلسن :

« إن الإسلام مقلد وأحسن ما فيه مأخوذ من النصرانية ، وسائر ما فيه من الوثنية » [١] .

٣ ـ الهجوم السافر على اللغة العربية الفصحى ، وإشاعة أنها لاتواكب علوم العصر ومخترعاته ، وكانوا وراء انتشار اللهجات المحلية وتشجيع العامية وتوجيه الاهتمام باللغات الأوروبية .

هذا ولقد ولع عدد من المصريين بآراء المستشرقين والمبشرين منهم دعاة العلمنة والتغريب ، وسيتناولهم البحث فى فصل خاص إن شاء الله .

٤ ـ وصف الخارجين على الإسلام من المسلمين بالثوريين وتصويرهم بأنهم طلاب عدل ودعاة إصلاح ، كالخوارج والقرامطة والباطنية ، ويبدو هذا واضحا من خلال اهتمامات المستشرقيين بنشر وتحقيق كتبهم وما يتصل بهم ، كذلك عنوا بنشر شعر الغزل والمجون ؛ قصدا من وراء ذلك لتشوية تاريخ الخلفاء المسلمين .

٥ ـ الطعن والتشويه للتاريخ الإسلامى وإبراز صورة العرب المسلمين بأنهم متعطشون للدماء ، وأنهم أخضعوا العالم بقوة السيف ويبدو هذا من خلال كتاباتهم ومؤلفاتهم مثال :جورجى زيدان ، ويعقوب صروف ، وجولد تسيهر وبهذا يتضح أن الاستشراق وراء كل شبهة،ومن الخطر الواضح أن الباحثين يعتبرون آراءهم ومؤلفاتهم مراجع يعتمد عليها ، وحقائق يؤخذ بها ، لاسيما فى الجامعات الأوروبية التى بها أقسام للدراسات الشرقية والإسلامية .

---

(١) التبشير والاستعمار فروخ صـ٣٧

هذا وإذا كانت السمة الغالبة بالمستشرقين يغلب عليها الحقد الأسود والغل الدفين ، فإن فئة قليلة منهم تحرت الحق فى كتاباتها ، ولم تغمس أقلامها فى مستنقع التعصب ضد الإسلام ، بل كتبت عن الإسلام كتابة حقة ومنصفة ، واعتنق عدد ليس بالقليل منهم الإسلام .

ولقد صنف الدكتور محمد البهى فى بحثه عن الإسلام والمستشرقين اتجاهاتهم وعرف الخطير منهم . وحذر من مؤلفاتهم ، كما أوضح من اعتدل فى رأيه واعتنق الإسلام مما لا مجال له فى بحثى هذا .

ثانيا : المبشــرون :

إن الفصل بين الاستشراق والتبشير أمر عسير ، لأن كثيرا من المستشرقين انتقلوا إلى ميدان التبشير ، كما أن بعض المبشرين كانوا مستشرقين ، غير أنه يجمعهم هدف واحد: « القضاء على الإسلام والتمكين لبنى جلدتهم فى ديار المسلمين » .

ولقد كان التبشير خلال القرن التاسع عشرمقصوراً على الدعوة إلى المسيحية ، أما فى القرن العشرين فلقد اجتمع كل الأعداء للإجهاز على الإسلام فى غزوة تبشيرية شرسة ، تدير رحاها المسيحية واليهودية والشيوعية . ولكى نقف على حقيقة التبشير وعملائه ، يجدر بنا أن نلقى نظرة موجزة على تاريخه لكى تتضح عوامل قيام الجمعيات الإسلامية .

تاريخ التبشير :

إن تاريخ التبشير يرجع إلى الحروب الصليبية . ففى القرن الثالث عشر الميلادى غادر راهب اسمه «سان فرنسكو» وطنه ورحل إلى الشرق مبشرا بالمسيحية ، فى معسكر الملك الكامل بمدينة دمياط ثم أرسل البابا بيوس الثانى عقب سقوط القسطنطينية عام (١٤٥٣ م) رسالة إلى السلطان العثمانى ، يدعوه فيها إلى اعتناق المسيحية[١] . وأما بالنسبة لتاريخ التبشير فى مصر ، فيرجع إلى عام (١٨٥٤ م) ،

---

(١) المخططات الاستعمارية: الصواف ص٩٣

حيث أسس أول معهد للتبشير أسسته جمعية اتحاد مبشرى أمريكا . ولقد تمكن التبشير فى مصر إبان حكم الخديو إسماعيل ، الذى أعلن أن مصر قطعة من أوروبا وأقام المحاكم المختلطة ، والمحاكم الأهلية محل القضاء الإسلامى ، ومنح الدول الأوروبية امتيازات كبيرة أودت باستقلال مصر .

كذلك منح إرساليات التبشير امتيازات كثيرة وأغدق عليها الأموال الضخمة . « فلقد أعطى لرئيس أساقفه اللاتين (٣٥٠٠) ذراع من الأرض لبناء مؤسسة تبشيرية كما أعطى الراهبات إعانة سنوية تقدر بستة آلاف فرنك من الذهب « فى الوقت نفسه كان راتب العالم الأزهرى لا يتجاوز مائة وخمسين قرشا فى الشهر ، وفى عام (١٨٨٢ م) أسس فى مصر معهد علمى ، تابع لجمعية تبشير الكنيسة ، وله أربعة أقسام [١] .

الأول : الطـــبى .

الثانى : مدرســة للصبيـان .

الثالث : مدرسة للبنات .

الرابع : لنشر الإنجيل .

وفى عام (١٨٩٢) أنشأت جمعية تبشير شمال افريقيا معهدا لها فى مصر ، ومن أعمال هذا المعهد فتح المدارس ، وأن تزور المبشرات منازل المسلمين و يجتمعن بنسائهم ، ولقد نجح هذا المعهد فى تنصير خمسة أفراد .

وفى عام (١٨٩٢ م) أسست الجمعية العامة للتبشير فى مصر وغايتها تنصير المسلمين [٢] ، ولقد أنشأت عدة مراكز للاستشراق والتبشير فى مصر ومن هذه المراكز :

١ ــ المعهد الشرقى .

٢ ــ ندوة الكتاب .

٣ ــ دار السلام .

---

(١) اليقظة الإسلامية/أنور الجندى صـ١٦٣

(٢) الغارة على العالم الإسلامى، محب الدين الخطيب صـ٣٣

٤ – المعهد الفرنسي .

٥ – الجامعة الأمريكية والتى أسست عام (١٩١٩) .

وأنشئت فى الستينيات جمعية الصداقة المصرية الروسية ومجلس السلام العالمى ، « بجانب أندية الروتارى الدولى ، والتى هى بديل للمحافل الماسونية ، فضلا عما تقوم به السفارات والقنصليات من أنشطة ضخمة لتحقيق أهدافها » .

« وللفاتيكان عشرات المدارس الدينية فى مصر ، لها أسماء مختلفة بأسماء عدد من القديسين ، أو أسماء دينية مسيحية كالسكرتير والمردية ، والفرير والجزويت ، والتوجيه فيها يخضع لمجلس يرأسه القاصد الرسولى فى مصر ، وهو ممثل دولة الفاتيكان » (١) .

ولقد عقد عدد من المؤتمرات التبشيرية ؛ لرسم سياسة التنصير فى العالم الإسلامى ومن هذه المؤتمرات :

مؤتمر القاهرة عام (١٩٠٦ م) .

مؤتمر ادنبرج عام (١٩١٠ م) .

مؤتمر بتليور بأمريكا عام (١٩٤٢ م) .

مؤتمر امستردام عام (١٩٤٨ م) .

وإيفانستين عام (١٩٥٤ م) .

ونيودلهى عام (١٩٦١ م) .

جاكرتا عام (١٩٧٥ م) .

وإن أخطر هذه المؤتمرات مؤتمر القاهرة ، الذى عقد فى منزل الزعيم أحمد عرابى عام (١٩٠٦) ، وسأتناول إن شاء الله هذا المؤتمر وتوصياته ، لأنه المنطلق الذى انطلق منه المبشرون لتحقيق أهدافهم فى ديارالإسلام ، ومازالت قراراته وتوصياته تنفذ حتى الآن ، وإن اختلف أسلوب التنفيذ وفق تطورات الزمن .

أولا : عقد هذا المؤتمر فى منزل عرابى ، وفى عقده فى هذا المنزل بالذات تحد

---

(١) الفكر الإسلامى الحديث د . محمد البهى صـ١٠٩

لمشاعرالأمة المصرية الإسلامية ، واشترك فى هذا المؤتمر مندوبو إرساليات التبشير الأمريكية فى الهند وسوريا والبلاد العثمانية ، وفارس ومصر ومندوبو إرساليات التبشير الإنجليزية والألمانية والهولندية ، والسويدية ، والدنماركية وانتخب القس زويمر رئيسا للمؤتمر (١) .

موقف المؤتمر من الأزهر ومدرسة الإمام محمد عبده :

مما لاجدال فيه أن الأزهر من خلال تاريخه العريق ، يقف شامخا يدافع عن الدين فى عزة وإباء ، ولطالما حاول الاستعمار أن ينال من علمائه،طورا بالملاينة وطورا بالعنف والقسوة،غير أن هذه المحاولات كانت تتحطم على عتبات الأزهر .

ولقد حاول المبشرون خلال هذا المؤتمر أن يجدوا منفذا إلى قلب هذا الحصن المنيع ، غير أنهم لم يجدوا لذلك من سبيل سوى الكيد والتآمر ، فيتحدث أحد أعضاء هذا المؤتمر عن الأزهر ورجاله ، وتساءل عن سر نفوذ هذا الجامع منذ ألف سنة إلى الآن فقال :

« إن السنيين من المسلمين رسخ فى أذهانهم أن تعليم العربية فى الجامع الأزهر متقن ومتين أكثر من غيره ، والمتخرجون من الأزهر معروفون بسعة الاطلاع على علوم الدين ، وباب التعليم مفتوح فى الأزهر لكل مشايخ الدنيا ، وأن أوقاف الأزهر الكثيرة تساعد على التعليم مجانا ».

ولقد عرض هذا المؤتمر اقتراحا بإنشاء جامعة نصرانية تقوم الكنيسة ببنائها، وتكون مشتركة بين كل الكنائس المسيحية فى الدنيا على اختلاف مذاهبها ، لتتمكن من مزاحمة الأزهر بسهولة ، وتتكفل هذه المدرسة الجامعة بإتقان وتعليم اللغة القبطية » (٢) .

ولقد كانت الجامعة الأمريكية والتى أسست عام (١٩١٩ م) أولى بوادر تحقيق آمالهم،ومازال الأمل فى إنشاء جامعة نصرانية يراود النفوس ، ويعمل له فى هدوء

---

(١) الدكتور القس زويمر من أعلام التبشير وكان يلقب الرسول المختار إلى العالم الإسلامى مات عام (١٩٥٢م) عن خمسة وثمانين عاما الصواف · المخططات الاستعمارية فى العالم الإسلامى ص ٥٧

(٢) الغارة على العالم الإسلامى.محب الدين الخطيب صـ٢٣ ، ٢٤

وحذر ، ولقد انزعج أعضاء المؤتمر من النشاط الديني بين أوساط المثقفين من تلامذة الإمام محمد عبده فقال سكرتير المؤتمر :

« إن الخطة العدائية التى انتهجها الشبان المسلمون المتعلمون اضطرت المبشرين فى القطر المصرى إلى محاولة إعادة ثقة الشبان المسلمين بهم ، فصار هؤلاء المبشرون يلقون محاضراتهم فى موضوعات اجتماعية وخلقية وتاريخية لا يستطردون فيها إلى مباحث الدين ، رغبة فى جلب قلوب المسلمين ، وأنشئوا مجلة أسبوعية اسمها « الشرق » وأسسوا مكتبة لبيع الكتب التى تضم سمومهم بأثمان زهيدة ، هذا ولقد وضع المؤتمرون وسائل لتحقيق أهدافهم ومن هذه الوسائل مايلى :

١ ـ يجب ألا يثار نزاع مع مسلم .
٢ ـ يجب ألا يحرض المسلم على الموافقة والتسليم بمبادئ النصرانية إلا عرضا ، وبعد أن يشعر المبشر بأن الشروط الطبيعية والفعلية والروحية قد توفرت فى ذلك المسلم .
٣ ـ يجب إقناع المسلمين بأن المبشرين ليسوا أعداءهم .
٤ ـ نشر الكتاب المقدس بلغة المسلمين .
٥ ـ تبشير المسلمين ينبغى أن يكون بواسطة رسول من أنفسهم ، ومن بين صفوفهم لأن الشجرة ينبغى أن يقطعها أحد أعضائها .
٦ ـ ينبغى للمبشرين ألا يقنطوا إذا رأوا نتيجة ضعيفة لتبشيرهم المتواصل للمسلمين، إذ من المحقق أن يكون قد نما فى قلوبهم الميل إلى علوم الأوروبيين » (١) .

وبجانب هذه الوسائل آنفة الذكر التى وضعها مؤتمر القاهرة عام (١٩٠٦) فلقد انتهج المبشرون عدة قواعد لتحقيق غاياتهم ومنها مايلى :

أولا : التسلل إلى المراكز العلمية والعربية والإسلامية،فالمجمع اللغوى فى مصر من أعضائه « جب » ، وهو أكبر مستشرق إنجليزى وله كتابات خطيرة ضد الإسلام ، « ولويس ماسينيون » من كبار مستشرقى ومبشرى فرنسا ، وكان

---

(١) الغارة على العالم الإسلامى صـ٣٢

يرعى الجمعيات التبشيرية الفرنسية فى مصر . ومرجيليوث وهو إنجليزى متعصب ضد الإسلام ، ونيكلسون من أكبر مستشرقى الإنجليز المتهجمين على الإسلام [١] .

ثانيا : استمالة كبار المفكرين تحت أسماء براقة كالحوار الإسلامى المسيحى ، ولقد بلغ عدد مراكز الحوار مع المسلمين فى مصر **ثلاثة مراكز** :

الأول : معهد الدومينكان للدراسات الشرقية تحت إشراف القس **قنواتى** ، الذى يلتقى عنده الأساتذة والطلبة الجامعيون .

الثانى : المركز الثقافى ويعرف باسم مؤتمر الثلاثاء،أسسه لويس ماسينيون ومارى كارهل عام (١٩٤٠م) .

الثالث : رابطة أسست عام (١٩٤١م) وجمعت بين المسلمين والنصارى تحت اسم «الأخوة المخلصون» وقيد نشاطها عام (١٩٥٢م) ، ثم عادت لتنعقد لقاءاتها عام (١٩٧٥م) [٢]

ثم محاولة إنشاء مجمع الأديان فى سيناء فضلا عن المؤسسات التبشيرية كنادى القلم وأندية الروتارى الدولى .

ثالثا : فتح المدارس الأجنبية والمعاهد العلمية فى بلاد الإسلام وخاصة رياض الأطفال .

رابعا : إنشاء المستشفيات ودور التمريض وملاجئ العجزة والأيتام،قال الدكتور أراهارس :

« يجب على طبيب إرساليات التبشير ألا ينسى ولا لحظة واحدة أنه مبشر وقبل كل شيء ، ثم هو طبيب بعد ذلك » [٣] .

خامسا: الدعوة إلى إحياء الحضارات القديمة كالآشورية والفينيقية والفرعونية ، ولقد

---

(١) مجلة المجتمع الكويتية العدد ١٣١٧ السنة السابعة ستمبر ١٩٧٦م

(٢) المرجع السابق العدد ٣٨٥ السنة الثامنة .

(٣) الغارة على العالم الإسلامى صـ٥٥

ذكر الدكتور محمد حسين فى كتابه :

« إن المليونير اليهودى « روكفلر » أوفد عام (١٩٢٦ م) « برستو » صاحب كتاب انتصار الحضارة ليعرض على مصر عشرة ملايين من الدولارات لتأسيس معهد الدراسات الفرعونية ، ليعين على سلخ مصر من عروبتها وإسلامها » [١] .

ولقد أثمرت هذه الدعوات وأصبح لـها دعاة كسلامة موسى ، ولويس عوض ، ولطفى السيد ، وطه حسين الذين يدعون إلى الحضارة الفرعونية التى اندثرت ، ولم يبق منها سوى هذه الأصنام المتناثرة فى الصحراء .

سادسا : هيمنة المبشرين وعملائهم على أجهزة الإعلام ، والصحافة التى منذ نشأتها يديرها نصارى الشام ، فالأهرام مؤسسها بشارة تكلا والمقتطف و الهلال والجامعة يحررها « سركيس » وجورجى زيدان ، والدكتور شبلى شميل ، والجريدة ، ورئيسها لطفى السيد ، والإذاعة التى كانت فى بدايتها أهلية لصاحبها « ماركونى » ، كذلك استغلت السينما والتلفاز استغلالا سيئا ضد الإسلام ، ومازال المسلمون يجنون أشواك هذه الأجهزة .

سابعا : تحطيم الأسرة المسلمة بدعوى تحرير المرأة ودعوتها إلى السفور والاختلاط ، والتى بدأت بدعوة قاسم أمين ومدرسة العلمنـة والتغريب ، وسارت المرأة شوطا كبيرا فى الطريق الذى رسمه لها دعاة السفور ، الذين تنكروا لدينهم وتربوا على موائد الاستشراق والتبشير ، فضلا عن محاولات الشيوعية والصهيونية ، لتطويق العالم الإسلامى والقضاء عليه .

لقد كانت هذه الهجمة الشرسة عاملا رئيسيا فى ظهور الجمعيات الإسلامية التى كان لبعضها دور بارز ونشط ، لمواجهة الاستشراق والتبشير ، مما سأوضحه إن شاء الله ، فالإخوان المسلمون كانوا يلاحقون التبشير ومؤسساته فى مدن مصر وقراها .

---

(١) وكر الهدامين صـ٢٧

ولقد سلكوا طريقين لإحباط محاولاتهم :

لأول : إفهام المسلمين ما يستهدفون له من خطر الاتصال بالإرساليات التبشيرية .

الثانى : الوسائل العملية من جنس ما عمله المبشرون فأنشئوا المدارس والعيادات الطبية ، ولم يكتفوا بهذا بل رفعوا مذكرة إلى الملك فؤاد فى صفر عام (١٣٥٢ هـ) تطالب بوقف النشاط التبشيرى .

أما الشبان المسلمون فقدم رئيسها المرحوم عبدالحميد سعيد استجوابا فى مجلس النواب ، إلى كل من وزيرى الداخلية والحقانية (العدل) ، عن نشاط المبشرين ، كما قامت الجمعية برفع مذكرة إلى الملك فاروق للتنبيه على خطورة الإرساليات التبشيرية .

وقبيل الحرب العالمية الأولى أنشئت جمعية الرد على المبشرين بالخرنفش بالقاهرة .

وإن المستعرض للمجلات الإسلامية خلال القرن المنصرم ، ليقف على مدى التصدى بالكلمات المقروءة فحسب ، لتوضيح أخطار الاستشراق والتبشير، ولكن هذه الجمعيات لم تستطع أن تنافسه فى ميدان التعليم والخدمات الاجتماعية إلا فى النزر اليسير ، كما سيتضح إن شاء الله .

ثالثا : الاستعمار :

كان المستشرقون والمبشرون هم طلائع الاحتلال العسكرى للبلاد الإسلامية ، فلقد مهدوا بأبحاثهم ومراكز تبشيرهم وإرسالياتهم الطبية والتعليمية والاقتصادية للغزو العسكرى ، وذلك بما نجحوا فيه من توهين الدين فى النفوس بالأساليب سالفة الذكر ، وبما اصطنعوه من عملاء لهم من بعض المسلمين ، الذين ذهبوا إلى أوروبا وتشزبوا مبادئها ، ثم عادوا لبلادهم ينكرون الدين واللغة ، وذلك بالتشكيك فى الإسلام والزراية والتنفير منه ، هذا ولقد مر احتلال ديار الإسلام بمرحلتين :

المرحلة الأولى :

تطويق ديار الإسلام بالسيطرة على سواحلها وانتزاع السيادة البحرية منها ، ولقد

بدأت هذه المرحلة بحركات الكشف التى قادها البرتغال والأسبان ، والتى أبرزت أسماء فاسكودى جاما ، وهنرى الملاح ، وكانت هذه المرحلة امتدادا لمخططات مدروسة [1] فى عام (١٢٤٩م) ، رفعت إلى ملك فرنسا وثيقة ترسم له خطة حربية للسيطرة على عالم الإسلام بشق قناة فى برزخ السويس ، تكون ملكا للعالم الغربى كجزء من خطة الحروب الصليبية .

ولقد استطاعت البرتغال خلال الفترة من (١٤٢٠ إلى ١٥٤٢ م) انتزاع السيادة الإسلامية على المحيط الهندى ، وتحويل التجارة إلى رأس الرجاء الصالح ، وتأسست شركة الهند الشرقية التى مهدت للاستعمار الإنجليزى احتلال الهند ، والسيطرة على جنوب شرق آسيا .

المرحلة الثانية : الاحتلال العسكرى :

ما كاد ينتهى القرن الثالث عشر الهجرى وتشرق شمس القرن الرابع عشر ، إلا كانت ديار الإسلام ترزح تحت نير الاستعمار ، فلقد احتلت إنجلترا، الهند ومصر والسودان والعراق وفلسطين وعدن ، وغزت فرنسا الجزائر وتونس والمغرب وسوريا ولبنان، واستعمرت إيطاليا ليبيا ، وتمكنت هولندة من إندونيسيا والملايو ، وتعرضت بلاد فارس للغزو الروسى إبان عصر القياصرة ، وانتزعوا ما وراء القوقاز ، فضلا عما قامت به روسيا البلشفية من القضاء على الجمهوريات الإسلامية فى آسيا ، كبخارى وسمرقند وبلوكستان ، وأخيرا الغزو الروسى لأفغانستان واحتلالها .

ولم يكتف الاستعمار بتمزيق العالم الإسلامى وإسقاط الخلافة الإسلامية ، بل اصطنع كيانا غريبا فى قلب العالم الإسلامى ، هذا الكيان هو دولة إسرائيل ؛ لتكون حاجزا بين مسلمى آسيا وأفريقيا ، وخنجرا مصوبا لكل يقظة إسلامية تعيد للإسلام مجده ، ولقد مهد لنشأة إسرائيل بمايلى :

١ ـ المؤتمر الصهيونى الذى عقد فى مدينة بال بسويسرا عام(١٨٩٧ م) ، برئاسة اليهودى هرتزل .

---

(١) اليقظة الإسلامية أنور الجندى صـ٢٤

٢ ـ محاولة إغراء السلطان عبد الحميد بواسطة نائب سالونيك « قره صو » اليهودى ، ولكن السلطان رحمة الله طرده ، فما كان من القوى اليهودية والاستعمارية إلا أن تآمرت على خلعه وإسقاط الخلافة كما سيأتى .

٣ ـ وعد بلفور عام (١٩١٧) الذى وعد بتمكين اليهود من وطن لهم فى فلسطين .

٤ ـ وضع فلسطين تحت الانتداب الإنجليزى عقب الحرب العالمية الأولى ، والسماح بهجرة اليهود إليها ، فكونوا عصابات الهاجانا ، والتى مهدت بمذابحها الرهيبة لإعلان دولة إسرائيل (١٩٤٨ م)

٥ ـ إبعاد الإسلام من ساحة الصراع العربى الإسرائيلى ، ففى الوقت الذى يلتف اليهود حول اسم إسرائيل نسبة إلى يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليهم جميعا الصلاة والسلام . يتعمد إغفال الإسلام عن التصدى لهذا ، وبسبب غياب الإسلام عن الميدان انتزعت إسرائيل انتصاراتها عام (١٩٤٨ ثم ١٩٥٦ وعام ١٩٦٧ م) ، ثم أوقفت هذه الانتصارات حينما رفع المسلمون شعارى الله أكبر ، وبدر ، فى العاشر من رمضان ، ومازال هذا الصراع تدور رحاه وتشتد وطأته حتى يأذن الله بنصر من عنده ، وحتى لايتحقق ماذكره أحد زعماء اليهود فى قوله :

« مهمتنا سحق الحضارة الاسلامية وإحلال الحضارة العبرية محلها والمهمة شاقة وعسيرة » ، ولقد خيل لأعداء الإسلام أنهم قد أجهزوا على الكيان الإسلامى ومزقوه شر ممزق ، وأنهم قد أطفئوا نار الحروب الصليبية ، حينما قال اللورد اللنبى عندما سقطت دمشق :

« والآن انتهت الحروب الصليبية ها نحن أولاء قد عدنا ياصلاح الدين » ولكن الذات الإسلامية ترفض التبعية والشخصية الإسلامية تأبى الذلة والاحتلال ، فاشتعلت الثورات على امتداد العالم الإسلامى ، تطالب بحريتها وتصون إسلامها ، وأعلن المسلمون الجهاد ، وتسابقوا إلى شرف الاستشهاد ، وكان من أهم ملامح هذه النهضة الإسلامية بروز الجمعيات الإسلامية ودعوتها للجهاد فى سبيل الله مرددين : « الاستشهاد فى سبيل الله أسمى أمانينا » .

وتنوع جهاد كل جماعة وفق ظروفها وإمكاناتها ، فجماعة الإخوان المسلمين شاركت عبر تاريخها فى الكفاح ، وكان أبرزه فى حرب فلسطين عام (١٩٤٨ م) وأقلقت مضاجع الاستعمار على ضفاف القناة عام (١٩٥١ م) ، ووضع مرشدها العالم المرحوم حسن البنا دعاء يقنتون به فى صلواتهم سائلين الله النصر على الإنجليز كما سيأتى .

والجمعية الشرعية التزم أعضاؤها بمقاطعة المنتجات الأجنبية ، وأنشئت مصانع يدوية لتصنيع ملابس أعضائها .

وجمعية الشبان المسلمين تدعو للجهاد والتبرع بالمال ، وعقدت المؤتمرات التى تساند المجاهدين ، وتكون دارها ملتقى المكافحين من كل وطن إسلامى . وهكذا كان الاستشراق والاستعمار من الأسباب المباشرة لنشأة الجمعيات الإسلامية .

الفصل الثانى
سقوط الخلافة الإسلامية

الخلافة لغةً :

كما قال الراغب الأصفهانى هى نيابة عن الغير ، إما لغيبة المنسوب عنه ، وإما لموته ، وإما لعجزه ، وإما لتشريف المستخلف .

وفى الاصطلاح :

هى رياسة عامة فى الدين والدنيا،وقوامها النظر فى مصالح المسلمين وتدبير أمور الدولة ، والإمام نائب عن صاحب الشريعة ﷺ فى الدعوة بتنفيذ أحكامه ، وفى الدنيا بتدبير شئون الخلق ، وعقدها لمن يقوم بها واجب بإجماع الأمة ، واختلف فى وجوبها هل هو وجوب عقلى أو شرعى ؟ فقال جماعة بالوجوب العقلى لما فى طباع العقلاء من التسليم لزعيم يمنعهم من التظالم .

قال شاعر جاهلى :

لايصلح الناس فوضى لاسراة لهم ولا سراة إذا جهالهم سادوا [١]

وقالت جماعة أخرى إنها وجبت بالشرع دون العقل ، هذا ، ولقد أفردت كتب الفقه وأصوله مباحث حول الخلافة وشروطها ، ومتى تنعقد البيعة،وما يجب على الخليفة ، وما يجب له مما هو مبسوط فى كتب الفقه مما ليس مجال بحثى .

هذا ومنذ انتقال الرسولﷺ إلى الرفيق الأعلى ومبايعة أبى بكر الصديق رضى

---

(١) الأحكام السلطانية للماوردى صـ٥

الله عنه بالخلافة فى سقيفة بنى ساعدة وحتى إلغاء الخلافة عام (١٩٢٤ م) ، لم يخل عصر من عصور المسلمين من خليفة يتولى شئون المسلمين ، فيوحد كلمتهم ويجمع صفوفهم ويجاهد بهم ، وكانت دعوة الخليفة للجهاد يتداعى لها المسلمون جميعا ، وتلقى الرعب فى قلوب أعداء الإسلام ، وكان يعترى الخلافة فى بعض الأحيان الضعف والذبول ، حتى كان الخليفة لايملك من أمر نفسه شيئا ، ولكن ما تلبث الخلافة حينما يتولاها حاكم مسلم قوى أن تدب فيها الحياة ، وتصبح كشجرة ضخمة يستظل بها الرعية .

ولقد آلت الخلافة الإسلامية لسلاطين آل عثمان ، الذين حملوا رايات الجهاد و لم يكتفوا بموقف الدفاع عن ديار الإسلام ، بل انطلقوا إلى الفتوحات الإسلامية التى كادت تتوقف منذ الدولتين الأموية والعباسية ، ففتحوا القسطنطينية على يد محمد الفاتح ، والتى كان فتحها أملا يراود نفوس المسلمين منذ فجر الإسلام ، واستطاعوا أن يصلوا بالإسلام إلى فيينا عاصمة النمسا ، وحملت الخلافة العثمانية لواء الإسلام فى آسيا وأفريقيا وأوروبا ، وكانت الخلافة على علاتها رمزا لقوة الإسلام . وإزاء هذه الخلافة التى هددت أوروبا فى عقر دارها ، وانتزعت منها السيادة على البحار والمحيطات ، وعوضت الإسلام ما افتقده فى الأندلس ، عمل الاستعمار على إسقاط الخلافة العثمانية ، وذلك بالأساليب التالية :

أسباب سقوط الخلافة العثمانية :

كانت هناك عوامل كثيرة ساعدت على التعجيل بسقوط الخلافة العثمانية وانفراط عقد المسلمين الذين كانوا ينطوون تحت لوائها ، ومن هذه الأسباب مايلى :

أولا : إحياء القوميات المختلفة :

كانت دولة الخلافة تنتظم أجناسا كثيرة متعددة المذاهب والعقائد ، وتعيش فى كنف الإسلام الذى وحد بين شعوبها وقومياتها ، وجعل ولاء المسلم لله ورسوله لا لجنس أو وطن ، وجعل معيار التفاضل التقوى : قال تعالى : ﴿ **إن أكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾ (١) ولقد كان مفهوم الرابطة

---

(١) سورة الحجرات آية ١٣

الإسلامية هو الذى يوحد قلوب المسلمين ومشاعرهم ، ولقد تبلور هذا الشعور إبان حكم السلطان عبدالحميد ، حينما نشطت دعوة جمال الدين الأفغانى فلقد قال السلطان عبدالحميد :

« إن بلادنا كانت وستبقى قلعة الإيمان وحصنا لهذا الدين ، فإذا زال المفهوم الدينى عن الإمبراطورية العثمانية ، فقد زالت دولتنا ويجب علينا أن نقوى صلتنا بالبلدان الإسلامية ، ولا أمل لنا فى المستقبل إلا بالوحدة ؛ فإن بقاء الوحدة الإسلامية يعنى بقاء إنجلترا وفرنسا وهولندة تحت نفوذنا » (١) .

لهذا عمد الاستعمار إلى إثارة النعرات القبلية والشعوبية ، وبدأت هذه الدعوات فى أوائل القرن التاسع عشر على أيدى اللاجئين الهولنديين والمجريين الذين اعتنقوا الإسلام. ووصلوا إلى مناصب خطيرة فى الدولة العثمانية، وكان أحدهم ويسمى « الكونت » قسطنطين بورزيسكى ، الذى سمى نفسه مصطفى جلال الدين باشا ، وهو أول من أثار النزعات القومية فى كتابه « أتراك الأمس واليوم » ، الذى صدر فى باريس عام (١٨٦٩) ، ولقد شكلت عدة جمعيات للدعوة القومية التركية كجمعية الاتحاد والترقى ، التى تأسست عام (١٨٩٤) ، وجمعية تركيا الفتاة وجمعية « ترك بوردوا » أى وطن الترك ، كما قامت حركة أخرى باسم « ترك أوجاقى ». أى حصول الموقد التركى (٢) .

وكان من أهداف هذه الجمعيات ما يلى :

١ ـ إبراز الكيان التركى وجذوره القديمة السابقة للإسلام ، والدعوة إلى اللغة التركية .

٢ ـ الاتجاه إلى الغرب اتجاها كاملا .

٣ ـ الانفصال عن الجماعة الإسلامية والخلافة ومحو الثقافة الإسلامية والعربية .

---

(١) السلطان عبدالحميد ـ مذكراتى السياسية صـ١٧٤

(٢) المخططات الاستعمارية ـ الصراف صـ١٢٥

٤ ـ النظر إلى الإسلام كمعوق للنهضة ، ومحاولة إقامة منهج حضارى بعيد عن الدين [١] .

ولقد نجح أصحاب هذا الاتجاه من الوصول إلى الحكم عام (١٩٠٨م) وإقصاء السلطان عبدالحميد ، ثم اتبع ذلك إلغاء الخلافة عام (١٩٢٤) على يد كمال أتاتورك . وفى الوقت الذى استيقظت فيه الدعوة الطورانية والقومية التركية ، ظهر بين العرب تيار جارف إلى القومية العربية ، ولقد حمل لواء هذه الدعوة نصارى الشام الذين تخرجوا فى مدارس التبشير والإرساليات الصليبية ، يقول جورج أنطونيوس : « نستطيع أن نثبت هنا أن أول صوت أرسلته حركة العرب القومية كان فى جلسة سرية ، عقدها بعض أعضاء الجمعية السورية التى أنشأها اليسوعيون عام (١٨٥٧) » . [٢] ولقد ساعد على هذا التيار ما ارتكبه بعض الولاة الأتراك من ظلم وقسوة فى البلاد العربية ، ثم عمق هذا الاتجاه إلى القومية العربية خلال القرن الرابع عشر الهجرى ، وكان جل دعاته من غير المسلمين ، كفارس نمر صاحب جريدة المقطم ، وأنطون سعادة زعيم القوميين السوريين ، وجورج حبش زعيم القوميين العرب ، وميشيل عفلق زعيم حزب البعث الاشتراكى .

هذا بجانب إرساليات التبشير التى سعرت نيران الفرقة بين العرب والأتراك ، ولقد ترتب على هذه الدعوات مايلى :

١ ـ التفرقة بين المسلم العربى والمسلم غير العربى .
٢ ـ أصبح الولاء للقومية والوطن والجنس لا للدين .
٣ ـ إلغاء أحكام الشريعة الإسلامية .
٤ ـ كان من أخطر النتائج إبعاد الإسلام عن كل القضايا . فالحرب بين اليهود والمسلمين أبعد الإسلام عمدا عن قيادة معركتها ، فضلا عن المعارك الأخرى حيث نُحِّىَ الإسلام عنها .

---

(١) اليقظة الإسلامية،أنور الجندى صـ٩٨

(٢) المرجع السابق صـ١١٤

ثانيـاً : دور اليهود فى إسقاط الخلافة :

لاشك أن لليهود دوراً بارزاً فى إسقاط الخلافة ، فمنذ إجلائهم عن الجزيرة العربية وهم يبذلون غاية جهدهم لتدمير الإسلام ، تارة بالتآمر والاغتيال ومرة بنشر القصص الكاذب والروايات الموضوعة فى التراث الإسلامى ، ولم يكن تآمرهم على الخلافة العثمانية أمرا جديدا عليهم ، فقد سبق لهم التآمر على الخلافة الاسـلامية الراشدة فكانوا هم المحركين لاغتيال عمر بن الخطاب رضى الله عنه على يد غلام فارسى ، وهم الذين سعروا نيران الفتنة التى أدت إلى اغتيال عثمان بن عفان ، وكان رأس الفتنة عبدالله ابن سبأ اليهودى وهم أيضا كانوا وراء إلغاء الخلافة .

قال الكاتب الروسى « سرجى نيلوس »

لابد للأفعى اليهودية من أن تمر بالقسطنطينية ، لتصل إلى فلسطين ، ولقد سجل التاريخ أن اليهود الذين هاجروا إلى تركيا ، قد دخل كثير منهم الإسلام ، وكان إسلامهم ستارا لتحقيق أهدافهم ، ففى سالونيك طائفة منهم يقال لها « الدونمة » ، هاجرت من الأندلس ولقد تسللت هذه الجماعة فى أجهزة الدولة ومنهم :

« مدحت باشا حاكم ولاية الدانوب ، الذى كان ابن حاخام هنغارى ، وهو الذى أنشأ المدارس اليهودية فى الشرق الأدنى ، وكان أعضاء حزب الاتحاد والترقى من الدونمة (١) .

ولقد ارتبط التغلغل اليهودى بالمحافل الماسونية ، التى زلزلت أركان الخلافة ، فلقد كان فى مدينة سالونيك خمسة محافل تضم خمسين ألف يهودى . ولقد حاول اليهود عقب مؤتمر بال بسويسرا ، الذى عقد عام ١٨٩٨م، شراء فلسطين من السلطان عبد الحميد، وأرسلوا له اليهودى «قره صو » نائب سالونيك ، وعرض مبلغ خمسين مليونا من الجنيهات الذهبية لخزانة الدولة ، وخمسة ملايين لخزانة السلطان ، فطرده قائلا له :

« اغرب عن وجهى ، أنا لن أستطيع أن أبيع شبرا واحدا من أرض

---

(١) اليقظة الإسلامية،الجندى صـ١٠٧

فلسطين لأنها ليست ملكى بل هى ملك المسلمين ، أخذوها بدمائهم ولن يعطوها إلا بدمائهم » ، لهذا عمد اليهود إلى إسقاط السلطان عبدالحميد ، وكان هذا النائب ضمن اللجنة التى قدمت للسلطان عبدالحميد صك التنازل عن العرش عام (١٩٠٩ م) ، ولقد كان حاليم ناحوم حاخام اليهود الأكبر ، هو الوسيط بين أتاتورك وإنجلترا للصلح والذى انتهى على شروط كرزن الأربعة وهى :(١) .

١ ــ إلغاء الخلافة الإسلامية نهائيا .
٢ ــ أن تقطع تركيا كل صلة لها بالإسلام .
٣ ــ أن تضمن تركيا تجميد وشل حركة جميع العناصر الإسلامية الباقية .
٤ ــ أن يستبدل الدستور المدنى بالدستور العثمانى القائم فى تركيا على الإسلام(٢) .

ثالثاً : بجانب العاملين السابقين اللذين تسببا فى إلغاء الخلافة ، فلقد كانت هناك عوامل أخرى منها :

١ ــ منح الامتيازات الأجنبية للدول الأوروبية ، والتى بدأها السلطان سليمان القانونى عام (١٥٣٦م) ، حينما أعطى بعض الامتيازات القنصلية لجمهورية جنوة والبندقية . ولفرنسيس الأول ، ثم استمرت هذه الامتيازات التى تخول لبعض الدول حماية الكنائس فى الشرق ، ومن هذه الامتيازات ما أعطى لفرنسا عام (١٧٤٠ م) من حق حماية جميع القسيسين الكاثوليك في المملكة العثمانية .
٢ ــ عجز دولة الخلافة عن إصلاح جهازها الإدارى ، مما أدى إلى انتشار الفساد وتقهقر الأوضاع الاقتصادية ، هذا بجانب ما اتصف به بعض الولاة من الظلم والقسوة ، مما ساعد على تكوين رأى عام يدعو إلى انفصال العرب عن الأتراك .

---

(١) المخططات الاستعمارية ــ الصواف صـ١٣٥

(٢) المرجع السابق صـ١٢٨

٣ – عجزت دولة الخلافة عن إقامة شرع الله وتطبيق الحدود ، ففقدت الصفة الشرعية فى قلوب المسلمين ، بجانب إهمال اللغة العربية ، وإحلال التركية محلها وجعلها لغة الدواوين والمصالح الحكومية ، بجانب ما اتسمت به هذه القرون من ميل إلى التقليد وانتشار البدع والعزوف عن الاجتهاد ، فاجتمعت هذه العوامل كلها وساعدت على إلغاء الخلافة عام (١٩٢٤م) على يد كمال أتاتورك ، الذى أعلن قطع الصلة بين تركيا والإسلام وحرم الأذان ومنع الكتابة باللغة العربية ، ولقد أحدث إلغاء الخلافة جرحا عميقا فى كيان الوحدة الإسلامية ، وأسى وحسرة بين نفوس المسلمين ويصور أمير الشعراء سقوط الخلافة :

يَا أخت أندلس عليك سلام ... هوت الخلافة عنك والإسلام
طوى الهلال عن السماء فليتها ... طويت وعم العالمين ظلام
خفت الأذان فما عليه موحد ... يسعى ولا الجمع الحسان تقام

ويصور أحمد شوقى حالة الحزن فى ديار الإسلام فى قصيدة أخرى فيقول :

ضجت عليك مآذن ومنابر ... وبكت عليك مسالك ونواحى
الهند والهة ومصر حزينة ... تبكى عليك بمدمع سحاح
والشام تسأل والعراق وفارس ... أمحا من الأرض الخلافة ماحى

وعقب سقوط الخلافة عقدت عدة مؤتمرات ، منها مؤتمر الأزهر الذى عقد فى (١٥ مارس ١٩٢٤) ، ودعا إلى مؤتمر عام يشترك فيه ممثلون عن جميع المسلمين ، وانعقد المؤتمر عام (١٩٢٦) ، ولكنه فشل ولم يسفر عن شىء وحاول الشيخ محمد أمين الحسينى رئيس المجلس الأعلى بفلسطين عقد مؤتمر إسلامى فى القدس ، غير أن هذا المؤتمر لحق به مالحق بمؤتمر الأزهر ، وعقد بالهند تحت اسم « مؤتمر الخلافة الهندى ». وكانت النية متجهة لتكون مصر مقر الخلافة ، وترشيح الملك فؤاد ليكون خليفة للمسلمين ، غير أن الإنجليز دفعوا الشريف حسين أمير الحجاز ، لينصب نفسه دون رأى عام إسلامى يؤيده .

وهكذا اختلفت الآراء حول الخلافة ، ولم يجتمع المسلمون على خليفة ينضوون تحت لوائه مما كان سببا مباشرا لنشأة الجمعيات الإسلامية ، والتى كان من أهداف

الكثير منها العمل على عودة الخلافة ، فالشبان المسلمون كان يقسم عضوها قائلا [1] .

« علىَّ عهد الله وميثاقه أن أكون عاملا مجاهدا فى سبيل إحياء مجد الإسلام بإعادة تشريعه وإمامته الكبرى » .

كذلك كان لجماعة الإخوان دور نشيط فى ميدان الوحدة الإسلامية ، وعودة الخلافة كما سيأتى إن شاء الله .

---

(١) مجلة الشبان صـ١١ يولية ١٩٣٠

الفصـــل الثالث

دعاة العلمانية والتغريب

من الأسباب المباشرة لنشأة الجمعيات الإسلامية ما برز في ميدان الفكر الإسلامى فى مطلع القرن الرابع عشر الهجرى ، من دعوة صريحة إلى العلمنة والتغريب ، وما استتبع ذلك من فصل الدين عن الدولة ، وتنحية الشريعة الإسلامية وقوانينها عن مجالات الحكم والقضاء ، ومن العوامل التي عملت على تعميق هذا الاتجاه وقوع مصر فريسة للاحتلال الأجنبى وإلغاء الخلافة الإسلامية ، وكان دعاة هذا الفكر ينحصرون فيما يلي :

أولا : المستشرقون والمبشرون والاحتلال ، وقد مضى الكلام عنهم فى الفصل السابق .

ثانيـا : كتاب ومؤلفون عرب غير مسلمين وهم :
طلائع الغزو الفكرى وصنائع الاستعمار ، الذين تخرجوا من الإرساليات التبشيرية ، ومراكز الاستشراق في مصر ولبنان ، وكان رواد هؤلاء بعض نصارى الشام الذين هاجروا إلى مصر واستوطنوها :

مثال : فارس نمر ، ويعقوب صروف ، وبشارة تكلا ، وفرح أنطون ، وجورجى زيدان ، بجانب من انضم إليهم من الأقباط المصريين أمثال :

١ ــ سلامة موسى .

٢ ـ مرقص سميكة .
٣ ـ بطرس غالى .

ولقد استطاعت هذه الفئة السيطرة على الفكر العربى من خلال الصحف اليومية والمجلات الأدبية ، كالأهرام والمقطم والمقتطف والهلال ، وكانت هذه الصحف عربية اللسان ولكنها أعجمية القلب والفكر .

ثالثا : علماء وباحثون مسلمون أمثال : لطفى السيد ، وقاسم أمين ، وطه حسين ، وعلى عبد الرازق ، ومحمود عزمى ، وغيرهم كثيرون لاسيما الذين تلقوا العلم فى أوروبا وفتنوا بحضارتها المادية ، وعادوا إلى مصر يتنكرون لدينها وعروبتها وإسلامها . ولقد مكن لهم الاحتلال فتقلدوا أزمة الأمور ، وسيطروا على التعليم والثقافة والصحافة ، قال اللورد كرومر[1] :

« إن المسلم غير المتخلق بأخلاق أوروبية لايصلح لحكم مصر ، وإن المستقبل الوزارى سيكون للمصريين المتربين تربية أوروبية ، وإن الإسلام كنظام اجتماعى قد وضعت نظمه لتناسب الجزيرة العربية » .

رابعاً : قادة الأحزاب السياسية قبل وبعد الحرب العالمية الأولى . كحزب الأمة، ولسان حاله صحيفة الحرية التى أنشأها لطفى السيد عام (١٩٠٧) ، وكان رجال هذا الحزب من الباشوات والأثرياء الذين ربطوا مصالحهم بوجود الاستعمار، وحزب الأحرار الدستوريين ، ولسان حاله جريدة السياسة ، ورئيسها المرحوم الدكتور محمد حسين هيكل . والحزب الوطنى الذى كاد ينتهى بموت الزعيم مصطفى كامل ، وهجرة محمد فريد إلى أوروبا .

ولقد تم تكوين حزب شيوعى فى مصر عام (١٩٢٠) ، أنشأه رجل

---

(١) اللورد كرومر هو المندوب السامى لمصر ومكث مايقرب من خمسة وعشرين عاما وأقيل من منصبه عقب مذبحة دنشواى اليقظة الإسلامية الأستاذ أنور الجندى ص ١٩٨ .

يهودى يسمى جوزيف روزنتال ، ومساعده الدكتور على القبانى وسلامة موسى . وفى عام(١٩٢٤ م)أرسلت روسيا خبيرا تحت اسم قسطنطين فاس ، وذلك لتنظيم الحزب الشيوعى المصرى »[١] .

هذا ولقد تعددت الأحزاب حتى وصلت بعد الحرب العالمية الأولى إلى ما يقرب من ثلاثة وعشرين حزبا ، وكان اتجاه كثير من الأحزاب اتجاها علمانيا وغربيا ، وعملوا جاهدين على إحياء المفاهيم الوطنية والقومية ، والفرعونية، بينما الإسلام لايحظى فى برنامج هذه الأحزاب بشىء يذكر ، فضلا عما قامت به معظم الأحزاب المصرية من فساد سياسى وصراع على كراسى الحكم ، ولم يسلم من هذا الاتجاه سوى حزب مصر الفتاة الذى أسسه المرحوم أحمد حسين ، وكانت وجهته إسلامية فى بعض الأمور ، هذا ولقد نجح دعاة العلمنة والتغريب فى تحقيق الأهداف التالية :

أولاً : فصل الدين عن الدولة :

وهى دعوة غريبة عن الفكر الإسلامى وفدت إليه من خلال ثورات أوروبا على سلطان الكنيسة ، التى كانت تصادر حرية العلم وتجارب العلماء ، وكان شعار الثورة الفرنسية « اقضوا على آخر ملك بأمعاء آخر قسيس » ، ولقد تبارت أقلام مدرسة العلمنة والتغريب مروجة لمذهبها ، ولقد نشطت عقب سقوط الخلافة الإسلامية عام (١٩٢٤ م) ،وكان من أخطر المؤلفات التى روجت لفصل الدين عن الدولة كتاب : الإسلام وأصول الحكم للشيخ على عبد الرازق والذى يعد انحرافا خطيرا عن الفكر الإسلامى الصحيح وسابقة شاذة لأحد علماء الأزهر ، ومن أخطر ما جاء فى هذا الكتاب ما يلى :[٢]

١ – جعل الشريعة الإسلامية روحية محضة لاعلاقة لها بالحكم والتنفيذ فى أمور الدنيا .

---

(١) تطور الحركة الوطنية فى مصر د . عبدالعظيم رمضان صـ٥٥٠

(٢) حكم هيئة كبار العلماء على الشيخ على عبدالرازق صـ٦

٢ - أن مهمة الرسول ﷺ كانت بلاغا للشريعة الإسلامية مجردا عن الحكم .

٣ - إنكار إجماع الصحابة على وجوب تنصيب الإمام ، وإنكار أن القضاء وظيفة شرعية .

٤ - أن حكومة أبى بكر الصديق والخلفاء الراشدين رضى الله عنهم كانت لادينية .

ولقد صدم هذا الكتاب عواطف المسلمين بجرأة وتحدى مشاعرهم، وترك أثرا سيئا ، لاسيما أن جرح الخلافة لم يكن قد التأم بعد ، وكان الرد الإسلامى قويا وحاسما ،فلقد شكلت لجنة من أربعة وعشرين عالما من علماء الأزهر الشريف ، وقررت إخراج الشيخ من زمرة العلماء ، وكذلك أخرج من وزارة العدل عام (١٣٤٤ هـ - ١٩٢٥م) [١] هذا ولقد كان للجمعيات الإسلامية التى أنشئت عقب إلغاء الخلافة دور بارز فى كشف زيف ودعاوى مدرسة العلمنة والتغريب ، كما سيأتى إن شاء الله .

ثانياً : الفصل بين العروبة والإسلام :

بالإسلام شرف العرب وسمت مكانتهم وارتفع شأنهم ، فالقرآن الكريم بلغتهم،والرسول ﷺ من أشرف أنسابهم ، ومكة أم القرى وقبلة الدنيا موطنهم ، وإن المتتبع لتاريخ الإسلام يجد أن العرب وعاء الإسلام ، وأن قوتهم تعنى قوة الإسلام وازدهار الإسلام ، وارتفاع لوائه مجد للعرب ورفعة لشأنهم . ولقد فطن أعداء الإسلام لهذا ، فحاولوا جاهدين للفصل بين العروبة والإسلام ، وانطلق دعاة العلمنة والتغريب يعمقون هذا الاتجاه ويدعون إليه يساعدهم على ذلك سيطرتهم على أجهزة الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة ، يقول غالى شكرى وهو مصرى ماركسى :

١ - « ومن مصر القبطية إلى مصر العربية ولا أقول الإسلامية ، لأن الحضارة العربية كانت أعمق من أن يكون الإسلام عنصرها الوحيد ، كما أن التجربة العربية

---

(١) حكم هيئة كبار العلماء صـ٤٠

مع الإسلام تختلف تماما عن تجارب الأمم الأخرى مع نفس الدين ، مصر الفرعونية مصر القبطية ومصر العربية ، هى الحلقات الثلاث الرئيسية فى تاريخنا القومى ، ومن خلال الامتزاج الحضارى بين هذه الحضارات الثلاث تكونت ملامح النفس المصرية » .

هذا ولقد ظهر اتجاه سلخ العروبة عن الإسلام ، منذ أوائل القرن الرابع عشر تحت شعار القومية العربية ، وكان رواد هذا الفكر كما سبق من خريجى مدارس الاستشراق والتبشير ، وأول [١] من دعا إلى رابطة الوطن العربى نجيب عازورى بالاشتراك مع يوجين يونج أحد العاملين فى إدارة الاستعمار الفرنسى . وكان هدف عازورى إنشاء دولتين : دولة على غرار الفاتيكان عربية إسلامية ، تقوم فى الحجاز زعامتها مكة ، والأخرى عربية علمانية تضم سوريا ولبنان . « وإن المتتبع للتاريخ ليدرك كيف كان يقاوم أى تجمع إسلامى بالكيد والتآمر ، لاسيما من دولة الاستعمار . وترضى هذه الدول بالتجمعات العربية البعيدة عن الإسلام . كما حدث فى إنشاء جامعة الدول العربية عام (١٩٤٥) ، ولقد كانت فكرة نادى بها وزير خارجية بريطانيا فى ذلك الوقت . وكذلك دعاة القومية العربية ، وقد مضى فى فصل سابق نشأة هذا الفكر .

ثالثاً : محاربة اللغة العربية الفصحى :

سبق أن أوضحنا دور التبشير والاستشراق والاستعمار فى القضاء على اللغة العربية ، ولقد حمل أنصار العلمنة والتغريب حملات قاسية على اللغة العربية الفصحى ، ولقد تزعمت هذا الهجوم جريدة المقتطف التى دعت عام (١٨٨١) إلى كتابة العلوم باللغة العامية . وفى عام (١٩٠٢) وضع أحد الإنجليز كتابا يدعو فيه إلى كتابة اللغة العربية بالحروف اللاتينية ، وتعمقت هذه الدعاوى على يد سلامة موسى عام (١٩٠٧) ، حينما دعا

---

(١) مجلة الكاتب صـ٥٤ عدد سبتمبر ١٩٦٣

فى صحيفة الجريدة إلى ما يلى :

١ ـ إلغاء الفصحى واستبدال العامية بها .

٢ ـ إلغاء الإعراب وقواعد النحو .

٣ ـ إدخال الألفاظ الأجنبية ورفض أية محاولة للتعريب .

٤ ـ إلغاء الحروف العربية ، واستخدام الحروف اللاتينية ، كمقدمة لإلغاء اللفظ العربى .

ويكتب سلامة موسى عن اللغة العربية قائلا : (١)

« هذه اللغة لاترضى رجلا مثقفا فى العصر الحاضر ، إذ هى لاتخدم الأمة ولا ترقيها لأنها تعجز عن نقل مائة علم من علوم الاجتماع التى تصوغ المستقبل » .

ولقد ترتب على هذا أن حلت اللغة العامية محل اللغة الفصحى فى مجالات التخاطب والصحافة والإذاعة والتلفاز ، وفشا اللحن ونضب معين الأدب وظهر الشعر غير الموزون والمقفى . وقلما وجد متحدث يتحدث بالعربية الفصحى . ولولا حفظ الله القرآن الكريم ووجود الأزهر لاندثرت العربية فى مصر تحت وطأة العوامل السابقة كما حدث فى الجزائر . ولهذا كان من أهم ما التزمته الجمعيات الإسلامية أن يتحدث أعضاؤها بالعربية الفصحى كما سيأتى بيانه .

رابعاً : الدعوة إلى السفور وإبعاد المرأة عن خلق الإسلام :

نجح دعاة التغريب فى التسلل إلى عقل المرأة المسلمة وقلبها ، وزينوا لها التبرج والسفور ومساواتها بالرجل واختلاطها به فى الحياة العامة بدون مبرر ، تحت دعاوى التقدم والمدنية ، وكان رواد هذه الدعوى قاسم أمين ، ومحمود عزمى ، وفكرى أباظة ، وطه حسين ، وكثير من الكتاب والصحفيين ، ولقد نجحوا جميعا فى احتواء المرأة المسلمة احتواء كاملا ، ومما ساعد على هذا إهمال التعليم الدينى للفتاة وحجبها عن الثقافة

---

(١) حركة اليقظة الإسلامية:أنور الجندى صـ٣٥

الإسلامية . فامتدت إليها يد العابثين فأسلمت نفسها إليهم يفرضون عليها الزى الذى يروق لهم والفكر الذى يعجبهم ، فاضطرب أمر الأسرة وانفرط عقدها ، وتتابع جيل فقد حنان الأم ورعاية الأب ، وفسد المجتمع . فلم يحرز هدفا ولم يحقق نصرا ، ولم يصن دينا أو يحمى عرضا ، فكانت النكسات والهزائم .

ولقد صحب الدعوة لإبعاد المرأة عن إسلامها تغيرات اجتماعية عقب الاحتلال والحرب العالمية الأولى ، فانتشرت الخمر وأبيح البغاء وظهرت السينما والمسرح اللذان أصبحا مرتعا خصبا للرذيلة ، وانتشر الأدب الساقط والقصص الهابط والروايات التى تثير الجنس ، وكانت مجلة الهلال وروزاليوسف وجريدة السياسة والجريدة والمقتطف على رأس الصحف التى تروج لهذا التيار ، « ففى الوقت الذى تدعو فيه الهلال إلى فوائد مذهب العرى ، وإلى اختلاط الجنسين فى التعليم، تكتب السياسة الأسبوعية عن الخمر والرقص ، وتواصل حملتها فى الدفاع عن البغاء وتشاركها جريدة البلاغ » (١) .

هذا وبجانب العوامل السابقة فلقد استطاع أنصار العلمنة والتغريب السيطرة على الجامعة الأهلية ، التى أسست عام (١٩٠٩) ثم أصبحت عام (١٩٢٤) جامعة فؤاد الأول ، واتجهوا بطلابها اتجاها علمانيا بحتا،وتبارى بعض مدرسى الجامعة فى التنكر لكل ما يمت للإسلام بصلة ، بل وصل الأمر إلى الطعن والتشكيك فى قصص القرآن الكريم ونسبة العرب إلى إبراهيم عليه السلام ، وكان ذلك على لسان د . طه حسين فى كتابه الشعر الجاهلى الذى صدر عام (١٩٢٦ م).ولقد أحدث هذا الكتاب ثورة عارمة ، واستطاع التيار الإسلامى أن يجرف هذا الكتاب وصاحبه إلى الهاوية وأن يكشف عن هوية هذا الفكر وروافده ، وكان الأزهر سباقا لرد شبهات هذا الكتاب فألف لجنة لهذا . وتقدم المرحوم الدكتور عبدالحميد سعيد، الرئيس العام للشبان المسلمين ، باستجواب فى مجلس النواب عن نشر الكتاب وتدريسه مما سنعرض له إن شاء الله .

---

(١) الإخوان المسلمون والجماعات الإسلامية . زكريا بيومى صـ٧٢

ولقد كان حصاد الاستشراق والتبشير والاحتلال وأعوانهم من دعاة العلمانية ، أن تم تنحية الشريعة بصورة كاملة ، وحلت القوانين الوضعية فى المجالات المدنية والجنائية ، وألغيت المحاكم الشرعية وأشرفت الدولة على أوقاف المسلمين ، وسلكت بمواردها مسلكا بعيدا عما وقفت من أجله . وطبع التعليم بطابع علمانى بعيدا عن التربية الإسلامية ، فضلا عن الانهيار السياسى للإسلام بإلغاء الخلافة عام (١٩٢٤) . وكان التيار الإسلامى حينذاك ضعيفا فالأزهر لم يستطع وقفه لقلة إمكاناته وتفرق علمائه . وبجانب الأزهر كانت هناك جهود فردية من بعض أعلام الإسلام أمثال الشيخ رشيد رضا الذى أسس جمعية الدعوة والإرشاد عام (١٩١٢) ، وأنشأ بها مدرسة الدعوة والإرشاد لتخريج الدعاة ، ولكن قيام الحرب العالمية الأولى تسبب فى إغلاقها . وبجانب جمعية مكارم الأخلاق التى كان يرأسها الشيخ محمود محمود ، وجمعية الهداية الإسلامية تضافرت جهود المرحوم محب الدين الخطيب صاحب مجلة الفتح ، والأديب مصطفى صادق الرافعى وعدد ليس بقليل من العلماء والأدباء . وقفوا جميعا يصدون هذا التيار الجارف غير أن جهد هؤلاء جميعا كان مفرقا فلم يكن ذا تأثير ملحوظ ؛ لهذا كانت نشأة الجمعيات الإسلامية لتجميع المسلمين والوقوف بهم فى وجه دعاة العلمنة والتغريب وكشف زيفهم ، ولتعيد مصر وجهها الإسلامى وعروبتها الأصيلة ، ويذكر المرحوم مصطفى صادق الرافعى أن دعاة التجديد ورواد الإلحاد كانوا من الأسباب المباشرة لاستثارة الهمم ويقظة الشعور ، فيقول عنهم :

« إنهم على التحقيق غلطات إنسانية تخرجها الأقدار فى شكل علمى أو أدبى ؛ ليعارض بها صوابا كاد يهمله الناس ، فيخشى الناس أن يتحيف الخطأ صوابهم أو يذهب به فيستمسكون بحبله ، ويشدون عليه ، ويعود ذلك الصواب بعد ظهور الخطأ الذى يقابله بإزائه موقف العدو من العدو ، ومازالت هذه عجيبة حكمة الله فيما يحوط هذا الدين الإسلامى وكتابه الخالد ، فكلما وهن عصر من عصوره رماه الله بزنديق ، فإذا الناس أشد ما كانوا طيرة ، وأبلغ ما كانوا دفعا ومحاماة ، فالمجددون الملحدون هم جزء من الخطأ يخرج من علمه جزء من الصواب »(١) .

---

(١) تحت راية القرآن . مصطفى صادق الرافعى صـ ٨

الفصـــل الرابع

انتشار البدع والخرافات

من العوامل التي كان لها كبير الأثر في نشأة الجمعيات الإسلامية فى مصر انتشار البدع والخرافات ، وتسربها إلى العقائد والعبادات وتعلق الأمة بهما ، حتى اعتقد جمهور المسلمين أنهما جزء من العقيدة ، فتمسكوا بهما وحافظوا عليهما ودافعوا عنهما ، وإنه لمن الواجب خلال ثنايا البحث ، أن أعرف بالبدعة وعوامل انتشارها ومدى خطرها ، وكيف كانت دافعا لنشأة بعض الجمعيات الإسلامية . هذا ومما يجدر ذكره أولا :

أن الرسول ﷺ لم يلتحق بالرفيق الأعلى إلا بعد كمال الدين وتمامه ، ونزل قول الله تعالى : ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا** ﴾ [(١)] .

وقال ﷺ : « ما وجدت شيئا يقربكم إلى الله إلا وقد أمرتكم به وما وجدت شيئا يبعدكم عن الله تعالى إلا وقد نهيتكم عنه » ، وعلى هذا فالعقائد والعبادات لا مجال للابتداع فيها . قال الإمام مالك رحمه الله تعالى : « من ابتدع في الإسلام بدعا يراها حسنة فقد زعم أن محمدا ﷺ قد خان الأمانة ، فما لم يكن يومئذ دينا فلا يكون اليوم دينا »[(٢)] .

---

(١) سورة المائدة آية ٣ .
(٢) الاعتصام : للشاطبى ص ٣٤

تعريف البدعة لغة :

أبدع الله الخلق إبداعا خلقهم لأعلى مثال ومنه قوله تعالى : « بديع السموات والأرض » وأبدعت الشيء وابتدعته . استخرجته وأحدثته ، ومنه قيل للحالة المخالفة بدعة . وهو اسم من الابتداع فيما هو نقص في الدين أو زيادة ، وفلان بدع فى هذا الأمر أى هو أول من فعل ، فيكون اسم فاعل بمعنى مبتدع »[١] .

البدعة شرعا :

اختلف فى تعريف البدعة اختلافا كبيرا ، ومنشأ هذا الاختلاف يرجع إلى تحديد البدعة ، فالبعض يتوسع فى مفهومها لتشمل كل ما أحدث بعد الرسول ﷺ من عبادة أو عادة .

والبعض يقصرها على العبادات فقط ، ومن هنا تنوعت التعريفات وكثرت . غير أنى أعرض للبدعة التعريفين التاليين :

التعريف الأول :

ما ذكره الشاطبى فى كتاب الاعتصام[٢] « هى طريقة فى الدين مخترعة ، تضاهى الشريعة ، يقصد بالسلوك عليها المبالغة فى التعبد لله تعالى»، وقيد هذا التعريف فى الدين لاستخراج ما ابتدع من أمور الدنيا كالعلوم والصناعات فهذا ليس من الابتداع المحرم بل إذا حققت البدع فائدة كانت خيرا ، وإذا أثمرت شرا كانت سيئة وعلى هذا يفهم قول رسول الله ﷺ :

« من سن فى الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة »[٣] .

التعريف الثانى :

« هى ما أحدث بعد النبى ﷺ خيرا كان أو شرا عبادة أو عادة » ، وأصحاب

---

(١) المصباح المنير صـ٥٠

(٢) الإعتصام للشاطبى صـ٣٧

(٣) رواه الإمام مسلم

هذا التعريف يقسمون البدعة إلى قسمين :

بدعة ضلالة وبدعة حسنة ، قال ابن أبى الحديد فى شرح نهج البلاغة : « لفظ البدعة يطلق على مفهومين » :

أحدهما ماخولف به الكتاب والسنة ، والثانى مالم يرد فيه نص بل سكت عنه ففعله المسلمون بعد وفاة الرسول ﷺ وما روى من قول الرسول عليه الصلاة والسلام : « كل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار » محمول على تفسير البدعة بالمفهوم الأول،وقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى صلاة التراويح : « إنها لبدعة ونعمت البدعة هذه محمول على التفسير الثانى . هذا وقد يرد اعتراض على ما أحدثه الصحابة رضوان الله عليهم من أمور تتعلق بالعبادات ، لم تكن على عهد الرسول ﷺ مثال ذلك :

١ ـ جمع الناس على إمام واحد فى قيام رمضان ، وقول عمر رضى الله عنه : نعمت البدعة هذه .
٢ ـ الأذان الثانى للجمعة الذى أحدثه عثمان بن عفان رضى الله عنه على الزوراء .
٣ ـ جمع المصحف فى عهد أبى بكر ثم فى خلافة عثمان رضى الله عنهما . وغير هذا كثير مما لامجال له فى بحثى هذا .

وقد أجيب عن ذلك بما يلى :

١ ـ إن فعل الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم هو من قبيل السنة لقوله ﷺ فيما رواه الترمذى بإسناد حسن صحيح : « عن أبى نجيح العرباض بن سارية رضى الله عنه قال :

« وعظنا رسول الله ﷺ موعظة ، وجلت منها القلوب وذرفت منها الدموع » .

ومما جاء فى هذه الموعظة : « فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ » .

٢ ـ ما أثر عن الصحابة لاسيما الخلفاء الراشدين من أمور من قبيل الابتداع ، ولكن له أصل من القرآن أو السنة يرجع إليه،مثال ذلك : « ما رآه عمر رضى الله عنه حينما جمع الناس على إمام واحد ، وقول أبى بن كعب له : إن هذا لم يكن فقال عمر رضى الله عنه ، قد علمت ولكنه حسن . ومراده أن هذا الفعل لم يكن على هذا الوجه قبل هذا الوقت ، ولكن له أصل فى الشرع يرجع إليه (١) .

وسئل عكرمة عن أم الولد فقال : تعتق بموت سيدها ، قيل بأى شيء تقول ؟ قال : بالقرآن قيل بأى القرآن ؟ قال : قال الله تعالى : « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » (٢) وعمر رضى الله عنه من أولى الأمر .

النهى عن البدع والتحذير من الابتداع :

جاء فى النهى عن الابتداع وذم المبتدعين نصوص من القرآن والسنة ، فمن القرآن قول الله تعالى : (٣) .

١ ـ « وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولاتتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » . فقد قيل فى معنى السبل : إنهم أهل البدع والأهواء .

٢ ـ قال الله تعالى : « إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شيء إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون » (٤) .

فلقد جاء فى تفسيرها فى الحديث عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول

---

(١) جامع العلوم والحكم ـ زين الدين أبى الفرج شهاب الدين صـ٢٥٢

(٢) النساء آية ٥٩

(٣) الأنعام آية (١٥٣)

(٤) الأنعام الآية : (١٥٩)

الله ﷺ « يا عائشة إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا من هم ؟ قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : هم أصحاب الأهواء وأصحاب البدع وأصحاب الضلالة من هذه الأمة » .

ما ورد فى ذم البدعة من السنة مايلى :

١ ـ عن أم المؤمنين أم عبدالله عائشة رضى الله عنها قالت : « قال رسول الله ﷺ : « من أحدث فى أمرنا هذا ماليس منه فهو رد » (١)

٢ ـ عن جابر بن عبدالله رضى الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ كان يقول فى خطبته : « أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار » هذا فضلا عن الكثير من الآيات والأحاديث التى تذم اتباع الهوى ، وإلباس الباطل ثوب الحق ، وبجانب إجماع العلماء من الفقهاء والدعاة على التصدى للبدع والضلالات عبر مسيرة الدعوة الإسلامية .

خطورة البدعة وأضرارها :

إن انتشار البدع يسبب ضلالا فى الاعتقاد وفسادا فى السلوك ، وانحرافا عما أنزله الله وما أمر به الرسول ﷺ ، ويكمن خطر البدعة فيما يلى :

١ ـ أن العقول غير مستقلة بمصالحها نفعا وضرا ؛ لأن العقل عاجز عن إدراك ذاته فكيف يشرع لغيره (٢) .

٢ ـ أن الشريعة قد جاءت كاملة ، فالمبتدع يرى أن الشريعة لم تتم ونزل نفسه منزلة المشرع سبحانه وتعالى .

٣ ـ أن المبتدع معاند للشرع ومشاق لله ولرسوله ، لأن الله حدد لسعادة الإنسان أوجها خاصة قصر البشر عليها بالأمر والنهى والوعد والوعيد ، فابتداع أمور فى الدين وجعلها من قبيل العبادات ضلال ، فكأن المبتدع اغتصب حق الله

---

(١) رواه مسلم .

(٢) الإبداع فى مضار الابتداع ـ الشيخ على محفوظ صـ٩٥

فى التشريع ووقف من الشرع موقف من يعتقد فيه النقص وعدم التمام .

٤ – ما تحدثه البدعة من أثر سيىء فى النفوس ، ولقد تحدث المرحوم الشيخ محمود شلتوت عن أضرار البدعة فقال : « لو أن مضار الابتداع تقف عند المبتدع ولا تتعداه إلى غيره لهان الأمر وسهل الخطب ، ولكن مضار الابتداع منها ما يصيب المبتدع ، ومنها ما يصيبه ويصيب أتباعه فى العمل بالبدعة ، ومنها ما يصيب الدين نفسه ، ومنها ما يصيب الأمة التى وقع الابتداع فى دينها » (١) .

عوامل انتشارالبدع :

توجد عوامل كثيرة لانتشار البدعة وسيطرة الخرافة منها :

١ – جهل الناس بأحكام الدين وميلهم إلى التقليد ، واعتقاد العامة العصمة فى غير المعصوم .

٢ – تهاون بعض العلماء فى إنكار البدعة،بل إن البعض يشارك فيها ؛ ولهذا يشتد تمسك الناس بها بحجة أنهم توارثوها ، وأن الكثير من العلماء قد شاهدوها وخالطوا أهلها ولم ينكروا أمرها ، وذلك كبدع المساجد والموالد والمآتم والعادات والتقاليد ، التى ما أنزل الله بها من قرآن ولا ذكرت فى سنة قولية أو فعلية ، ومع هذا ترتكب أمام بعض الدعاة دون اعتراض ، وللإنصاف نقول : إن الكثير من علماء الأزهر تصدى للبدع والخرافات،ومن هؤلاء :

فضيلة الشيخ المرحوم على محفوظ الذى ألف كتابه القيم « الإبداع فى مضار الابتداع » والشيخ الإمام المرحوم محمود خطاب السبكى وأتباعه من علماء الجمعية الشرعية ، والشيخ رشيد رضا ، والشيخ محمود أبو العيون وغيرهم كثير وكثير غير أن جهد هؤلاء كان مفرقا . لهذا اتجه المسلمون لإنشاء الجمعيات الإسلامية وأجمعوا أمرهم على محاربة البدع والمنكرات ، والعودة بالعقيدة إلى نقائها وصفائها وما درجت عليه منذ عهد النبوة والخلفاء الراشدين ، واختطت كل جمعية منهجا خاصا إزاء البدع سيتضح خلال البحث إن شاء الله .

---

(١) البدعة – أسبابها ومظاهرها – الشيخ محمود شلتوت صد٢٢

الفصـل الخامـس
الأزهر ونشأة الجمعيات الإسلامية

كان الأزهر ـ ولايزال ـ حصن اللغة وقلعة الإسلام والمحافظ على القرآن والمدافع عن السنة ، ولا ينكر دور الأزهر إلا جاحد ، فتاريخه العريق وجهاده المتألق دليل صدق وشاهد عدل على ما نقول ، ولقد سبق أثناء التمهيد للكتاب ما يؤكد هذا . والجمعيات الإسلامية التى ظهرت فى ميدان الدعوة خلال القرن المنصرم انبثقت من الأزهر فهى إما أن يكون مؤسسوها أزهريين أو يعتمد جل نشاطها على علماء الأزهر . فالجمعية الشرعية مؤسسها عالم أزهرى هو المرحوم الشيخ محمود خطاب ، وخلفاؤه نجله الشيخ أمين وحفيده الشيخ يوسف والإمام الحالى الشيخ عبداللطيف مشتهرى الجميع من علماء الأزهر .

وجمعية أنصار السنة المحمدية أسسها عالم أزهرى هو المرحوم الشيخ حامد الفقى ، ومن رؤسائها الشيخ عبدالرازق عفيفى ، والشيخ عبدالرحمن الوكيل ، ومن أعلامها فضيلة المرحوم الدكتور محمد خليل هراس ، والجميع من علماء الأزهر ، ولقد ضمت جماعة الأخوان المسلمين العديد من علماء الأزهر أمثال الشيخ محمد الأودن ، والشيخ أحمد حسن الباقورى ، والشيخ محمد الغزالى ، والشيخ سيد سابق والكثير من العلماء .

وجمعية الإخوان المسلمين كانت جمعيتها التأسيسية تضم النخبة والصفوة من علماء الأزهر ، وكان الشيخ عبدالعزيز جاويش نائبا لرئيسها، وكانت دارها ملتقى جهابذة العلماء من الدعاة ، للمحاضرة فيها والكتابة فى مجلتها أمثال : فضيلة الشيخ المرحوم

محمد الخضر حسين ، والشيخ مصطفى المراغى ، والشيخ محمد عبداللطيف دراز والشيخ عبدالوهاب النجار وغيرهم كثيرون . غير أن مشاركة هؤلاء الأعلام فى نشأة تلك الجمعيات والمشاركة فى أنشطتها كانت عملا فرديا وجهدا ذاتيا من هؤلاء العلماء الأزهريين .

ولم يكن الأزهر كهيئة دينية يوجه إلى هذا رسميا أو يعمل على تعميق الصلة بينه وبين تلك الجمعيات ، ويتعاون معها فى ميدان الدعوة . وفى الحقيقة لقد تضافرت عوامل كثيرة جمدت نشاط الأزهر وقيدت حركته ، ولم تمكنه من احتواء الدعوة والدعاة ، والتصدى لأعداء الإسلام على وجه كاف وشاف . وهذه العوامل منها ماليس للأزهر فيه يد وإنما فرضت عليه فرضا . ومنها ما كان الأزهر سببا فيه .

أولا : العوامل الخارجية التى عاقت الأزهر وهى :

١ ــ استيلاء محمد على باشا على أوقاف الأزهر وفرض رواتب شهرية لاتتجاوز الكفاف ، ومنذ هذه الفترة وحتى الآن أصبحت الدعوة وظيفة لا رسالة لدى البعض من العلماء ، وغدت الكلمة رهينة بلقمة العيش فقل تأثيرها وانعدم جدواها ، وفى الوقت نفسه كان يغدق على إرساليات التبشير ومراكز الاستشراق مما سبق ذكره ، ومازال استرداد أوقاف الأزهر أملا يراوده .

يقول المرحوم الدكتور عبدالحليم محمود : « لقد كان موقوفا على الأزهر ما لايكاد يحصى من الأموال ، وكان الأزهر يعيش فى حدود أوقافه كريم النفس رافع الرأس ، وكان صدر الحاكمين يضيق أحيانا فما كان لهم إلى إخضاع الأزهر من سبيل إلا من ناحية الرزق ، حتى أمكنهم بالمكر والخديعة أن يستولوا على أوقاف الأزهر ، ويعطوه مالا من خزائن الدولة يضيق عليه سنويا » ولهذا كانت اليقظة الإسلامية تبعد عن قيد الوظيفة وغير مرتهنة بلقمة العيش . فكانت جليلة الأثر عظيمة الصدى .

٢ ــ نجح الاحتلال وأعوانه كما سبق فى حرب اللغة العربية وإبعاد الشريعة عن توجيه

---

(١) حركة اليقظة أنور الجندى صـ١٠٥

الأمة فانعكس هذا على العلماء ، فقلت الحاجة إليهم وانعطفوا بعيدا عن ميدان الدعوة ، ولقد أحكم أعداء الإسلام خطة الإطباق على الأزهر ، وذلك بالسخرية من عالم الدين والنيل منه بأسلوب ساخر ومهين،فتوارى عالم الأزهر عن مزاحمة أجهزة الإعلام ، ثم امتدت إليه الأيدى باسم التطوير ، فضعف خريجوه من الدعاة وقل مستواهم ، فأصبح الميدان شاغرا للجمعيات الإسلامية ، لكى تنطلق بالدعوة إلى آفاق أوسع وأشمل ، وغدت الجمعيات الإسلامية أقدر على الحركة والتوجيه والاحتواء ، وظهر أثر هذا واضحا لدى الآلاف من فتيان الجامعات وفتياتها ، من عودة إلى الإسلام فى المظهر والسلوك .

٣ ــ خلال تاريخ الأزهر العريق وحتى قبيل حملة نابليون عام (١٧٩٨ م) كان الأزهر هو فارس الميدان الذى لاينازعه منازع ، الأمة تسمع له فى إجلال واحترام،والحكام يصغون إليه فى توقير وتكريم ، ثم تتابعت على الساحة أجهزة مكن لها ، فظهرت الصحافة،ثم تطور الأمر فانتشر المسرح والسينما والتلفاز ، وأخرجت هذه الأجهزة الفارس من ميدانه وانتزعت منه أزمة التوجيه . ودفعت به بعيدا فلم يعد يملك سوى المسجد فقط ، يفد إليه جموع العجزة والمسنين،أما ماعدا ذلك من جموع المسلمين فلقد احتوتهم أجهزة الإعلام كالأخطبوط تفرض عليهم الأدب الهابط والفن الداعر ، وقد تتاح لبعض الدعاة من الأزهريين فرصة التوجيه من خلال هذه الأجهزة،ولكنها فرص قليلة لا تفى بالغرض ، ومن ثم كان رد الفعل قيام الجمعيات الدينية لتؤازر الأزهر فى ميدان الدعوة ، وسنرى مدى نجاحها فى هذا المضمار خلال البحث إن شاء الله .

ثانيـاً : العوامل الداخلية للأزهر :

بجانب العوامل السابقة التى فرضت على الأزهر ، فهناك أسباب من داخل الأزهر لم تمكنه من احتواء الدعوة والانطلاق بها ، لتسيطر على الأمة فى سلوكها وتشريعاتها ، ومن هذه الأسباب مايلى :

١ ــ أن الأزهر منذ مطلع عصر النهضة وعقب الحملة الفرنسية على مصر ، لم يأخذ

زمام المبادرة والمبادأة بتطويع الأمة لتطبيق شرع الله ، وأن إبطاء العلماء فى تقنين الشريعة الإسلامية ، جعل الخديو إسماعيل يفرض القانون الفرنسى محل التشريع الإسلامى ، وشغل الأزهر بقضايا علمية وفكرية أبعدته عن مجالات التشريع والقضاء .

٢ - عدم الحسم فى مواجهة البدع بالتصدى لها ، أو استعداء الدولة،فحينما انتشرت البدعة وسيطرت الخرافة حوربت من العلماء كأفراد يتحركون من واقع مسئوليتهم تجاه الدعوة وتاريخ الأزهر كهيئة رسمية لم يكن حاسما بل التزم الصمت بل تعداه فى بعض الأحيان إلى المشاركة ، كما يحدث فى المساجد وخلال الموالد والمآتم وغيرها من أمور تتنافى مع الإسلام ، ولقد كان فى إمكان الأزهر وضع ضوابط من خلالها يتحرك العالم فى مجال الدعوة ، بأن يبين له الأمور التى يجب أن ينأى عنها وإن تعارف الناس عليها ، ويكون هذا موقفا رسميا بدلا من التضارب والاختلاف بين الدعاة فى أمور كثيرة ، يتأرجحون فيها بين التأييد والاعتراض والإباحة والمنع ؛مما يفقد الناس الثقة فى الدعاة،فضلا عن أن الأزهر لم يوفر الحماية لدعاته حينما يتعرضون للأذى بسبب صدعهم بكلمة الحق ومحاربتهم للمبتدعات .

٣ - عقب النهضة الصناعية حدث تطور اجتماعى كبير فاتصلت الأمم بعضها ببعض اتصالا مباشرا وأصبحت الأجهزة المرئية والمسموعة تنقل ما يدور فى أى مكان لحظة وقوعه ، وتشابكت الدول اقتصاديا وفكريا وسياسيا ، وبرز العديد من القضايا سواء فى مجال الفكر أو الاقتصاد أو السياسة أو الاجتماع ، وكان العديد من هذا الفكر ينأى عن جوهر الإسلام ونقاء العقيدة وكان يهمس بهذا الفكر فى مطلع القرن الرابع عشر همسا . وكان فى إمكان الأزهر القضاء على هذا الهمس المريب ، ووأده فى حينه وإعطاء المفهوم الإسلامى لمختلف القضايا ، غير أنه لم يفعل . بل إنه كهيئة دينية كان من الواجب أن ينأى بنفسه عن أى مظهر من مظاهر المخالفة للإسلام ، لاسيما المعاملات المالية ، ولكن يلاحظ أنه يخضع للأنظمة الاقتصادية ، بما فيها من تعامل بالربا المحرم كالتأمين وفوائده والقروض،واستبدال المعاش..أمور كثيرة كان من الواجب على الأزهر أن يبتعد

عنها ، ويكون له استقلاله المالى المنزه عن الحرام . فإن فعل هذا كان نموذجا طيبا ومثالا حسنا .

٤ ـ خلال هذا القرن المنصرم لم يوسع الأزهر دائرة تحركه واقتصر جهاز الدعوة فيه على المساجدوتركت الجامعات والمصانع والأندية ، فاستولت عليها التيارات الإلحادية . ولهذا تحركت الجمعيات الإسلامية فى هذه المجالات ونجحت فى احتوائها إسلاميا ، وإن ظاهرة التدين بين الشباب والفتيات والانضباط فى السلوك والخلق يرجع الفضل فيها إلى الله أولا الذى تكفل بحفظ دينه ، ثم إلى الجمعيات الإسلامية، هذه العوامل من داخل الأزهر ، فضلا عن العوامل السالفة الذكر ، كانت سببا فى تقييد الأزهر وتعويقه عن إبراز دوره فى قيادة وتوجيه الدعوة الإسلامية ، كما ينبغى على الوجه الأكمل ، وكانت هذه الأسباب دافعا لنشأة الجمعيات الإسلامية ، مما سبق ذكره خلال فصول هذا الباب تتضح الأسباب الرئيسية لنشأة الجمعيات الإسلامية فى مصر خلال القرن الرابع عشر الهجرى .

البـــاب الثانى

الجمعيات الإسلامية ودورها فى نشــر الدعــوة

ويشتمل على الفصول التالية :

الفصل الأول : الجمعية الشرعية

الفصل الثانى : جماعة أنصار السنة المحمدية

الفصل الثالث: الشبـــان المسلمون

الفصل الرابع : الإخوان المسلمون

الباب الثاني

الجمعيات الإسلامية ودورها في نشر الدعوة

تمهيد :

لقد تكفل الله بحفظ دينه ، وعصمه من عوادى السنين وتقلب الأيام ، لأنه هو الدين الخاتم حتى يرث الله الأرض ومن عليها قال تعالى : ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾ (١) .

ومن عوامل حفظه وأمارات استمراره أن الله سبحانه وتعالى يقيض لهذا الدين من يرفع لواءه ويحمل رايته ويذب عنه ويدعو إليه مصداقا لقول الرسول ﷺ ، « يبعث الله على رأس كل مائة سنة من يجدد لهذه الأمة أمر دينها » (٢) وإن تاريخ الجمعيات الإسلامية جزء من حركة الدعوة ، وعلامة من علاماتها البارزة خلال القرن الرابع عشر الهجري . ولقد تطور أمر هذه الجمعيات فبينما كان عددها لا يتجاوز أصابع اليد في مطلع هذا القرن ، نراها في نهايته تصبح وفق إحصاء وزارة الشئون الاجتماعية ما يقرب من ألف وخمسمائة جمعية . تعددت أنشطتها واختلفت مناهجها وتنوعت أساليبها . هذا وإن من المتعذر على المؤلف أن يتتبع هذا العدد الضخم من تلك الجمعيات ؛ لهذا رأيت أن أقتصر في كتابي على الجمعيات التي حملت الدعوة زهاء نصف

---

(١) سورة الحجر آية ٩ .
(٢) رواه البيهقى والحاكم .

قرن أو يزيد ، غير متعرض لجمعيات ظهرت لفترة زمنية ثم طوى لواؤها مثل : جمعية الهداية الإسلامية ، وجمعية مكارم الأخلاق ، وجمعية جبهة علماء الأزهر وغيرها .

وكذلك الجمعيات التى اتسم نشاطها بطابع اجتماعى أو خيرى فقط فهذه ما أكثرها . ولكن وجهت جل بحثى لتلك الجمعيات التى عنيت بتربية الرجال وصقل العقول ، وكانت كل جمعية تعتبر بحق مدرسة للدعوة والدعاة ، وكان لكل منها نهج خاص وأسلوب معين حرى بالدراسة وجدير بالبحث .

ولو قدر لهذه الجمعيات أن توحد صفوفها على كلمة سواء وتناست الخلافات الفرعية والآراء الشخصية ، لتمخض القرن الرابع عشر عن حركة متألقة للدعوة الإسلامية . غير أن ما عليه تلك الجمعيات – كما سيتضح إن شاء الله – أضعف من حركة الدعوة الإسلامية وقلل من قدرتها على مواجهة تحدى أعداء الإسلام مواجهة حاسمة ، لهذا اقتصر البحث على الجمعيات الرئيسية التالية :

١ – الجمعية الشرعية لتعاون العاملين بالكتاب والسنة .
٢ – جمعية أنصار السنة المحمدية .
٣ – الشبان المسلمون .
٤ – الإخوان المسلمون .

فهذه الجمعيات تعتبر الجمعيات الأم للعديد من الجمعيات الأخرى ، فجماعة شباب سيدنا محمد ﷺ هى وليدة الإخوان المسلمين ، وكذلك ما أطلق عليه جماعة التكفير والهجرة ، نبتت بين غياهب سجن الإخوان ، وجماعة دعوة الحق هى جزء من جماعة أنصار السنة المحمدية ، فضلا عن الجماعات الإسلامية التى انبثقت بين شباب الجامعات والطبقات المثقفة ، كالجهاد والتبليغ وغيرها ، والعديد من الجماعات الإسلامية التى ظهرت فى حقبة عام ثلاثة وسبعين وتسعمائة وألف . والتى أصبحت تمثل تطورا فى حركة الدعوة الإسلامية وتعميق الانتماء الإسلامى . كل هذه التطورات يرجع الفضل فيها

لله سبحانه وتعالى ، ثم لتلك الجمعيات موضوع هذا الباب وسيتناول العرض لكل جمعية النقاط التالية :

أولا : التعريف بمؤسس الجمعية ، والإلمام الموجز بروادها الذين تولوا إمامتها بعد مؤسسها .

ثانيا : البناء التنظيمى لكل جمعية .

ثالثا : أهداف الجمعية .

رابعا : منهج كل جمعية لتحقيق أهدافها .

خامسا : الاتجاهات العلمية والعملية لكل جمعية .

سادسا : التقييم الموضوعى للجمعية .

هذا وقبل أن أستطرد فى هذه الموضوعات ، فينبغى أن أصحح خطأ لغويا تعورف ، هذا الخطأ هو إطلاق لفظ « جمعية » والأصح لغويا هو : مجمع أو مَجْمِع أو مَجْمَعة إذا أريد مكان الاجتماع .

أو جمع أو جماعة إذا أريد المجتمعون ، ولكى يتضح ما ذهبت إليه فسوف أستشهد بمعاجم اللغة العربية جاء فى لسان العرب : (١) .

جمع : جمع الشىء عن تفرقة يجمعه جمعا وجمعه وأجمعه فاجتمع .

والجمع : اسم لجماعة الناس وهو مصدر قولك جمعت الشىء .

والجمع : المجتمعون وجمعه جموع .

والجماعة والجميع والمجتمع والمَجْمَعة كالجمع والمَجْمَع يطلق على الموضوع .

والمجمعة : مجلس الاجتماع — قال زهير :

وتوقد ناركم شررا ويرفع لكم في كل مجمعة لواء

وجاء فى دائرة المعارف الاسلامية : (٢) .

جماعة : معناها لغة تأليف المفترق أو الوحدة .

---

(١) لسان العرب — لابن منظور ج ٨ ص ٦٧٨

(٢) المجلد ٧ صـ٩٤

واصطلاحا : تدل على جماعة المسلمين ، تمييزا لهم عن المارقين وهم الخارجون على هذه الجماعة .

لهذا فطنت الجماعات الإسلامية التى ظهرت فى أواخر القرن الرابع عشر الهجرى إلى هذا الخطأ اللغوى فأطلقت لفظ جماعة وأضافتها إلى ما تريد أن تتسمى به دون لفظ جمعية الذى تعورف عليه ، مع مطلع القرن الرابع عشر الهجرى .

الفصل الأول

الجمعية الشرعية *

أسست فى

غرة المحرم عام ١٣٣١ هـ

الموافق ديسمبر عام ١٩١٣ م

ويضم الموضوعات التالية :

الأول : التعريف بالإمام محمود خطاب السبكى وأئمة الجمعية

الثانى : البناء التنظيمى للجمعية

الثالث : أهداف الجمعية الشرعية ومنهجها فى الدعوة

الرابع : الاتجاهات الفكرية والعملية للجمعية

الخامس : الجمعية الشرعية فى الميزان

الفصل الأول

الجمعية الشرعية

تعتبر الجمعية الشرعية من الجمعيات التي كان لها ولا يزال الدور الرائد والنشط في حقل الدعوة الإسلامية ، خلال القرن الرابع عشر الهجرى ، فدعاتها ومؤسساتها ومساجدها تتسم بالنشاط الدائم والجهد المستمر . وأعضاؤها يتميزون بالطابع الإسلامي المحافظ على السنة في القول والعمل . وقبل أن نلقى نظرة متأنية على تاريخها ومناهجها وأسلوبها ، يجدر أن نصدر مباحث هذا الفصل بالتعريف بالمؤسس للجمعية الشرعية ، وهو المرحوم الإمام الشيخ محمود خطاب السبكى ، فهو المؤسس لها ومؤلفاته العلمية ، وجهاده في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، هما المنار الذي ينهل منه أعضاء الجمعية الشرعية ، منذ ما يقرب من سبعين عاما .

التعريف بالإمام محمود خطاب السبكى

وأئمة الجمعية

(١٢٧٤ هـ ــ ١٣٥٣ هـ)

١ ــ نسبه : أبو محمد محمود بن محمد بن أحمد بن خطاب السبكى [1] .

٢ ــ مولده : ولد رحمه الله ببلدة سبك الأحد إحدى قرى مركز أشمون محافظة المنوفية ،

---

(١) الدين الخالص ص ٢ .

عام أربعة وسبعين ومائتين وألف من الهجرة .

٣ ـ نشأته: نشأ رحمه الله فى أسرة ميسورة الحال ، وكان أخا لستة من الأشقاء انصرف بعضهم لطلب العلم ، وانقطع المترجم له إلى أعمال الحقل والزراعة .

غير أنه على عادة أهل الريف حينذاك كانوا يختلفون إلى أرباب الطرق الصوفية ، « فاتصل رحمه الله بالشيخ أبى محمد أحمد بن محمد بن جبل السبكى الخلوق »[(١)] وكان اتصاله بالشيخ فاتحة خير . فتعلم القراءة والكتابة ، حتى طلب لأداء الخدمة العسكرية فصحبه أخوه إلى الأزهر ؛ لكى يعفى من التجنيد إلا أن الإمام رحمه الله شغف بالأزهر وطلب العلم رغم تجاوزه العقد الثانى من العمر ، ولقد فتح الله عليه فحصل من العلوم والمعارف ، ما جعله يبز أقرانه فحصل على الإجازة العالمية عام ١٣١٣هـ ، بعد أن أدى الامتحان أمام لجنة برئاسة المرحوم الشيخ حسونة النواوى شيخ الأزهر .

وبعد حصوله على شهادة العالمية أخذ يلقى دروسه فى الأزهر الشريف ، ولم يقتصر على هذا بل اتجه إلى محاربة البدع والضلالات ، ونحا فى هذا المضمار منهجا عمليا وعلميا : فالمنهج العملى يتركز فى تأسيسه للجمعية الشرعية عام ١٣٣١هـ ـ ١٩١٣م أما المنهج العلمى فهو منبث بين ثنايا مؤلفاته العلمية الكثيرة التى منها مايلى :

١ ـ أعذب المسالك المحمودية فى التصوف والأحكام الفقهية،أربعة أجزاء .
٢ ـ حكمة البصير على مجموع الأمير(فقه الإمام مالك ـ أربعة أجزاء).
٣ ـ هداية الأمة المحمدية فى الحكم المحمودية السنية .
٤ ـ إصابة السهام فؤاد من حاد عن سنة خير الأنام .
٥ ـ تحفة الأبصار والبصائر فى بيان كيفية السير مع الجنازة إلى المقابر .
٦ ـ الرسالة البديعة فى الرد على من طغى فخالف الشريعة .
٧ ـ حاشية وديباجة الرسالة البديعة .
٨ ـ المقالة الشرعية للرئاسة الإسلامية .

---

(١) مقدمة المنهل العذب المورود صـ٣

٩ – غاية التبيان لما به ثبوت الصيام والإفطار فى رمضان .
١٠ – العهد الوثيق لمن أراد سلوك أحسن طريق .
١١ – النصيحة النونية فى الحث على العمل بالشريعة المحمدية .
١٢ – تعجيل القضاء المبرم « لمحق من سعى ضد سنة الرسول الأعظم ».
١٣ – سيوف إزالة الجهالة عن طريق سنة صاحب الرسالة .
١٤ – فصل القضية فى المرافعات وصور التوقيعات والدعاوى الشرعية .
١٥ – المقامات العلية فى النشأة الفخيمة النبوية .
١٦ – السم الفعال فى أمعاء فرق الضلال .
١٧ – الصارم الرنان من كلام سيد ولد عدنان .
١٨ – العضب المنظوم للذب عن سنة المعصوم .
١٩ – الرياض القرآنية فى الخطب المنبرية .
٢٠ – خلاصة الزاد لمن أراد سلوك سبيل الرشاد .
٢١ – رسالة البسملة .
٢٢ – رسالة مبادىءالعلوم .
٢٣ – الحكم الإلهي بالدلائل القرآنية فى الخطب المنبرية .
٢٤ – إتحاف الكائنات ببيان مذهب السلف والخلف فى المتشابهات .
٢٥ – المنهل العذب المورود فى شرح سنن الإمام أبى داود،عشرة أجزاء .
٢٦ – الدين الخالص أو إرشاد الخلق إلى دين الحق،فى ستة أجزاء .
٢٧ – محور الوصول إلى حضرة الرسول .

وظل رحمه الله يؤدى رسالته بالتدريس فى الأزهر ، حتى أحيل للتقاعد عام (١٣٥٠هـ –١٩٣١م) ولم يركن إلى الدعة والكسل ، أو يخلد للراحة ولكنه استمر فى تدعيم الجمعية الشرعية ، مربيا لدعاتها ومؤسسا لمساجدها ومؤسساتها ، حتى اختاره الله إلى جواره يوم الجمعة (١٤ ربيع الأول عام ١٣٥٣ هـ – ٧ يولية عام ١٩٣٣م) [١] وعقب وفاته بويع نجله المرحوم الشيخ أمين محمود خطاب إماما للجمعية الشرعية .

(١) الدين الخالص جـ١ صـ٢٠

التعريف الموجز بأئمة الجمعية :

الشيخ أمين محمود خطاب :

مـولـده : ولد بسبك الأحد عام (١٣٠٤هـ - ١٨٨٦م) [١]

طلبه للعلم: حفظ القرآن الكريم فى كتاب القرية والتحق بالأزهر عام (١٣١٤ هـ - ١٨٩٦م) ، وحصل على العالمية عام (١٣٢٩ هـ - ١٩١١م) ، وبجانب دراسته الأزهرية ، فلقد نال قصب السبق فى العلوم الحديثة لاسيما التاريخ والجغرافيا ، ولقد مارس التدريس بالأزهر الشريف بالقاهرة فى عهد المرحوم الشيخ سليم البشرى شيخ الأزهر وانتقل إلى أسيوط عام (١٣٤١هـ) ثم الزقازيق عام (١٩٣٠م) ، ثم اختير مدرسا فى كلية أصول الدين بشعبة الوعظ والإرشاد ، وعقب وفاة والده بويع إماما للجمعية الشرعية وقام بدور نشط فى المجالات الآتية :

١ - الوعـــظ .

٢ - التأليــف .

٣ - إدارته للوقف الخاص بالجمعية .

٤ - رئاسته لمجلس إدارة الجمعية وظل يؤدى رسالته حتى وافاه الأجل فى (٢٧ ذى القعدة ١٣٨٧ هـ - ٢٩ فبراير ١٩٦٨م) ، وعقب وفاته بويع نجله المرحوم الشيخ يوسف أمين إماما للجمعية .

مؤلفات الشيخ أمين خطاب :

لقد خلف رحمه الله العديد من المؤلفات العلمية ، فضلا عن تربيته العملية لأعضاء الجمعية ، ومن المؤلفات العلمية مايلى :

١ - منحة الرحمن فى فقه النعمان .

٢ - فتح الملك الجليل بتمسير بعض آيات التنزيل .

٣ - المصباح المنير فى شرح أحاديث البشير .

---

(١) ترجمة لحياة الشيخ أمين تأليف الشيخ أبوالقاسم إبراهيم صـ٣١ مخطوط مصور .

٤ ـ إرشاد الرائض إلى علم الفرائض .
٥ ـ إرشاد الناسك إلى أعمال المناسك .
٦ ـ فتح الملك المعبود تكملة المنهج العذب المورود (شرح سنن الإمام أبى داود) .
٧ ـ فتح الملك المبين لتتميم فتاوى أئمة المسلمين .
٨ ـ الإتحافات الإلهية لتخريج أحاديث هداية الأمة المحمدية .
٩ ـ الفتاوى الأمينية .
١٠ ـ الجداول الجغرافية لطلبة المعاهد الدينية

هذا بجانب بعض المؤلفات الأخرى التى مازالت مخطوطة .

الشيخ يوسف أمين خطاب .

مولده : ولد بسبك الأحد عام (١٩٠٥م) [١] .

نشأته : حفظ القرآن الكريم فى كتاب القرية ، وحينما بلغ الثامنة من عمره التحق بمدرسة المساعى المشكورة ، فمكث حتى الصف الرابع ثم انتقل إلى القاهرة مع والده وحده وفى عام (١٩١٩م) ، دخل رحمه الله الأزهر ولكن لم يطل به المقام فانتقل إلى مدرسة دار العلوم ، ومكث بها أربع سنوات وأخذ شهادة البكالوريا عام (١٩٢٧ م) ، ثم التحق بمدرسة دار العلوم العليا ، وبعد تخرجه عين مدرسا وظل يترقى فى السلم الوظيفى ، حتى صار موجها بوزارة التربية والتعليم.وحنيما انتقل والده- رحمه الله- إلى الرفيق الاعلى اختير إماما للجمعية الشرعية ، فسار على نفس المنهج واتسمت حياته بالنشاط الإرشادى ، فكان له دروس دينية ثابتة يقصدها الرواد من كل مكان ، كما كان يقوم بتدريس علم الحديث بمعهد الإمامة ، بجانب كتاباته فى الصحف والمجلات الإسلامية ، وظل يؤدى رسالته حتى وافاه الأجل فى (٢٠ صفر عام ١٣٧٦ هـ ـ أول مارس

(١) فضيلة الشيخ يوسف ـ رحلة حياته تأليف أحمد محمد خطاب صـ١١

١٩٧٦م) ،[١] وعقب وفاته بويع الشيخ عبداللطيف مشتهرى إماما ، للجمعية .

الشيخ عبداللطيف مشتهرى إبراهيم :

مولـده : ولد فى أغسطس عام (١٩١٥م) فى قرية كوم حلين مركز منيا القمح محافظة الشرقية .

طلبه للعلم : حفظ القرآن الكريم فى كتاب القرية ، والتحق بمعهد الزقازيق ومنذ التحاقه بالمعهد وهو ملتزم بمنهج الجمعية الشرعية حيث تعرف إلى الشيخ حسين القلعى المدرس بالمعهد ، وزميل الشيخ أمين خطاب ، ولقد تخرج فى الأزهر عام (١٩٤٤ م) وكان أول دفعته ، وأقيم له مع أوائل الخريجين حفل فى قصر عابدين و لم ينحن للملك فاروق أو يقبل يده رغم تشدد الديوان الملكى فى ذلك[٢] ، ولقد عين بالأزهر وظل يتدرج فى المناصب حتى صار وكيلا لإدارة الوعظ والإرشاد والشيخ أطال الله عمره من الدعاة المخلصين والخطباء الموهوبين ، وله فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر صولات وجولات . وهو يعتبر أول إمام للجمعية الشرعية من غير آل خطاب ، وهو ينتسب إليهم انتساب الفكرة والهدف فيقول :

« أنا عبداللطيف الضعيف من الشرقية ، ولكن الناس منذ خمسين عاما نسوا أنى من الشرقية ، وقالوا عنى : إنه عبد اللطيف السبكى »[٣] .

مؤلفات الشيخ مشتهرى

١ ـ تحديد الملكية أمام الدين والعقل والقانون .

٢ ـ مدرسة الصوم .

(١) المرجع السابق صـ٣٧

(٢) ترجمة الشيخ مشتهرى بقلم أحمد محمود خطاب صـ١٢٨ مخطوط مصور .

(٣) المرجع السابق صـ١٢٩

٣ - سيد الشباب .
٤ - الإيمان والمؤمنون .
٥ - فضل رمضان وأحكام الصيام .
٦ - شريعة الله فى الصوم والصلاة .
٧ - الدنيا والآخرة على طريق الإسلام .
٨ - المسجد الأقصى ومعركة النصر والفتح .
٩ - من أنوار القرآن الكريم .
١٠ - أنت تسأل والإسلام يجيب .
١١ - التذكير بآيات الله فى النفس من البداية إلى النهاية .
١٢ - هذه دعوتنا .

وبعد فهذه ترجمة موجزة لأئمة الجمعية الشرعية ، وبجانبهم وجد لفيف من العلماء والدعاة حفلت بهم الجمعية على مدار تاريخها .

البناء التنظيمى للجمعية الشرعية

قبل أن نذكر أهداف الجمعية الشرعية ومنهجها ، يجدر أن نلقى نظرة على الهيكل التنظيمى لها ، فمن خلال دقة التنظيم وحسن البناء تنجح الجماعة فى رسالتها ، ولقد أسست الجمعية الشرعية على النظم التالية :

أولاً : المركز الرئيسى بالقاهرة ومقره بشارع الجلاء ، وكان قبل هذا فى الخيامية بالغورية حيث منزل محمود خطاب ومسجده . ويتكون مجلس الإدارة الذى يرأسه إمام الجمعية الشرعية ، ولقد تم إنشاء مكتب استشارى يتكون من كل من :

المستشار الدينى والاجتماعى والقانونى والمالى ، هذا بجانب اللجان المختلفة كلجنة الحج والزكاة والبحوث والعلاقات العامة والشباب ولجنة المصالحات ولجنة الإشراف على المجلة .

ثانيًا : الفروع :

للجمعية الشرعية فروع رئيسية وعددها يقرب من مائة وثمانين فرعا وهذه الأفرع مسجلة بوزارة الشئون الاجتماعية ، وتلتزم بقانون الجمعيات والمؤسسات الخاصة ، وينظم هذه الفروع مجلس إدارة يتكون من تسعة أفراد إلى خمسة عشر فردا .

ثالثا: المكاتب

لكل فرع من الأفرع السابقة عدد من المكاتب ، لكل منها مجلس إدارة

يتكون من سبعة أفراد إلى تسعة أفراد ويبلغ عدد هذه المكاتب ٢٢٠٠ (ألفين ومائتى) مكتب ، تكاد تغطى مساحة مصر . والفروع والمكاتب ترتبط بالمركز الرئيسى بالقاهرة ومن خلال الفروع والمكاتب يتركز جهد الجمعية الشرعية فى المجالات الآتية :

١ - المساجـــد .
٢ - مدارس تحفيظ القرآن .
٣ - دور حضانة الطفل المسلم .
٤ - مدارس ابتدائية وإعدادية وثانوية .
٥ - المستوصفات ودور العلاج .

الشروط التى ينبغى أن تتوافر فى عضو الجمعية : [١]

يوضح قانون الجمعية الشرعية فى المادة (١٣) الشروط التى يجب توافرها فى عضو الجمعية وهذه الشروط هى :

١ - كل مسلم قبل أغراض الجمعية ومبادئها حسن السير والسلوك ، ولم يصدر فى حقه حكم قضائى مخل بالشرف ، ولم يحرم من مباشرة حقوقه السياسية ولا يقل عمره عن واحد وعشرين عاما .

٢ - أن يوافق مجلس الإدارة على طلبه ، وأن يواظب على دفع الاشتراكات الشهرية .

كذلك أوضح قانون الجمعية الحالات التى تزول فيها العضوية ومنها مايلى :

١ - إذا تأخر فى دفع الاشتراكات .
٢ - إذا اتخذ من عضويته سبيلا للطعن فى الجمعية أو حاول الإضرار بها .
٣ - إذا صدر فى حق العضو أحكام مخلة بالشرف أو الكرامة ، أو صدر قرار بحرمانه من استعمال حقوقه السياسة .
٤ - إذا استعمل انضمامه للجمعية لغرض شخصى [٢] .

---

(١) قانون الجمعية الشرعية صـ٧

(٢) قانون الجمعية الشرعية صـ٤

هذه الشروط سالفة الذكر مع التطبيق العملى والالتزام بالمنهج ، تتضح معالم رجل الجمعية الشرعية فضلا عما يلتزم به من ارتداء العمامة ، وإرسال العذبة وحسن معاملته ، لاسيما المعاملات المادية مما يجعله مصدر ثقة الناس ومحل رضاهم ، ويعتبر هذا من أكبر عوامل انتشار الجمعية الشرعية .

أهداف الجمعية الشرعية ومنهجها
فى الدعـوة إلى الله

أ ـ أهداف الجمعية :

تنحصر أهداف الجمعية فى النقاط التى اشتمل عليها قانونها وهى [1] .

١ ـ نشر التعاليم الدينية الصحيحة الخالية من البدع والخرافات .

٢ ـ تحفيظ القرآن الكريم والعمل على انتشار وتعمير المساجد ومحو الأمية .

٣ ـ تربية الفرد المسلم تربية إسلامية صحيحة .

٤ ـ رعاية الأسرة والطفولة أدبيا واجتماعيا .

٥ ـ تقديم المساعدات الاجتماعية للمحتاجين من الأفراد والأسر ، وتجهيز ودفن موتى المسلمين الفقراء .

٦ ـ إحياء بيت المال بتكوين لجان الزكاة .

٧ ـ إصلاح ذات البين .

٨ ـ تيسير الحج والزيارة .

ومن مواد القانون المادة الثالثة وهى : « هذه الجمعية لا تتعرض للشئون السياسية مطلقا » .

ب ـ منهج الجمعية فى الدعوة إلى الله

لكى نتعرف إلى منهج جماعة من الجماعات ، يجدر بنا أن نرجع بالبحث

---

(١) قانون الجمعية الشرعية صـ٤

والدراسة للنصوص التى صدرت إبان فجر دعوتها ، فمن خلال تلك النصوص يتضح ويتبلور منهج الجمعية الشرعية ، من خلال منشور إلى العلماء والوعاظ المنتسبين لها عام (١٣٣١ هـ) واحد وثلاثين وثلاثمائة وألف من الهجرة وهذا هو نص المنشور .

« الحمد لله حمد من وعظ نفسه قبل أن يعظ سواه ، والصلاة والسلام الدائمان على كوكب الإرشاد ، ومنار الهداة وعلى آله وأصحابه ، الذين بذلوا من أنفسهم وأموالهم ابتغاء مرضاة الله . أما بعد .

فقد رأت الجمعية الشرعية فى حضرة الأستاذ الفاضل .. من المكانة الأخلاقية والعلمية ما يؤهله لأن يجوب فدافد [١] الأرض وغربا وجنوبا وشمالا . يعظ المسلمين ويرشد الحائرين ، ويذب عن دين الله شبهة الضالين والمارقين .

لذلك أسندت إليك هذا المنصب السامى مع علمها بخطورته ووعورة مسالكه . والجمعية ترجو منك أيها الأستاذ أن تتقى الله فيها وفى نفسك وفى المسلمين ، فإنك قد أصبحت أمينا على دين الله ، مالكا زمام من ترشدهم تقودهم إلى حيث تريد فجنتهم ونارهم بين لحييك ، فيجب عليك أن تجعل مركزك فوق مركز ذلك الطبيب الحاذق الذى يعطىَ الأدوية لكل مريض ما يناسبه بمقادير خاصة ، لا ينقص ولا يزيد عليها شيئا . يعرف أن التباب فى طرفى الإفراط والتفريط وأن الجمعيةتتيح لك أن تغدو وتروح فى تعليمك واضعا نصب عينيك إفادة المسلمين ، متدليا من أهم إلى مهم فتبتدى بغرس العقائد فى نفوس من تباشر تعليمهم ، مراعيا مذهب أهل السنة والجماعة . بعيدا عن المشاغبات الكلامية والبراهين المنطقية ، لصعوبتها على أفكار العامة من الناس . وتردف ذلك بتعليم مالا بد منه من أحكام الصلاة والصيام والزكاة والحج ، وتتبع هذا نهيهم عما هو فاسد فى البلاد من المنكرات ، كترك أركان الإسلام وكالربا والزنا وشرب الخمر والقتل ، وتعاطى كل مسكر من الأنبذة والحسيش

(١) فدافد جمع فدفد على وزن مكتب وهو المكان الصلب الغليظ والأرض المستوية .

والمنازيل ، وتنهاهم أيضا عن السرقة والغش والأيمان الفاجرة والنميمة والغيبة ، وسم البهائم وشق بطونها وحرق المزروعات وتقليعها ، وتنهاهم عن لعب الكاب المعروف بالسيجة والطاولة والكوتشينة ، وغير ذلك من كل فعل باطنى وقبيح ثم تعرج بهم إلى رياض الآداب النبوية والأخلاق المحمدية ، وتعلمهم لباس النبى ﷺ وأكله وشربه ، وغير ذلك من كل خلق نبوى يتعلق بعادة أو عبادة تمنحهم منه ما يطيقون ، ثم تنحدر إلى مايخالف ذلك من البدع فتنبه عليها ، حاثا على اجتنابهم إياها ؛ اقتداء بنبيهم ﷺ وحبا فى أدب المصطفى ﷺ وبغضا لما سواه بعبارة يفهمها العام والخاص يصحبها التأنى . فإن فى الناس الغبى والذكى ، كل ذلك وأنت رحب الصدر حلو اللسان طلق الوجه أزهد الناس وأبعدهم عن الفحش فى القول تسع السفيه والجاهل والمتعنت حاعلا محورك الذى يدور حوله الكلام قوله سبحانه وتعالى على لسان سيدنا لقمان رضى الله عنه يقول لابنه :

﴿ وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ماأصابك إن ذلك من عزم الأمور ﴾ (١).

وقوله تعالى : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن ﴾ (٢).

وإياك ثم إياك أن يخطر ببالك أن تتكلم فى موضوع سياسى فإن ذلك ليس من شأنك وحسبنا فى ذلك حكومتنا السنية حفظها الله وقواها « ومعلوم أن الدين دين الله والهداية لدينه بيده لايملكها سواه وليس علينا سوى أن نُعَرِّفَ والحمل على الأمور والتعب لتنفيذها خارج عن الواجب علينا فلا نتعرض له . فمن سمع وعمل فالخير أراد لنفسه ومن أعرض عنا وتركنا وما نأمر به فالخير أردنا وما علينا إلا البلاغ » (٣).

---

(١) سورة لقمان آية ١٧

(٢) سورة النحل آية ١٢٥

(٣) الدين الخالص جـ١ صـ١٦

ومن خلال هذا المنشور يتلخص منهج الجمعية الشرعية فيما يلى :

١ ــ أن يتقى الداعى الله فى دعوته .

٢ ــ التوسط فى الأمور فلا يجنح إلى الإفراط أو التفريط .

٣ ــ أن يبدأ الداعى بالأهم كالعقائد والعبادات فالمهم مع مراعاة مذهب أهل السنة والجماعة .

٤ ــ الدعوة إلى الاقتداء بسنة الرسول ﷺ فى العبادات والعادات وتربية المسلم على الآداب النبوية .

٥ ــ النهى عن الكبائر والتحذير من الصغائر .

٦ ــ الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة .

٧ ــ عدم التعرض للأمور السياسية وهذا التوجيه سيكون محل مناقشة عند تقييم الجمعية غير أن هذا المنهج السالف الذكر قد يعتريه الجنوح فى بعض الأحيان والخروج عنه إلى الشدة أو التعنيف على المخالفين للمنهج ويرجع إلى انخراط بعض أنصاف المتعلمين أو بعض أصحاب المهن الذين لم يكن لهم حظ وافر فى الفقه وفى نفس الوقت تدفعهم عاطفتهم الجياشة إلى هذا السلوك فيسيئون إلى الجمعية ومنهجها . كما سيتضح فيما بعد إن شاء الله .

الاتجاهات الفكرية والعملية للجمعية الشرعية

أولا : الاتجاه الفكرى :

إن الاتجاه الفكرى الذى تتسم به الجمعية الشرعية ، يدور حول التركيز على العقائد والعبادات والأخلاق وتنقيتها من البدع والضلالات ، ولقد سلكت الجماعة فى هذا المضمار مسلكا عمليا سنعرض له خلال ثنايا البحث ، غير أنه توجد بعض القضايا الفكرية ، كان للجمعية منها موقف واضح عبر تاريخها ، وهذه الاتجاهات هى العمد الرئيسية للمنهج الفكرى للجمعية ، وقد يعترى هذا الفكر جنوح البعض إلى الخروج عن المنهج ، غير أن مرجعنا فى هذا أقوال مؤسسها وأئمتها ومجلة الاعتصام الناطقة بلسانها ، هذا ويتضح مما ذكرنا سابقا عند التعرض للأهداف والمنهج أن الاتجاهات الفكرية تدور حول الأمور التالية :

١ ـ موقف الجمعية من أصول العقيدة :

إن مناط الحكم على جمعية من الجمعيات يرجع إلى منهاجها الفكرى إزاء العقيدة الإسلامية ، ومدى الالتزام بتلك العقيدة ، بعيدة عن الانحراف والتأويل ، وهل ماتعتقده له جذوره العلميةوأدلته الشرعية الضاربة فى أغوار الزمن ، حتى المنبع الصافى القرآن والسنة وفكر السلف الصالح ؟ أم أن ما تعتقده ضرب من الجدل الفلسفى أو امتداد لآراء سبقت ، أو اتجاهات استحدثت ؟ هذا وإذا ما أمعنا النظر والدراسة حول موقف الجمعية الشرعية من أصول العقيدة نجدها امتدادا لمنهج السلف رضوان

الله عليهم . ويقول الإمام محمود خطاب (١) : « إن عقيدتى فى الأصول ما كان عليه سلف الأمة المحمدية ، وهى أنى موقن أن الله تعالى إلّه واحد متصف بكل الكمال المنزه عن كل نقص ، وأنه تعالى خلق العرش والسموات والأرض والملائكة ، وقد بعث الله للخلق أنبياء ورسلا كثيرين لا يعلمهم إلا الله وآخرهم سيدنا محمد ﷺ ، وأن رسالة نبينا عامة لجميع المكلفين ، وأنه لا نبى بعده ، وأن الأئمة المجتهدين كأبى حنيفة والشافعى على هدى وكذلك نهجت الجمعية الشرعية بالنسبة للمحكم والمتشابة منهج الخلف رضوان الله عليهم ، فيقول الإمام محمود خطاب بعد أن استعرض فى كتابه الدين الخالص ، وإتحاف الكائنات فى مذهب السلف والخلف فى المتشابهات (٢) : ومذهب السلف أسلم لأنه يحتمل أن الله عز وجل أراد معنى فى الآية غير ما فسرها به الخلف . وفى نفس الوقت يبرز رأى الخلف فى التأويل فيقول : (٣) « ووجه صحة مذهب الخلف أنهم فسروا الآية بما يدل عليه اللفظ العربى ، والقرآن عربى وحملهم على التفسير المذكور ولم يفوضوا كما فوض السلف وجود المشبهة والمجسمة فى زمانهم ، زاعمين أن ظاهر الآيات أنه جسم ولم يفقهوا أنه مستحيل عليه عز وجل الجسمية والحلول فى الأمكنة » ، وبهذا يتضح منهج الجمعية الشرعية فى أصول العقيدة ، أما بالنسبة للمحكم والمتشابه فلقد سار على نهج علماء عصره حيث قالوا منهج السلف أسلم ومنهج الخلف أحكم ، غير أنه يميل لرأى الخلف ويعضده بالأدلة .

٢ ـ موقف الجمعية من الفروع :

كانت القضايا الفرعية والمسائل الفقهية ومازالت محور خلاف الجمعيات الإسلامية ، فكم احتدم نقاش وثار جدل على أمر فرعى لايسبب الإتيان به أو تركه ضررا يمس العقيدة . غير أن الجمعيات خلال تاريخها ، أفرغت جهدها فى هذه المسائل وتشاغلت بها عما سواها من جلائل الأمور وعظائم الأحداث التى أحدقت بالإسلام والمسلمين . كما سيتضح عند تقويم الجمعيات إن شاء الله .

---

(١) المنهل العذب المورود جـ١ صـ٢ للشيخ محمود خطاب .
(٢) الدين الخالص الجزء الأول صـ٢٣
(٣) المرجع السابق صـ٢٤

هذا ويعبر الإمام محمود خطاب عن رأيه ورأى الجمعية فى الفروع بقوله : (١) .

« وأما عقيدتى فى الفروع فهى طلب العمل بما ورد فى الكتاب والسنة المحمدية وجوبا أو استنانا ، وما أجمعت عليه الأئمة المجتهدون ومالم يرد فيه نص واختلف فيه الأئمة ، فأعمل فيه بمذهب الإمام مالك رضى الله عنهم أجمعين ، وأن البدع فى العبادات ليست من الدين لايتقرب بها إلى الله تعالى وصاحبها عمله مردود عليه . وأن إرسال العذبة سنة وردت فيها الأحاديث الصحيحة والحسنة ، فمن فعلها فله ثواب فعلها ومن تركها حرم ثوابها ويعاتب على تركها ، ومن استهزأ بها بعد العلم بأنها سنة ثابتة عن النبى ﷺ كفر والعياذ بالله ، وكذلك الحكم فى سائر السنن المحمدية »

وكما سبق أن ذكرنا أنه قد يجنح بعض الأعضاء إلى الوعيد الشديد لمن ترك أمرا فرعيا ، مما يؤدى إلى التشاحن والبغضاء بين الدعاة من مختلف الاتجاهات مما كان له الأثر السيىء على حركة الدعوة كما سيأتى .

٣ ــ موقف الجمعية من التصوف :

للجمعية الشرعية إزاء التصوف موقف يتسم بالحكمة والاعتدال ، فهى لم تسقط التصوف من فكرها ، ولم تنح منحى جمعية أنصار السنة فى إنكار التصوف أصلا ، وأنه فكر دخيل على الإسلام كما سيتضح عند الحديث عنها . ولكن الجمعية الشرعية أخذت من التصوف الجانب الخلقى والروحى ، الذى يسمو بالنفس ويطهرها من سموم المادة وشهوات النفس ونزعات الهوى . وأنكرت على التصوف ما يفعله البعض من بدع وضلالات . وتواكل وأكل لأموال السذج من المسلمين . ومرجع هذا الاتجاه إلى التربية الصوفية للإمام محمود خطاب ، والتى تعرضنا لها أثناء التأريخ له فلقد جاء فى إحدى رسائله ما ينم عن روح صوفية خالصة فمما جاء بها : (٢) .

« الحمد لله مزيل الران على قلوب الواصلين ومنبت سر السر فى منهج العارفين ،

---

(١) المنهل العذب المورود للشيخ محمود خطاب حـ١ صـ ف

(٢) لمحات من تاريخ الإمام الرجل تعلمه عبدالعظيم خطاب الاعتصام

والذى تجلى فى الصفات والأفعال والأسماء على من عناه من الطالبين ، فجمعوا قبل ماعرفوا ، وشربوا بعد ماذاقوا حق اليقين » .

إلا أن الشيخ رحمه الله حمل على أرباب الطريق الذين ينحرفون بالتصوف ، فلقد جاء فى الدين الخالص أسباب حملة الإمام والجمعية الشرعية على التصوف :

« فسمع الأذكار المحرفة ورأى الألعاب البهلوانية ، وشاهد من يتظاهر بأكل النار والحيات والزجاج ، وعاين الضرائب التى يجبيها مشايخ الطريق من مريديهم ، وكأنها أموال أميرية ، وأبصر النذور والهدايا وكأنها مسوقة إلى حرم الله ، أو مبذولة لعيال الله الفقراء المحاويج » .

هذا وألف الشيخ محمود خطاب كتابا بعنوان « الرسالة القدسية فى الأدب والأخلاق والطريقة الصوفية » وهو من أوائل كتاباته التى كان يقر فيها بعض ما أنكر على التصوف فى آخر ماكتب كالدين الخالص .

٤ - الجمعية الشرعية ومنهجها فى محاربة البدع :

سبق أن ذكرنا فى الباب الأول من دوافع نشأة الجمعيات الإسلامية انتشار البدع والخرافات ، لاسيما فى العبادات ، ولقد تحدثنا عن تعريف البدعة وأسباب انتشارها وخطورة أمرها ، هذا ولقد تصدت الجمعية الشرعية للبدع والمبتدعين ، وعدوا « كل عبادة لم يرد بها نص عن النبى ﷺ ولم تأت فى عمل من أعماله ولا من أفعال الصحابة فهى بدعة ، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار » .

ولقد نهجت الجمعية الشرعية فى محاربة البدعة منهجين :

المنهـــج الأول :

الأسلوب العملى:فمن خلال مساجد الجمعية التى تنتشر فى ربوع البلاد ، ويلتزم فيها الاقتداء برسول الله ﷺ فى كل ما روى وصح عنه من عبادات ، حتى إنهم فى بناء المساجد عمدوا إلى البساطة ، وانفردت مساجدهم وكذلك مساجد أنصار السنة المحمدية بعدم وجود محاريب ، لورود النهى عن ذلك كذلك التزم أعضاء

---

(١) الدين الخالص جـ١ صـ٨

الجمعية باجتناب ما تعارف الناس عليه من بدع المآتم وبناء القبور ورفعها ، ولقد اقتطعوا من مقابر القاهرة قطعة أرض بنوا عليها مقابرهم على الوجه الشرعى ، وكان لهذا الأسلوب العملى أثر كبير فى تصحيح عقائد المسلمين وعباداتهم فإن فعل رجل فى ألف رجل أبلغ من قول ألف رجل فى رجل .

المنهــج الثانى : الأسلوب العلمى :

بجانب الالتزام العلمى بإحلال السنةمقام البدعة فى العبادات ، فلقد كان لرجال الجمعية دور كبير فى إثراء الفكر الإسلامى المعاصر ، من المؤلفات العلمية والفتاوى الدينية ، التى تنير بصائر المسلمين وتأخذ بأيديهم من متاهات البدع والضلالات والخرافات ، إلى نقاء العقيدة وصفائها .

هذا ولقد سلك الإمام محمود خطاب منهجا علميا فريدا إذ رفع إلى علماء الأزهر وشيوخ الإسلام أسئلة بكل ما تأتى به العامة من أفعال شاعت وذاعت ، حتى ألبس الحق بالباطل ، وحصل من العلماء على الإجابة المدعمة من القرآن والسنة موقعة بإمضائهم ، ولقد دونها رحمه الله فى كتاب سماهَ « فتاوى أئمة المسلمين بقطع لسان المبتدعين » وسار على نهجه نجله المرحوم الشيخ أمين خطاب ، فوضع كتابا بعنوان « فتح الملك المبين بتتميم فتاوى أئمة المسلمين » هذا بجانب المؤلفات العديدة فى هذا المجال ، وقد سبق الإشارة إلى هذه المؤلفات عند الترجمة لأعلام الجمعية ، وقد كان لمجلة الاعتصام دور بارز فى مناهضة البدع لاسيما بابها المعنون « الفتاوى » ، وبجانب العديد من الموضوعات والمقالات التى دونت على صفحاتها ، منذ عام سبعة وثلاثين وتسعمائة وألف .

٥ ـ موقف الجمعية من الأمور السياسية :

اختطت الجمعية الشرعية فى باكورة دعوتها منهجا فكريا ، حافظت عليه ردحا من الزمن ، هذا المنهج هو عدم التعرض للأمور السياسية وهى سابقة حينذاك جديدة وخطيرة فى مسار الدعوة الإسلامية ، إذ اتبع ذلك دعاوى فصل الدين عن الدولة والمقولة الخطيرة : لا سياسـة فى الدين ولا دين فى السياسة مما سنعرض له فى حينه

إن شاء الله . فلقد جاء فى المنشور الصادر إلى الدعاة :

« وإياك ثم إياك أن يخطر ببالك أن تتكلم فى موضوع سياسى ، فإن ذلك ليس من شأنك ، وحسبنا فى ذلك حكومتنا السنية ، حفظها الله وقواها »(١) .

ولقد نص قانون الجمعية الشرعية فى مادته الثالثة على مايلى :(٢) .

« وهذه الجمعية لاتتعرض للشئون السياسية مطلقا » ، غير أن هذا النص لم يلازم الجمعية خلال مسيرتها ، إذ إنها كانت تلتزم به حينما يضيق الخناق على الدعوة والدعاة ، وتتجاهله حينما يخف الضغط ، ولقد كانت مجلة الاعتصام – لسان حال الجمعية الشرعية – لها صوت مدو فى كثير من القضايا السياسية،مما عرضهاللمصادرة أكثر من مرة ولعلماء الجمعية الكثير من المواقف المحمودة فى الأمور السياسية .

ولقد كانت الجمعية لا تألو جهدا فى مخاطبة الحكام لتطبيق شرع الله ، فعقب قيام ثورة (٢٣ يولية ١٩٥٢م) ، أرسلت الجمعية على لسان رئيسها الشيخ أمين خطاب بيانا إلى مجلس قيادة الثورة ، يتضمن هذا البيان ثلاثة عشر بندا ، سأعرضها ليتضح تصور الجمعية نحو إقامة مجتمع مسلم فبعد الديباجة والمقدمة فها هى ذى أسس الإصلاح :

أولا : أن تكون القوانين كلها مستمدة من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ؛ فهى أساس العلاج فى الدنيا والآخرة ، وبها صلاح حال الراعى والرعية والله يقول :

« ومن لم يحكم بماأنزل الله فأولئك هم الفاسقون »(٣) .

ثانيا : العمل على تنظيم المرحلة الأولى من مراحل التعليم ، بما يتفق وأحكام الدين وأغراضه ، وذلك بأن تقرر حفظ ما تيسر من القرآن الكريم على كل تلميذ بعناية تامة وإخلاص كامل ، ذلك أولى واحق من التغالى فى النهوض بلغة الأجنبى الطارئ .

---

(١) الدين الخالص جـ١ صـ١٦

(٢) قانون الجمعية الشرعية صـ٧

(٣) المائدة آية ٤٧

ثالثـــا : إلزام كل من يباشر عمله فى الدولة بتأدية مافرض الله عليه ، وبخاصة الصلاة وصوم رمضان ، فمن لوحظ عليه تفريط يعذر ثم ينذر ثم يفصل من عمله ، فمن فرط فى حق الخالق فرط فى حق المخلوق .

رابعـــا : وضع نظام خاص لجباية الزكاة المتنوعة ، ممن وجبت عليهم الزكاة وذلك سهل وميسور ، فللبريد فى الدولة سعاة وللأموال الأميرية جباة ، والزكاة بجميع أنواعها يجب أن يكون لها سعاة وجباة .

خامســـا : استئصال البدع والخرافات من المساجد والأضرحة والموالد كلها ، حتى يشيع بين المسلمين والمسلمات روح العمل بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ

سادســـا : القضاء على الدعارة السرية وغيرها بشتى الوسائل فى جميع مواطنها بقوة ورهبة ، حتى توجد فى نفوس المواطنين ظاهرة قوية تدفعهم للذود عن أعراضهم وأوطانهم .

سابعـــا : مطاردة الخمر بجميع أنواعها ، ومعاقبة شاربها وبائعها وصانعها مسلمين وغير مسلمين .

ثامنـــا : محاربة المكيفات والمخدرات لافرق بين دخان أو غيره .

تاسعـــا : القبض بيد من حديد على كل امرأة متبرجة مسلمة وغير مسلمة ، فإن الأديان كلها علمت المرأة أدبها واحتشامها .

عـــاشرًا : القضاء على الربا فى جميع أماكنه حكومية وغير حكومية .

حادى عشر : القضاء على الميسر فى ضروبه ولعبه ؛ فهو من جرائم المجتمع .

ثاني عشر : إغلاق المسارح والمراقص والملاهى فإنها نشرت الخنوثة والميوعة فتناقص الحياء وتبلدت الطباع .

ثالث عشر : إلغاء الموالد فى جميع القطر فالموالد مباءة الإثم والموبقات .

رابع عشر : منع النساء من زيارة الأضرحة والمقابر والسير وراء الجنازة .

والله نسأل أن يكلأنا جميعا برعايته ، ويديم لنا منحة التوفيق وكمال السداد (١) .

إمضاء

رئيس الجمعية الشرعية

فهذا البيان يحدد أمل الجمعية فى تطبيق شرع الله ، وهو فى نفس الوقت أمل كل مسلم يحمل بين ثنايا صدره قلبا يدين بالولاء لله ولرسوله وللمؤمنين ، كما كان للجمعية صوت مسموع فى كثير من القضايا مثل تنظيم النسل ، وقضية المرأة ، والصلح مع إسرائيل ، وهذه قضايا بعض الدعاة يبتعد عنها ؛ لكيلا يقع تحت وطأة المساءلة والمؤاخذة .

٦ ـ مجلة الاعتصام :

من المعالم الفكرية للجمعية الشرعية مجلة الاعتصام لسان حالها والناطقة بلسانها والمعبرة عن اتجاهاتها ومؤسسها الأستاذ أحمد عيسى عاشور ، ويرجع تاريخ هذه المجلة إلى عام (١٩٣٩م) ، ولقد اقترنت بالجمعية منذ عددها الأول الذى صدر عام (١٣٥٦هـ ـ ١٩٣٩م) ، يقول مؤسسها :

« كنت قبل صدور مجلة الاعتصام أتعثر فى الدعوة إلى الله فكتبت تارة فى مجلة الفضيلة لصاحبها الحاج عبداللطيف زهران . ولكن حرصى على إصدار مجلة تكون لسان حال الجمعية الشرعية دعانى إلى أن أعرض الأمر على الإمام أمين خطاب . وصدرت فى عهد النقراشى باشا ، هذا ولقد أثرت المجلة فى الفكر الإسلامى الحديث بالعديد من الموضوعات وعالجت الكثير من القضايا الاجتماعية كما تصدت لكل محاولات الكيد للإسلام وكشفت دعاوى المستشرقين ورغم أن قانون الجمعية ، يحذر من الانخراط فى أمور سياسية ، إلا أن المجلة وعلماء الجمعية وقفوا فى وجه فصل الدين عن الدولة ، لاسيما حينما استشرت فرية«لا سياسة فى الدين ولا دين فى السياسة» ، كما كان لها مع الصلح مع إسرائيل رأى ينبع من فكر إسلامى صادق ،

---

(١) تاريخ الجمعية الشرعية مخطوط مصور تأليف الشيخ أبى القسام إبراهيم صـ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥

فلم تصمت كما صمت غيرها بل التزمت الخط الإسلامى ، مما عرضها فى بعض الأحيان لحرمانها من الصدور ، كذلك لاينسى خلال تاريخ المجلة موقفها من القضايا التى تخص الأزهر والأزهريين ، ولو ذهبنا نستعرض هذه المواقف لأعيانا البحث ، غير أن المجلة فى عهدها الأخير وقبل توقفها عن الصدور فى سبتمبر (١٩٨١ م) ، قلت موضوعاتها العلمية ولجأت إلى الخبر والتعليق عليه ، كما أنها جنحت إلى مخاطبة العواطف وإثارتها دون تربية العقول وإرشادها ، كما أن فتح نوافذ حرية التعبير فى حقبة السبعينيات جعل المجلة تنزلق إلى النقد اللاذع والتطاول فى بعض الأحيان ، حيث اتخذ هذا ذريعة إلى مصادرتها ، ومازالت مصادرة حتى كتابة هذه الصفحات ،

مما سبق تتضح الاتجاهات الفكرية للجمعية الشرعية ، وهذه الاتجاهات تؤتى ثمارها وتحقق الهدف منها ، حينما توجد القدوة الحسنة والأسوة الطيبة والسلوك المنضبط الملتزم بالفكرة والمنهج وهذا ما سيتضح فى المبحث الثانى عن التربية العلمية لأبناء الجمعية الشرعية .

ثانيا : التربية العملية لأعضاء الجمعية الشرعية :

إن مقياس النجاح لجماعة من الجماعات منوط بما تحققه من تربية لرجالها وأن تجعل منهم صورة عملية لما يعبر عنه فكرها ، فكم من أفكار وآراء ظلت حبيسة القلم والقرطاس ، وليس لها مع دنيا الناس موقع ، ولا على سلوكهم أثر ، هذا ولقد استطاعت الجمعية الشرعية خلال مسيرتها منذ مطلع القرن الرابع عشر الهجرى أن تحتفظ بشخصيتها المستقلة ، ففى الوقت الذى لم يعد لمصر زى وطنى يتزيا به أبناؤها لاسيما المثقفون ، بل تخلى الكثير من علماء الأزهر عن زيهم المتعارف عليه وكادوا لايعرفون وسط الأمة فجهلهم الناس . نجد عضو الجمعية يميز من بين جماهير المسلمين بعمامته البيضاء وعذبته المرسلة بين كتفيه ، ولحيته وملابسه النظيفة القصيرة . فضلا عما يتميز به من سلوك طيب ، وقدوة حسنة ومعاملة طيبة ، خاصة فى الأمور التى يتصف بها عضو الجمعية الشرعية ، ترجع للتربية العملية والتى نحدد معالمها فيمايلى :

أولا : مواصفات من ينضم للجماعة وقد سبق الإشارة إليها ، فالعضو هو الذى يسعى للانضمام ولا تفرض عليه العضوية ، وهذا معيار النجاح لرواد الجمعيات

الإسلامية عموما ، فهم ينطلقون فى مجال الدعوة من ذاتهم ، أما حينما تفرض الدعوة على الإنسان بحكم الوظيفة دون الاستعداد لها ، فإنه يضيق بها ويتبرم منها ويصبح عبئا عليها .

ثانيا : المسجد :

المسجد يعتبر المكان الوحيد والمفضل الذى يتربى المسلم فيه على نور الإسلام وهدى القرآن وسنة محمد ﷺ . ولا يخفى دور المسجد فى إعداد الصفوة من الصحابة والتابعين ومن تبعهم إلى يوم الدين . هذا وإن من الظلم لرسالة المسجد أن يقتصر فيه على الصلوات الخمس فقط ، وتصبح صلة المسلم به مقصورة على ركعات يخطفها خطفا ، ويخرج من المسجد تائها فى زحمة الحياة ومشاكل الدنيا وأعباء الرزق . وإن أفدح مانزل بالأمة هو أن تؤدى عباداتها على أنها عادة لاعبادة . ولقد فطنت الجمعية الشرعية إلى أهمية المسجد وجعلته محور رسالتها ، ومدرسة لأعضائها وجعلوا ارتباط العضو بالمسجد ارتباطا وثيقا ، فلا يكاد يتخلف عن الصلوات الخمس حيث تؤدى بخشوع واطمئنان ، قد يقارب الكمال. فضلا عن حلقات العلم الثابتة والدروس الفقهية ، التى تتميز بالنظام والانضباط ، ومن المساجد التى تخرج فيها رعيل من رجالات الجمعية . مسجد الجمعية الذى أنشأه الشيخ محمود خطاب فى عطفة الجوخدار بشارع الخيامية بالقاهرة ، فلقد كان للشيخ رحمه الله دروس ثابتة بعد صلاة الجمعة وليلتى الجمعة والسبت ، وقد درس سنن الإمام النسائى كلها وجزءا غير قليل من سنن أبى داود[1] ، وتبعه من بعده أئمة الجمعية ، ودعاتها فأصبح لهم دروس ثابتة يقصدها الآلاف ويفد إليها من أنحاء البلاد ، لاسيما درس الأربعاء فى مسجد الخيامية والسبت فى مسجد الجلاء . وقد ألحقوا بالمسجد مدارس لتحفيظ القرآن ، ومستوصفات العلاج ، ومدارس لحضانة الطفل المسلم ، وتوجد فروع رائدة فى هذا المضمار كفرع المنيا ، ودار السلام ، والمحلة الكبرى ، والمنصورة .

ولقد توسعت الجمعية فى بناء المساجد حتى أصبح لها ما يزيد على ألفى مسجد

---

(١) الدليل العام للجمعية الشرعية صـ٣٨

فى أنحاء الجمهورية ، تفوق مساجد الأوقاف الحكومية من ناحية العناية والنظافة وارتباط المسلمين بها ، مما جعل وزارة الأوقاف تصدر قرارا بعدم ضم مساجد الجمعية بناء على توصية مجلس الشعب ، وذلك عام (١٩٧١م) وهذا هو نص الخطاب الوارد بهذا الشأن

« السيد رئيس الجمعية الشرعية لتعاون العاملين بالكتاب والسنة (١)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

رأى السيد وزير الأوقاف أن تبقى الجمعية الشرعية مشرفة على المساجد التابعة لها بالقاهرة وسائر المحافظات » .

ثالثا : التربية الشرعية فى مجالات التجارة :

كان للتجار الصادقين فى صدر الإسلام دور عظيم فى نشر الإسلام ، فمن خلال القدوة الحسنة والمعاملة الطيبة للتجار اليمنيين والحضارمة عبر البحر الأحمر ، إلى مجاهل أفريقيا ، وكذلك المحيط إلى الهند والصين ، فإن التعامل بالدرهم والدينار هما معيار صدق المسلم ، اقتداء بقول الرسول ﷺ « رحم الله رجلا سمحا إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى (٢) » .

لهذا أفردت الجمعية الشرعية فى قانونها الأساسى الالتزام فى المجالات المادية بتوجيهات الإسلام ، والتعاون فيما بينهم فى أمور البيع والشراء ، فلقد جاء فى المادة (٣٨) من قانون الجمعية مايلى :

« أفراد الجمعية تعاملهم محصور فيما بينهم على قدر الإمكان ، ليأمنوا غش من لم يخش الله فى معاملته » (٣) .

لهذا رأى مجلس إدارة الجمعية وضع دليل يتعرف منه إلى التجار وأرباب الحرف الذين ينتمون للجمعية الشرعية ، وتأخذ عليهم التعهد التالى :

« إنى أعاهد الله تعالى على التزام دينه الحنيف ، وتلقى الأحكام الشرعية التى تهمنى

---

(١) الإعتصام العدد الثانى ٢٣فبراير لسنة ١٩٧١

(٢) رواه البخارى . عن جابر رضى الله عنه .

(٣) الدليل العام لجمعية الشرعية صـ١٧٧

فى دينى ودنياى ، وأن أتقن عملى مع الصدق فى المعاملة ، وتجنب الحلف ولو صادقا وترك الغش والخيانة ، ونقص المكيال والميزان غير قادح فى صانع أو تاجر ، واضعا نصب عينى قول الله تعالى :

﴿ يآأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ﴾ وقوله : ﴿ ولا تطع كل حلاف مهين ﴾ وقوله تعالى : ﴿ ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ﴾ ، وإنى أتعهد بأن أتجنب ما يوقعنى تحت وعيد المادة الرابعة والأربعين وهى : « لو ثبتت خيانة على أى فرد من أفراد الجمعية فى دين أو دنيا ، أو حصل منى فعل مخالف لمبادىء الجمعية الشرعية . أو صدرت ضده أحكام قضائية مخلة بالسمعة والشرف ، أحاله مجلس الإدارة على لجنة المحكمين للنظر فى أمره ولها معاقبته بما تراه » . وإذا صدر منى ما يخالف هذا التعهد فإنى مستعد للأحكام التأديبية التى تراها الجمعية الشرعية زاجرة لى واعظة لغيرى ، ولها الحق فى شطب اسمى من الدليل مع قبولى من الآن جميع ما تقرره لجنة المحكمين بدون أية معارضة ، ولها الحق فى إباحة مقاضاتى بالمحاكم .

وقد تسلمت صورة من هذا التعهد للعمل بما فيه ، ومن الله تعالى أستمد المعونة والهداية والتوفيق »[1] بجانب تلك التوجيهات والمواثيق فقد أنشأت الجمعية مصنعا للمنسوجات اليدوية من القطن والكتان وكان الغرض من هذا المصنع :

أولا : منافسة المصانع الأجنبية .

ثانيا : هى أقرب إلى الملابس الإسلامية .

ثالثا : عدم التشبه بملابس الإفرنج .

ولقد ظلت هذه المنسوجات زمنا طويلا ، غير أنها لم تقو على منافسة الصناعات الأجنبية فأغلقت مصانعها .

مما سبق يتضح أسلوب التربية العملية فى مقام البيع والشراء .

---

(١) الدليل العام للجمعية الشرعية صـ١٧٨

رابعا : معهد الإمامة :

لا تألو الجمعية جهدا فى تطوير رسالتها ، والارتقاء بمستوى دعاتها . لهذا أنشأت معـهد الإمامة للدراسات الإسلامية ، وتدريب المرشدين على الوعظ والخطابة ، ولقد افتتح هذا المعهد عام (١٩٦٤م) ، ومدة الدراسة به سنتان ويختار الدارسون ممن ترشحهم الفروع والمكاتب التابعة لها ، ويشترط فى الدارس حفظ القرآن الكريم وبعض من أحاديث الرسول ﷺ ، والإلمام بقواعد النحو والصرف ، ولقد توسع فى معاهد الإمامة فبجانب المعهد الرئيسى بالقاهرة فتحت معاهد فى كل من المطرية وبنها والمحلة الكبرى والمنصورة والإسكندرية والجيزة وبنى سويف . وبجانب الدراسة العلمية يقوم الدارسون بالتدريب فى مساجد الجمعية تحت إشراف الرواد من الدعاة ، وبهذه التربية استطاعت الجمعية الشرعية أن تفى باحتياجات مساجدها ، بينما نجد وزارة الأوقاف تعانى نقصا كبيرا فى أئمتها .

خامسا : المنشآت التابعة للجمعية الشرعية :

أقامت الجمعية العديد من المؤسسات للنهوض بالدعوة الإسلامية ، واتجهت بها اتجاها عمليا دون الاقتصار على الوعظ والإرشاد فحسب الذى أطفئت شعلته و لم يعد يقوى على مواجهة أجهزة الإعلام ، التى اقتحمت على الناس بيوتهم ، وفرضت عليهم براجها التى تحمل بين ثناياها سموم التحلل والرذيلة .

لهذا أنشأت الجمعية المنشآت التالية :

١ – مدارس تحفيظ القرآن الكريم ، وإقامة حلقات تحفيظ بالمساجد .

٢ – حضانة الطفل المسلم .

إن اهتمام الجمعيات الإسلامية بالطفل المسلم قد جاء متأخرا وبعد فوات الأوان فإن مدارس التبشير منذ مطلع هذا القرن وهى تؤسس المدارس والإرساليات التعليمية فى أرقى الأحياء ، لتستقطب أبناء الطبقات القيادية ؛ والتى تعد أبناءها للمناصب العليا و لم تلق هذه المدارس منافسة إسلامية على الإطلاق ، سوى مدارس الجمعية الإسلامية التى أسسها المرحوم الإمام محمد عبده ، ولكنها طويت مع الزمن ، ومازالت مدارس التبشير تبث سمومها فى عقول أبناء المسلمين ، هذا ولقد بدأت الجمعية الشرعية فى

إنشاء رياض الأطفال ، وإن كان عددها مازال قليلا ، غير أن الأمل معقود على توفيق الله ثم على رجال الجمعية فى انتشار رياض الأطفال والمدارس الابتدائية ، كمانأمل ألا يستغل البعض اسم الجمعية أو يرفع لافتة المدارس الإسلامية ويرهق المسلمين بالرسوم الباهظة فيلجئوا غير آسفين إلى مدارس التبشير ، والتى ينفق عليها بسخاء من الفاتيكان ، وتوجد فروع رائدة فى هذا المضمار ، كفرعى المنيا والمحلة الكبرى .

٣ ـ المستوصفات ودور العلاج :

اتجهت الجمعية أخيرا لبناء المستوصفات ودور العلاج لأبناء المسلمين ، وهم يهدفون من هذا إلى الحد من نشاط المستشفيات الأجنبية – كالقبطى واليونانى والإيطالى – التى استغلت آلام المريض وأنينه ، فقدمت له الدواء يحمل بين ثناياه سموم التبشير والتدمير العقلى للمسلم ؛ لهذا أنشأت الجمعية عددا محدودا من العيادات الإسلامية ودور العلاج ، وهذا منهج فى التربية وبداية على الطريق لانتزاع المسلم من بين براثن الإلحاد والتبشير .

مما سبق دراسته يتضح منهج الجمعية الشرعية فى التربية العلمية والعملية ، وكيف تصوغ أبناءها على نور الكتاب والسنة ، وبجانب هذه الوسائل الفكرية والعملية ، فإن الجمعية لاتألو جهدا فى تطوير رسالتها والنهوض بها وفق متطلبات العصر ، فلقد عقد مؤتمر باسم :

« المؤتمر العلمى الأول » والذى وافق مجلس إدارة الجمعية على قراراته فى (٦ربيع الثانى عام ١٤٠١ هـ – ١١ فبراير ١٩٨١ م) ، وهذه القرارات على النحو التالى :

أولا : من الناحية الثقافية :

١ ـ إنشاء مكتبة جامعة بمسجد الإمام محمود خطاب بالجلاء وأخرى بالخيامية .
٢ ـ تزويد الفروع المركزية بأمهات الكتب من مؤلفات الأئمة والعلماء .
٣ ـ إصدار كتب دورية تشرح عظمة الإسلام وسمو تشريعاته .
٤ ـ إنشاء مكتبة صوتية تضم خطب ومحاضرات العلماء .
٥ ـ إصدار مجلة شهرية ، تعبر عن الجمعية ونشاطها ولنشر الفتاوى ويخصص بها أبواب للإعجاز القرآنى والحديث النبوى .
٦ ـ عمل معارض متنقلة لكتب الجمعية والتعريف بها .

ثانيا : تربية النشء المسلم :

١ ـ التخطيط لمدارس إسلامية من الحضانة حتى الجامعة ووضع منهج إسلامى لجميع مراحل التعليم ، وبدأت باكورة هذا العمل بفرع المنيا ، حيث أنشئت مدارس ابتدائية وإعدادية تربى الطفل على آداب السلوك اليومى للرسول ﷺ ، ولقد أقرت وزارة التربية والتعليم مناهج هذه المدارس .

٢ ـ اقتراح منهج لتحفيظ القرآن الكريم ورصد الجوائز والحوافز والاهتمام بفصول التقوية فى جميع مراحل التعليم .

٣ ـ إضافة المواد التى لابد منها للتعريف بالإسلام وجعله سلوكا للمسلم .

ثالثا : الوعاظ وتدعيم الدعوة :

١ ـ عقد دورات تدريبية لوعاظ الجمعية ، وبعد النجاح يقسمون إلى فئات ويوزعون على المساجد حسب مستواها .

٢ ـ يكلف بعض الوعاظ البارزين بتدريب عملى لعشرة من المبتدئين .

٣ ـ ربط معاهد الإمامة للفروع بمعهد الجمعية الرئيسى ، مع دراسة توحيد المناهج ، بحيث تنهل جميعا من منهل واحد .

٤ ـ الكتب الدينية التى تقرها اللجنة العلمية تعطى للوعاظ بتخفيض يصل إلى (٥٠٪) .

٥ ـ ايفاد بعض الوعاظ البارزين مع بعثة الحج للإرشاد إلى المناسك على الوجه الأكمل .

٦ ـ ايفاد عدد من العلماء كل شهر ، لمتابعة أعمال الفروع وحل مشكلاتها واداء خطبة الجمعة .

٧ ـ إنشاء لجنة تتابع أجهزة الإعلام ؛ للوقوف على كل ما يعلن ضد الإسلام ووضع تقرير به لفضيلة الإمام .

٨ ـ تمثيل الجمعية فى جميع المؤتمرات الإسلامية العالمية .

رابعا : النواحي المالية والإدارية :

١ ـ العمل على إنشاء بنك إسلامى تقيمه الجمعية الشرعية الرئيسية بإسهام جميع الفروع .

٢ ـ تشكيل لجنة بفرع كل محافظة تسمى لجنة الإشراف والتوجيه ، ومهمتها التوجيه والإشراف على فروع المحافظة ماليا وإداريا .

٣ ـ تشكيل لجنة تسمى لجنة العلاقات العامة ، مهمتها استقبال مندوبى الفروع والعمل على راحتهم ، والمعاونة فى إنهاء أعمالهم بالقاهرة .

٤ ـ إنشاء دار ضيافة بمقر الجمعية الرئيسى بالقاهرة ، وبمقار الفروع بالمحافظات .

٥ ـ تدعيم الفروع التى تعمل على إنشاء دور للطباعة والنشر [١] .

وبلاشك فإن هذه القرارات والتوصيات عمل طيب ينم عن نية صادقة ، لعمل إسلامى متألق ، ولكن الأطيب والأعظم حينما ترى هذه المشروعات النور وتخرج كلها إلى حيز التنفيذ ، وهذا أمر إن شاء الله ميسور إذا ما صدقت النية وعقد العزم ، وكما قيل : إن رحلة الألف ميل تبدأ بخطوة ، ولعل دعاة الجمعية الشرعية يقيمون أعمال جمعيتهم خلال القرن الرابع عشر الهجرى ، ليبدأوا مع القرن الخامس عشر من حيث انتهوا مع نهاية القرن المنصرم ، لا ليبدأوا من حيث بدأت دعوتهم فى أوائل القرن الرابع عشر الهجرى .

---

(١) مخطوط مصور بقلم أحمد محمد خطاب .

الجمعية الشرعية فى الميزان

إن أى عمل فى محيط العقل البشرى لابد أن تكون له إيجابياته وسلبياته ، وهذا دليل على أن الكمال لله وحده . كما أن الباحث حينما يتعرض للسلبيات فليس المقصود تجريحا أو قدحا أو غمطا للحق أو تقليلا لقيمة عمل بذله ، ولكن وجهة نظر يعتقد فيها الصواب ويقصد بها الوصول إلى مشارف العمل الإسلامى الصحيح ، وقبل أن نضع الجمعية الشرعية فى ميزان التقييم ، فإنه يجدر بنا أن ندحض مفتريات ألصقت بها ودعاوى اقترنت باسمها ومرجعنا فى دحض هذه المفتريات أقوال أئمتها ودعاتها من الفقهاء فمن هذه المزاعم مايلى :

أولا :زعم البعض أن دعوة الجمعية الشرعية دعوة إلى مذهب جديد فى الإسلام يضاف إلى العديد من المذاهب الأخرى ، وأطلق عليهم « السبكيون » أو « الخطابيون » وأن رجال الجمعية لا يصلون فى مساجد غيرهم ، وأنهم غلاظ متشددون إذا ناقشوا أو نوقشوا ، ويرد على هذا بكلام المرحوم الشيخ أمين محمود خطاب حيث قال :

« ديننا معشر أهل السنة والجماعة ، العمل بالكتاب والسنة وما ثبت عن الأئمة رضوان الله عليهم يعلم ذلك من خالطنا وطالع كتب الجماعة [1] . وعلى هذا

---

(١) الجمعية الشرعية مخطوط مصور ـ أحمد محمد خطاب .

فالجمعية لم تأت بمذهب جديد فى الإسلام ، وإنما هى دعوة إلى العمل بالكتاب والسنة ومحاربة البدعة ، وبالنسبة لمن زعم أن رجال الجمعية غلاظ متشددون نعم قد يصدق هذا الزعم على البعض ، ممن ينتمون إلى الجمعية بدون خلفية دينية وليس ، لديهم الإدراك الكامل بأسلوب الدعوة ، فتحركهم العواطف الجياشة إلى الغلظة والشدة ، وحينما نسترجع أقوال الشيخ محمود خطاب التى بعث بها إلى الدعاة فى المنشور الصادر عام (١٣٣١هـ - ١٩١٣م) ، نجده ينهى ويحذر مما ينفر من الدعاة فيقول : (١) .

« كل ذلك وأنت رحب الصدر حلو اللسان ، طلق الوجه وأزهد الناس وأبعدهم عن الفحش فى القول ، تسع السفيه والجاهل والمتعنت . جاعلا محورك الذى يدور حوله الكلام قوله سبحانه :

« ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين » (٢) .

ثانيا : يزعم البعض أن الصلاة لاتصح إلا فى مساجد الجمعية ، وأنهم يطيلون فى الصلاة إلى درجة تدعو للتنفير والهروب من مساجد الجمعية ، ويرد على هذا أيضا بكلام المرحوم الشيخ أمين خطاب فيقول :

« إنا نصلى فى مساجد المسلمين خلف كل إمام مستقيم ، وما أنشأنا مساجد فى بعض الجهات ، إلا ليتسنى لنا إقامة الشعائر الدينية طبقا للوارد عن رسول الله ﷺ »

وبالنسبة للتطويل فى الصلاة فنجد فى كلام الشيخ أمين ما يدحض هذا الزعم فيقول :

(٣) « على الإمام أن يراعى فى الصلاة ظروف المأمومين ، فإذا اطمأن قلبه وتأكد لديه أنهم لا يتأذون من التطويل المسنون ، أطال على نحو ما جاء فى السنة فعن أبى برزة الأسلمى قال : كان ﷺ يقرأ فى الفجر ما بين الستين والمائة آية » (٤) .

---

(١) الدين الخالص جـ١ ، صـ١٦

(٢) سورة النحل آية ١٢٥

(٣) مجلة الاعتصام العدد الثالث السنة السادسة والعشرون يناير ١٩٦٤ صـ٢٥

(٤) رواه مسلم جـ١ صـ٤٤٣

« وعن أبى سعيد الخدرى أن النبى ﷺ يقرأ فى صلاة الظهر فى الركعتين الأوليين فى كل ركعة قدر ثلاثين آية ، وفى العصر فى الركعتين الأوليين قدر قراءة خمس عشرة آية »

ثم يستطرد المرحوم الشيخ أمين خطاب فيقول : « فإذا تأكد لدى الإمام أو غلب على ظنه أن فى المأمومين أرباب أعذار ، وأصحاب أعمال يتضررون من التطويل المسنون ، فعليه أن يراعى حالهم وتصبح السنة حينئذ هى التخفيف بعد أن كانت هى التطويل » ، بدليل ما روى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : كان معاذ بن جبل يؤم قومه فدخل حرام وهو يريد أن يسقى نخله فدخل المسجد ليصلى مع القوم فلما رأى معاذا طول تجوز فى صلاته ولحق بنخله يسقيه فقال : إنه منافق أفعجل عن صلاته من أجل سقى نخله ؟ قال فجاء حرام إلى النبى ﷺ وعنده معاذ فقال يانبى الله إنى أردت أن أسقى نخلاتى فدخلت المسجد لأصلى مع القوم ، فلما طول تجوزت فى صلاتى ولحقت بنخلى أسقيه فزعم أنى منافق فأقبل النبى ﷺ على معاذ فقال :

« أفتان أنت ؟ أفتان أنت ؟ لاتطول بهم اقرأ بسبح ربك ، والشمس وضحاها ونحوها »[١] مما سبق يتضح عدم صحة ما نسب إلى رجال الجمعية الشرعية من مفتريات ، ساعد على انتشارها فى تصورى غير المؤهلين للدعوة ، ولست أقصد بغير المؤهلين من لم يحمل شهادات علمية ، ولكن كل من يتصدى للدعوة وليس يملك مقومات نجاحها ، فيصبح عبئا عليها مانعاً دون انتشار مبادىء الجماعة التى ينتسب إليها .

---

(١) رواه أحمد والبزار ورجال الصحيح المرجع السابق .

الجمعيـة الشرعيـة

بين التقيم والتقويم

بعد أن استعرضنا فى الأبحاث السابقة تاريخ الجمعية وأهدافها ومناهجها الفكرية والعملية ، وفندنا بعض ما ألصق بها من دعاوى ، فإن من موجبات البحث العلمى أن نختم هذا الفصل بالنقد الموضوعى الهادىء الهادف الذى لايقصد منه قدح ولا انتقاص ، وإنما الهدف أن نبحث عن أوجه القصور ونفتش عن مواطن الزلل لتوضع بين يدى الدعاة من رجال الجميعات الإسلامية ، فيقوموا ما اعوج ويتداركوا ما فات . مريدا ما أراده شعيب عليه السلام فى قوله تعالى :

« إنْ أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب »[1] .

وتتلخص ملاحظاتى حول الجمعية الشرعية فى الأمور التالية :

أولا : المنهج :

منذ فجر رسالة الجمعية الشرعية وحتى الآن ، ومنهجها يدور بين العقائد والعبادات ، وهما بلاشك جليلان وخطران إذا ما تشبع بهما عقل المسلم وقلبه ، غير أن الجمعية قد اقتصرت عليهما فقط مما أفقد دعوتها التكامل والشمول ، ولو قدر لهذه الجمعية ولغيرها من الجمعيات التى تعمل فى حقل الدعوة أن تسير على منهجين متصلين متوازيين يجمعان بين العقيدة والعبادات وما يطرأ على المجتمع من قضايا لأصبح لهذه الجمعيات شأن يختلف تماما عماهى عليه الآن .

فلقد شهد النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجرى موجات عاتية ومتلاحقة من الغزو الفكرى والاحتلال العسكرى والاقتصادى ، وكان صوت الجمعية يكاد يكون خافتا ، ولم تقابل هذه الموجات العاتية بنفس أسلوبها . بمدارس تقام ، ومستشفيات تنشأ ، ومصانع ترتفع وأجهزة إعلام لديها القدرة على الإقناع

---

(١) سورة هود آية ٨٨

والاحتواء ، بل نجد الجمعية الشرعية ونظيراتها تدور فى موضوعات تكررها وتعيدها ، وكلما عفا عليها الزمن عادت تطل من جديد بنفس الأسلوب القديم ، وحينما يستعرض الباحث فهرس الموضوعات لمؤلفات أئمة الجمعية ، نجده يكاد يخلو من دعوة إلى جهاد الأعداء أو الإصلاح السياسى ، ولولا خشية الإطناب لاستعرضت الكثير من الموضوعات التى أفرغت فيها الجمعية جهدها ، وليس نقدى لما تهتم به من أمور العقائد والعبادات ، ولكن لاقتصارها على تلك الأمور ، دون أن تتجاوز ذلك إلى واقع المسلمين وكيفية النهوض بهم .

ثانيا : لايختلف باحث على أهمية النشء ووجوب العناية به ورعايته فالنشء هم أطفال اليوم وأمل الغد ورجال المستقبل وكما سبق أن ذكرت أن ميدان الاهتمام بالطفولة كان شاغرا خلال القرن الرابع عشر الهجرى ، وتعرض الطفل المسلم لدعاة العلمنة والتغريب ، فنزعوا منه كل ولاء لله ولرسوله وللإسلام . فضلا عما قامت به مدارس التبشير والاستشراق فخرج جيل ضعيف الإيمان ضحل الثقافة ، مختل التفكير ؛ لهذا لم يصمد هذا الجيل أمام الغزو العسكرى والفكرى مما تسبب عنه ضياع أجزاء عزيزة من ديار الإسلام ، وفقدان أغلى شيء فى حياة الإنسان: العزة والكرامة والشرف . وللباحث أن يتساءل : ماالذى فعلته الجمعية الشرعية وكذلك الجمعيات النظيرة لتربية النشء ؟ بل من الأمور العجيبة أن قانون الجمعية الشرعية وفى المادة الثالثة عشرة منه ، ينص على أن من شروط العضوية :

« ألا تقل سن العضو عن إحدى وعشرين سنة وما قبل هذه السن أين يذهب ؟ إن الأمواج العاتية من كل حدب وصوب تقذف به فى ظلمات بعضها فوق بعض وبعد سن الواحدة والعشرين تنظر الجمعية فى انتسابه إليها ، وليت الجمعية اتجهت إلى الشباب المثقف فى المدارس والجامعات ، ولكنها لم تفعل بل اتجهت منذ باكورة عهدها إلى الطبقات الأمية وأصحاب الحرف ، فتشربوا مبادىء الجمعية عن عاطفة دينية جياشة لا عن تعقل وترو ، فكان جنوح البعض إلى الشدة والغلو مما أدى بالشباب إلى تكوين جماعات إسلامية فى الجامعات ، فى فترة السبعينيات وافتقدت القيادة الواعية و لم تمد الجمعيات يدها إليها ، فكان ما كان من أمرها مما سأوضحه فى الباب الثالث إن شاء الله .

ثالثا : حرمان عضو الجمعية من الاشتغال بالأمور السياسية :

انفرد الإسلام دون سائر الأديان بأنه الدين الذى يهيمن على حياة البشر ، وينظم سلوك المسلم دينيا وسياسيا واجتماعيا واقتصاديا ، وإن شرع الله متكامل الحلقات وكل تشريع متصل بغيره مكمل له غير منفصل عنه ، فلا يؤخذ من الإسلام جانب وتطرح منه جوانب أخرى ، وإن أخطر وأفدح ماارتكبه المسلمون نحو الإسلام أن توضع نصوصه وتشريعاته فى متاحف التاريخ ، يؤخذ منها ما يوافق النفس والهوى والباقى يظل مطمورا فى بطون الكتب ، لايعرف عنه شىء على الإطلاق ، ولقد انزلق بعض الدعاة إلى هذا المنزلق الخطير ، فجعلوا دعوتهم تدور فى حلقة العقائد والعبادات والأخلاق لاتتعداها إلى دنيا الواقع ، ولا تهتم بمشاكل المسلم الاقتصادية والثقافية والاجتماعية فضلا عما مهد له الاستعمار وأعوانه من إبعاد شرع الله عن مجالات الحياة اليومية ، فأبطلت الحدود وتعطلت النصوص ، وأصبح القرآن الكريم يرتل للبركة فقط ويقرأ على المقابر ، ويحمل كما تحمل التمائم ثم أعقب ذلك فصل الدين عن الدولة ، أو كما قيل لاسياسة فى الدين ولا دين فى السياسة – وظهرت الأحزاب السياسية فى مطلع القرن الرابع عشر الهجرى ، وفى خلاله تنمى الولاءات الوطنية والقومية تحت شعار : « الدين لله والوطن للجميع» .

وأفرغت برامج هذه الأحزاب من مفهوم الولاء لله ولرسوله وللإسلام ، باستثناء حزب مصر الفتاة الذى أسسه المرحوم أحمد حسين [1] .

هذا ولقد كان الواجب على الجمعيات الإسلامية أن تفطن لهذا كله وتجمع فى برامجها بين الإصلاح العَقَدِىّ والاجتماعى والسياسى ، وتأخذ زمام التوجيه والريادة والقيادة من الاتجاهات التى فرضت نفسها على الساحة المصرية خلال القرن المنصرم ، ولكن للأسف انعطفت تلك الجمعيات – ماعدا الإخوان المسلمين – تعالج موضوعات فقهية وخلافات فرعية أشبعت بحثا خلال فترات الازدهار الإسلامى والتألق الفكرى ، وكان الواجب على الجمعيات أن تبدأ من حيث انتهى فكر السلف

---

(١) الأستاذ أحمد حسين من رجال القانون وله دور بارز فى التاريخ المصرى المعاصر – فهو مؤسس حزب مصر الفتاة ، وصاحب مشروع القرش ، وله العديد من المؤلفات الإسلامية – وتوفى رحمة الله فى سبتمبر ١٩٨٢ .

والخلف ، وتتابع مسيرة الإسلام وتصبغ الحياة به ، غير أن هذه الجمعيات نأت بنفسها عن غمار الحياة الاجتماعية والسياسية ، فنجد قانون الجمعية الشرعية وكذلك جماعة أنصار السنة المحمدية تحرمان على من ينتسب إليهما الاشتغال بالأمور السياسية ، فلقد جاء فى المادة الثالثة من قانون الجمعية الشرعية مايلى :

« هذه الجمعية لا تتعرض للشئون السياسية مطلقا » ، ومن توجيهات الإمام محمود خطاب لدعاة الجمعية والتى سبق الإشارة إليه فى صفحة (١٥٤) فى هذه الرسالة ، وبهذا عزلت الجمعية نفسها عن الكفاح السياسى ، بل إن الجمعية منعت عضويتها عن كل من حرم من مباشرة حقوقه السياسية ، وفى الغالب لايقدح فى عدالة الشخص ، فربما كان الحرمان بسبب الصدع بكلمة الحق ، فكيف تحرم الجمعية هذا العضو المجاهد من الانتساب لها إذا كان محافظا على السنة قولا وسلوكا ؟ . فلقد جاء فى قانون الجمعية المادة الثالثة عشرة منه [١] « كل مسلم قبل أغراض الجمعية ولم يصدر فى حقه حكم قضائى مخل بالشرف ولم يحرم من مباشرة حقوقه السياسية » .

ولعل الفائدة الوحيدة التى استفادت منها الجمعية الشرعية وكذلك بعض الجمعيات النظيرة لها أنها سلمت خلال تاريخها ولم ينزل بها مانزل ببعض الجمعيات من الاضطهاد ، غير أن هذه الفائدة لاتشفع فى وقوف الجمعية موقف المتفرج على مايدور فى الساحة الإسلامية من صراع بين الدعاة والقوى المعادية للإسلام ، بل إنه فى بعض الأحيان كانت تساق تلك الجمعيات للمشاركة فى الحملة على بعض الجمعيات التى تفاعلت مع قضايا المجتمع ، اجتماعيا وسياسيا لاسيما فى الفترة منذ عام ثمانية وأربعين وتسعمائة وألف حتى حقبة السبعينيات ، حيثما تولى رئاسة بعض تلك الجمعيات ضابط فجعلوها تولى وجهها شطر الحاكم حيثما اتجه اتجهت مادحة كل قرار والأمثلة على هذا كثيرة لاتخفى عن عين الباحث ، غير أننا لانستغل مثل هذه المواقف للنقد الشديد ، لعلمنا أن بعض هذه الجمعيات ومنها الجمعية الشرعية سيقت لهذا مكرهة ، ولقد رفع الحرج عن المكره . ولايعترض على ماذهبت إليه

---

(١) قانون الجمعية الشرعية صـ٥

بتلك الأصوات المؤمنة التى ارتفعت وترتفع بين الفينة والفينة ، تجأر بالحق وتدلى برأى الإسلام فى القضايا الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ، فإن هذه الأصوات تصدر عن رأى شخصى لايمثل اتجاه الجمعية وفقا لقانونها الأساسى والذى سبقت الإشارة إليه .

لهذا نأمل ونحن فى أوائل القرن الخامس عشر الهجرى أن تنطلق الجمعية الشرعية إلى آفاق الإسلام بشموله وتصبغ الحياة اليومية للمسلم بصبغة الله ، قال تعالى :
« صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون »[١] .

رابعا : الخلافات بين الجمعية الشرعية وسائر الجمعيات :

الإسلام دين الوحدة والاتحاد والتجمع قال تعالى :

﴿ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ﴾[٢] .

وقال ﷺ : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » ولقد حذر الله من مغبة الاختلاف والتنازع ؛ فإنه يؤدى إلى الفشل ويذهب بقوة المسلمين قال تعالى :
﴿ وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين ﴾[٣] .

ولو ذهبنا نسوق الأدلة على وجوب إجماع كلمة المسلمين وحرمة التنازع فيما بينهم ، لطال بنا المقال ، ومع أن هذا من بديهيات الدعوة الإسلامية غير أننا للأسف نجد الصراع بين الجمعيات الإسلامية صراعا عنيفا ومريرا ، وأن الباحث ليدمى قلبه ويعتصر الألم فؤاده حينما يجد إخوة الإسلام وحماة الدعوة لايلتقون على كلمة واحدة ، بل يهاجم بعضهم بعضا ويتبادلون ساقط الألفاظ وأقذعها على صفحات المجلات الدينية ، وجعلوا من الخلافات الفقهية والقضايا الفرعية ميدانا للبطولة

---

(١) سورة البقرة آية ١٣٨

(٢) آل عمران آية ١٠٣

(٣) سورة الأنفال آية ٤٦

الفارغة ، يصولون فيها ويجولون على أشلاء الحركة الإسلامية ، وكلما اتجهت النية وصح العزم على جمع الشمل وتوحيد الصف تفرقوا أيدى سبأ .

وأعداء الإسلام يرقبون مايدور على الساحة الإسلامية فى غبطة وفرح - فلقد جنوا ثمار هذه الخلافات ، فأحكموا قبضتهم على ديار الإسلام وتملكوا أزمة التوجيه سياسيا واقتصاديا وثقافيا ، بينما رجال الجمعيات غارقون إلى آذانهم فى أمور كان الأكرم بهم أن ينأوا عنها ، حتى يطهروا بلاد الإسلام من كل مظاهر الولاء لغير الله ورسوله والمؤمنين ، ولكن مايدور بين الجمعيات يصدق عليه قول الشاعر :

سريع إلى ابن العم يلطم خده　　　وليس إلى داعى الندى بسريع

فنجد الجمعية الشرعية وأنصار السنة المحمدية برغم اتحاد أهدافهما ، وأنهما وجهان لعملة واحدة إلا أن كلا منهما تدير ظهرها للأخرى ، ويجعلون من آيات الصفات ميدانا يصولون فيه ويجولون ، وفى نفس الوقت يلتقيان هما ومن يدور فى فلكهما على حرب التصوف ، وإن اختلفت وجهة نظر كل منهما فى التصوف . ويلاحظ أن الجمعيات الصوفية على كثرتها تنشب أظافرها فى الجمعيات السلفية ، وأصبحت كل جماعة تعتقد أنها وحدها حاملة لواء الدعوة ، وأنها هى الفرقة الناجية وتناسى الإخوان الفرقاء ماكان عليه سلف الأمة ، حينما يتباحثون أو يتناظرون فيقولون .

« رأينا صواب يحتمل الخطأ ورأى غيرنا خطأ يحتمل الصواب » ولقد حاول المرحوم الإمام حسن البنا أن يجعل من دعوة الإخوان ملتقى كل الجمعيات تحت شعار كلمته المأثورة :

« نلتقى على مااتفق عليه ويعذر كل منا الآخر فيما اختلف فيه » .

ولقد جرت عدة محاولات لتوحيد الهيئات والجمعيات الإسلامية ، غير أنه لم يكتب لهذه المحاولات النجاح كما سيأتى إن شاء الله ، لأن كل جماعة أرادت أن تحمل الأخرى على رأيها الذى تعتقد فيه الصواب ، هذا ولقد كان الواجب على تلك الجمعيات أن تلتزم فى أبحاثها النقد العلمى الهادىء الهادف ، فالنقد إذا كانت لحمته الحق وسداه الإخلاص صهر الباطل كما ينقى الكير خبث الحديد .

ولكنها للأسف لم تفعل وتبادلت الجمعيات فيما بينها فى بعض الأحيان العبارات الجارحة والألفاظ النابية ، مما ينبغى أن يترفع عنه حملة الدعوة الإسلامية ولو ذهبنا نتتبع تلك المعارك لأعيانا البحث وتملكنا الأسى غير أننى سأسوق نموذجا واحدا للنقد اللاذع والتهكم الصارخ لكل جمعية ، حفظا للسان أن يردد هذا وصونا للأذن أن تسمعه :

جاء فى مجلة الاعتصام لسان حال الجمعية الشرعية : [١] مقال بعنوان : « فبهت الذى كفر »للشيخ مصطفى مجاهد ردا على المرحوم أحمد حسن الزيات وبغض النظر عما قاله الزيات فى هذه الفترة ، مما يستوجب النقد والرد عليه بالأسلوب العلمى فى عفة وعدم إسفاف ، ولكن الشيخ مجاهد عفا الله عنه قال : « فلما أخرج من المجلة وجىء لها بكفء من ناحية العلم والفضل والأدب ، شق الأمر عليه وأخذته العزة بالإثم ونفث عن نفسه بهذا المقال القذر الذى نزل به ... إلى آخر ما ذكره من كلام يعف اللسان عن ذكره .

فهل هذا الكلام ينشر فى مجلة إسلامية ؟ !

وهل هذا أسلوب من يأمره الله أن يدعو بالحكمة والموعظة الحسنة ؟ !

ولو ذهبنا نتتبع مثل تلك السقطات فى مجلة الاعتصام على مدى سنوات صدورها أو بعض مؤلفات دعاة الجمعية ، لطال بنا المقال ولقد مزقت هذه الخلافات حركة الدعوة الإسلامية شر ممزق ، مما دفع الشباب المثقف فى الجامعات المصرية إلى أن يولى وجهه بعيدا عن تلك الجمعيات ، فاتجه إلى تكوين جماعات إسلامية كان من أمرها ما سأوضحه إن شاء الله .

خامسا : ١ – عدم جواز الصلاة خلف حليق اللحية .

٢ – تأثيم من يترك العمامة والعذبة .

يكاد الفقهاء يجمعون على أن إعفاء اللحية مطلوب شرعا ؛ لورود الأحاديث ، بهذا غير أنه قد اختلف فى صيغة الأمر هل هو للوجوب ؟ أم للندب ؟ ولقد ركزت

---

(١) مجلة الاعتصام العدد العاشر السنة الخامسة والعشرون صـ٣٩

الجمعية الشرعية على أمور ثلاثة اشتهرت عنهم وعرفت بها وهى :

١ ـ اللحية ٢ ـ العمامة ٣ ـ العذبة

فما تكاد تذكر الجمعية إلا وذكرت هذه الأمور ، وقد بالغت فى شأنها فصدرت فتاوى من بعض أئمتها بعدم جواز الصلاة خلف حليق اللحية ، كما أثمت من يترك العمامة والعذبة ، وفسقت من تهكم بهما ، ولما كان مثل هذا المنهج قد جاوز حد الاعتدال فينبغى للباحث أن يلتمس مواطن الصواب ، ويبعد عن منهج الإسلام كل غلو فى الرأى وتشدد فى الدين ، وقبل أن أذكر آراء العلماء فى حكم إعفاء اللحية فسوف أوضح معانى اللحية فى اللغة :

« اللحية : [١] هى الشعر النازل على الذقن والجمع لحى مثل سدرة وسدر وتضم اللازم مثل حلية وحلى . واللحى عظم الحنك وهو الذى عليه الأسنان من الإنسان حيث ينبت الشعر وهو أعلى وأسفل » .

الذقن : جاء فى لسان العرب [٢]« ذقن الإنسان مجتمع لحييه . وقال ابن سيدة : الذقن والذقن مجتمع اللحيين من أسفلهما» .

حكم إعفاء اللحية :

أجمع العلماء على أن إعفاء اللحية سنة من سنن الرسول ﷺ ، حافظ عليها وأمر بها وتواترت عن السلف والخلف ، فضلا على أنها شرعة الأنبياء والمرسلين ، ومن سنن الفطرة وأمارات الفحولة وعلامات الرجولة ، وأن إعفاءها مطلوب شرعا ، غير أن المختلف فيه درجة الطلب فقال البعض بالوجوب وقال آخرون بالندب ولكل دليله .

---

(١) المصباح المنير جزء ٢ صـ٦٦٧

(٢) لسان العرب ـ ابن منظور - جـ١٧ صـ١٥٠٦

أدلة القائلين بالوجوب :

استدل القائلون على وجوب إعفاء اللحية بمايلى :

١ ــ ماروى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « جزوا الشوارب وأرخوا اللحى وخالفوا المجوس »(١) .

٢ ــ ماروى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « خالفوا المشركين ووفروا اللحى واحفوا الشوارب »(٢) فقالوا : إن الأمر فى قول الرسول ﷺ للوجوب ، وليس هناك ما يصرفه عن هذا الوجوب .

أدلة القائلين بالندب :

١ ــ استدلوا بما رواه مسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ : « عشر من الفطرة وعد منها قص الشارب وإعفاء اللحية »(٣) قال النووى فى شرحه : « إن معظم هذه الخصال ليست بواجبة عند العلماء ، وقال القائلون بالندب : إن إعفاء اللحية شأنه شأن السنن المذكورة بالحديث وهى كلها مندوبات ، فلماذا لايكون إعفاء اللحية من بين هذه المندوبات ؟

رد القائلين بالوجوب :

١ ــ على هذا الدليل بقولهم : لامانع من أن ينضم الأمر الواجب والمندوب فى حديث واحد ترغيبا فيهما ، واستدلوا بما رواه مسلم : « من أتى الجمعة فدنا واستمع وأنصت غفر له » فإن الدنو ليس بواجب والاستماع والإنصات واجبان .

٢ ــ قال : إن إعفاء اللحية وإطلاقها راجع إلى استحسان البيئة ، وممن ذهب إلى هذا الرأى المرحوم الشيخ محمود شلتوت حيث ذكر فى كتاب الفتاوى :(٤)

« والحق أن أمر الناس والهيئات الشخصية ومنها حلق اللحية من العادات التى

---

(١) أخرجه مسلم وأحمد

(٢) أخرجه مسلم والبخارى وأحمد

(٣) صحيح مسلم ج ٣ ص ١٤٨ شرح الإمام النووى

(٤) الفتاوى صـ٢٢٩

ينبغى للمرء أن ينزل فيها على استحسان البيئة ، فمن درجت بيئته على استحسان شيء منها كان عليه أن يساير بيئته ، وكان خروجه عما ألف الناس شذوذا عن الدين » .

وقد يستساغ كلام المرحوم الشيخ محمود شلتوت فى الأمور التى لم يرد فيها نص شرعى . أما ماورد فيها نص شرعى ، فلا مجال للاستحسان إلا ماحسنه الشرع ، فإن البيئات والمجتمعات قد تتعارف على أمور وتستحسنها مع مخالفتها للشرع ، فهل ينزل الشرع لهوى البيئة ؟ أم تذعن البيئة بحكم الشرع ؟ .

حكم أئمة المذاهب فى إعفاء اللحية وحلقها :

صرح جمهور من الفقهاء بوجوب إعفائها وحرمة حلقها ونص البعض على كراهة الحلق :

أولا : المذهب الحنفى :

جاء فى الدر المختار شرح تنوير الأبصار فى باب الحظر والإباحة (١) : « يحرم على الرجل قطع لحيته يعنى حلقها ، وقال فى كتاب الصوم وأما الأخذ منها – يعنى اللحية – وهى دون ذلك يعنى القبضة كما يفعله المغاربة ومخنثة الرجال فلم يبحه أحد » .

ثانيا : المذهب المالكى : (٢)

« يحرم حلق اللحية ولا يفعله إلا المخنثون من الرجال » ، وقال العلامة الدسوقى فى حاشيته على شرح الجمل : « يحرم على الرجل حلق لحيته ويؤدب فاعل ذلك » .

ثالثا : المذهب الشافعى : (٣)

قال ابن الرفعة فى حاشية الكافية :

« إن الإمام الشافعى قد نص فى الأم على تحريم حلق اللحية » .

---

(١) الدر المختار جـ٥ صـ٢٦٩

(٢) أدلة تحريم حلق اللحية – محمد بن أحمد بن إسماعيل صـ٩٦٥

(٣) المرجع السابق صـ٩٨

رابعــا : المذهب الحنبلى :

نص فقهاء المذهب الحنبلى على وجوب إعفائها وتحريم حلقها كما قال السفارينى فى غذاء الألباب (صـ٣٧٦) « المعتمد فى المذهب حرمة حلق اللحية » .

هذه بعض آراء أئمة المذاهب الأربعة فى وجوب إعفائها وحرمة حلقها ، وإننى أرجح الرأى القائل بالوجوب لتوافر الأدلة وقوة حجتها ووضوحها ، وهذا ما رجحه أيضا علماء معاصرون منهم : فضيلة الشيخ عبدالجليل عيسى ، فقد قال فى كتابه : مالا يجوز فيه الخلاف بين المسلمين : « حلق اللحية حرام عند الجمهور مكروه عند غيرهم » وقال الشيخ أحمد البنا فى تعليقه على كتابه « الفتح الربانى لترتيب مسند أحمد بن حنبل » وأما إزالتها بالحلق فهو حرام ، وإلى ذلك ذهبت الظاهرية والحنابلة والجمهور وقال الشيخ أبوبكر الجزائرى فى كتابه منهاج المسلم صـ١٢٨ : « وأما اللحية فيوفرها حتى تملأ وجهه لقول الرسول ﷺ جزوا الشوارب وأرخوا اللحى وقوله :

« خالفوا المشركين واحفوا الشوارب ووفروا اللحى عفى وكثروها فيحرم بهذا حلقها » وإذا كانت الجمعية الشرعية قد اقتفت أثر تلك الآراء التى أوجبت إعفاءها وحرمت حلقها ، غير أننا لانتفق معها ولا نسايرها فيما ذهبت إليه من حرمة الصلاة خلف حليق اللحية .

فلقد جاء فى كتاب الفتاوى للشيخ أمين خطاب (صـ٨٠) تحت عنوان « إمامة الفاسق » فوصف حالق اللحية بأنه فاسق لا تجوز الصلاة خلفه وهذا غلو فى الدين وجنوح عن حد الاعتدال مما يشق على المسلمين لاسيما فى هذا العصر ، التى انتشرت فيه الأمية الدينية وجهل الناس أركان الإسلام ، فلا ينبغى أن يُفَسَّق المسلم وترد صلاته بسبب ترك سنة اختلف أمرها بين الوجوب والندب ، فضلا على أنه لم يرد عن أئمة المسلمين أن من مبطلات الصلاة حلق اللحية ، والرسول ﷺ يقول : [1] « يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله » .

---

(١) رواه البخارى ومسلم وأحمد .

فلم يشترط أن تكون اللحية من شروط الإمامة، ولقد أجازوا إمامة المفضول مع وجود الفاضل واستدلوا على ذلك بإمامة أبى بكر للرسول ﷺ ، والأكثر من هذا الرأى غلو ، مايراه بعض العلماء من أن حلق اللحية كبيرة من الكبائر ، لاتقبل شهادة من أقدم على هذه الكبيرة ، ويؤدب كما جاء فى كتاب أدلة تحريم حلق اللحية ص١٠٠ ولايغيب عن ذهن الباحث المنصف أن مثل هذه الآراء جنوح فى الفكر وغلو فى الرأى ، يهدم أكثر مما يبنى ، ويشتت قبل أن يجمع ، ومثل هذه الآراء تعبر عن اجتهادات شخصية تحمل النصوص الشرعية مالا تحتمل وجنحت بالفكر الإسلامى إلى متاهات السفسطة والجدل والتنازع مما فرق المسلمين شيعا وأحزابا ، كل حزب بمالديهم فرحون « وهذا مالا نوافق عليه ؛ لأن النصوص الشرعية أجازت الصلاة خلف المبتدع والفاسق فحليق اللحية من باب أولى . ولقد جاء فى صحيح البخارى شرح فتح البارى (جـ٢ صـ٣٣٠) تحت عنوان « باب إمامة المفتون والمبتدع » مايلى :

١ ـ عن هشام بن حسان أن الحسن سئل عن الصلاة خلف صاحب البدع فقال الحسن : « صل،وعليه بدعته » .

٢ ـ وعن عبدالله بن عدى بن خيار أنه دخل على عثمان بن عفان رضى الله عنه وهو محصور فقال : (١) « إنك إمام عامة ونزل بك ماترى ويصلى لنا إمام فتنة فنتحرج فقال : الصلاة أحسن مايعمل الناس » وحليق اللحية لاينزل منزلة الفاسق والمبتدع ، فكيف لاتُجَوِّزُ الجمعية الشرعية وبعض الجمعيات الصلاة خلفه ؟

ونستدل أيضا بما ذهبنا إليه بما جاء فى كتاب الفصل فى الملل والأهواء والنحل لابن حزم (جـ٤ صـ١٧٦) تحت عنوان « الكلام فى صلاة الفاسق » قال : ذهبت طائفة من الصحابة كلهم دون خلاف من أحد منهم وجميع فقهاء التابعين كلهم دون خلاف من أحد منهم ، وأكثر من بعدهم وجمهور أصحاب الحديث وهو قول

---

(١) فتح البارى جـ٢ صـ٣٣

أحمد والشافعى وأبى حنيفة وداود وغيرهم :

« إلى جواز الصلاة خلف الفاسق الجمعة وغيرها ، وبهذا نقول وخلاف هذه بدعة وقد يجنح بقوله تعالى : « إنما يتقبل الله من المتقين » .

وحليق اللحية ليس بمتق لتركه سنة من سنن الرسول ﷺ ، ولقد أجاب ابن حزم عن هذا الاحتجاج بمايلى : (١)

« يقال لهم كل فاسق إذا نوى بالصلاة رحمه الله فهو فى عداد المتقين فصلاته متقبلة ولو لم يكن من المتقين ، إلا من لاذنب له مااستحق أحد هذا الاسم بعد رسول الله ﷺ قال تعالى : « ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ماترك عليها من دابة » (٢) .

ولا يجوز القطع على الفاسق بأنه لم يرد بصلاته وجه الله تعالى ، ومن قطع بهذا فقد أفتى بمالا علم به ، أو قال مالا يعلم وهو حرام .

مماسبق يتضح –والله أعلم – عدم صحة ماأفتى به الشيخ أمين خطاب بعدم جواز الصلاة خلف حليق اللحية ، ويبطل رأى من قال : إن حلقها كبيرة من الكبائر يعزر صاحبها ولا تقبل شهادته وما أعتقده أن إعفاء اللحية من هدى الرسول ﷺ ، وأن الأمر بها يفيد الوجوب ، وأن أدلة الوجوب أقوى من أدلة الندب .

العمامة والعذبة :

العمامة بالكسر ما يلف على الرأس والعذبة طرف العمامة المرسل من الخلف ، وهما من العادات التى تعارف عليها العرب قبل الإسلام ، ولقد ارتدى الرسول ﷺ العمامة وأرخى العذبة فى بعض الأحيان(٣) . فعن جابر بن عبدالله أن الرسول ﷺ دخل مكة عام الفتح وعليه عمامة سوداء ، وعن عمرو بن حريث قال : رأيت

---

(١) الفصل فى الملل والأهواء والنحل ابن حزم ج ٤ ص ١٧٦ .

(٢) سورة النحل آية ٦١

(٣) رواهما الخمسة إلا البخارى .

النبى ﷺ على المنبر وعليه عمامة سوداء ، قد أرخى طرفها بين كتفيه ، ولقد ذكر ابن القيم فى كتابه زاد المعاد :(١) .

« كانت له ﷺ عمامة تسمى السحاب كسا بها عليا ، وكان يلبسها ويلبس تحتها القلنسوة ، وكان يلبس القلنسوة بغير عمامة ويلبس العمامة بغير قلنسوة .

كذلك ذكر ابن القيم أنه ﷺ كان أحيانا يرخى عذبة عمامته وأحيانا لايرخيها .

وعلى هذا فإن العمامة والعذبة غاية مايمكن أن يقال فيها : إنها مستحبة والراجح أنها من سنن العادة لامن سنن العبادة ، غير أن الجمعية الشرعية قد جاوزت حد الاعتدال فى أمر العمامة والعذبة ، فلقد جاء فى كتاب المنهل العذب المورود :(٢) .

« وإرسال العذبة سنة وردت فيها الأحاديث الصحيحة والحسنة ، فمن فعلها فله ثواب فعلها ، ومن تركها حرم ثوابها ويعاقب على تركها ، ومن استهزأ بها بعد العلم بأنها سنة ثابتة عن النبى ﷺ كفر والعياذ بالله » ، مع ملاحظة أن الكثير من الأحاديث الواردة بشأن العمامة والعذبة ، إما ضعيفة أو موضوعة مثال ذلك : « صلاة بعمامة تعدل خمسا وعشرين صلاة بغير عمامة ، وجمعة بعمامة تعدل سبعين جمعة بغير عمامة ، وإن الملائكة ليشهدون الجمعة معممين ولايزالون يصلون على أصحاب العمائم حتى تغرب »(٣) .

وكذلك حديث « العمائم تيجان العرب » ، ذكره ابن الطاهر فى الموضوعات ، كذلك جاء فى كتاب«الحسام السامى لمحق يقول مصطفى الحمامى»لمؤلفه الشيخ عبدالله العفيفى وهو من دعاة الجمعية الشرعية أن إرسال العذبة سنة مؤكدة وساق على هذا بعض الأحاديث الضعيفة منها :

« تسوموا فإن الملائكة قد تسومت » ، « ذنبوا فإن الشيطان لايذنب » .

« ركعتان مع الذنب أفضل من سبعين ركعة بلا ذنب »(٤) .

---

(١) زاد المعادجـ١ صـ٣٤

(٢) المنهل العذب المورود شرح سنة أبى داود للشيخ محمود خطاب جـ١ صـ٢

(٣) قال الحافظ بن حجر حديث موضوع .

(٤) سلسلة الأحاديث الضعيفة ناصر الدين الألبانى جـ٢ صـ٢٨

ويذكر الشيخ محمود خطاب أن من تشبه بالكفار من ملبوس ومركوب وهيئة فقد كفر والعياذ بالله .

« إن من تشبه بالفساق كان منهم أو بالكفار أو المبتدعة فى أى شيء مما يختصون به من ملبوس أو مركوب أو هيئة ، فإذا تشبه بالكافر فى زى واعتقد أن يكون بذلك مثله كفر فإن لم يعتقد ، ففيه خلاف بين الفقهاء منهم من قال : يكفر ومنهم من قال : لايكفر ولكن يؤدب (١) .

وهكذا نجد الجمعية الشرعية قد بالغت فى أمر العمامة والعذبة ، مع ملاحظة أن السنة الصحيحة قد ذكرت أن عمامة الرسول ﷺ كانت سوداء ، فلماذا لم تقتد الجمعية بهذا ، ويرتدى أعضاؤهاعمامة سوداء بدلا من العمامة الحالية ؟ وهل عدم ارتداء المسلم عمامة أو عدم إرخائه العذبة كفيلان بالتشكيك فى المسلم واتهامه بالفسوق ؟ إن مما يلاحظ على الجمعية الشرعية أنها تهول وتبالغ ، بل قد تفتن المسلم وتخرجه من عقيدته ، إذا ماارتكب محظورا وسأضرب على ماذهبت إليه بمثالين :

١ ـ جاء فى كتاب الهداية المحمدية للشيخ محمود خطاب ، المبالغة فى زجر من يتحدث فى المسجد لغير عبادة فقال : « إنه حرام لايصدر إلا من إبليس اللعين » .

المبالغة فى التهويل على من ينام فى المسجد فيقول :

« والنوم فى المسجد والتكلم حال الوضوء بغير طاعة كما هو دين الجهلة أهل الإضاعة ، لايليق بمن عرف ربه جل علاه » .

ويرد على هذا بما أورده الإمام البخارى فى صحيحه تحت عنوان باب نوم المرء فى المسجد ، وساق سندا عن السيدة عائشة رضى الله عنها . وكذلك أفرد بابا عن نوم الرجال فى المساجد . ويرد أيضا بأن الرسول ﷺ كان يوزع الغنائم فى المسجد ، ويضرب خيمة فيه لعلاج الجرحى .

٣ ـ التنديد بمن يتكلم حال الوضوء :

ولقد ورد نهى عن هذا غير أنى أعترض على أسلوب التحذير الذى اتبعته الجمعية

---

(١) الدين الخالص جـ١ صـ١٦٣

الشرعية . قال الشيخ محمود خطاب فى كتابه هداية الأمة المحمدية (١) « اعلموا أن من تكلم فى تلك المواضع ، فقد أوقع نفسه فى المهالك ، ونودى عليه بأنه جهول خسيس ، فتوضأوا وأنتم عن كلام الدنيا ساهون » .

مما سبق ذكره يتضح للباحث الأمور التى نأت بها الجمعية عن مواطن الصواب وعاقتها عن أداء رسالتها على الوجه الأكمل . وكما سبق أن ذكرت أن هذا ليس قدحا أو انتقاصا لجهد بذل ، فإن الجمعية الشرعية مازالت تؤدى رسالتها ، وأن عضو الجمعية الشرعية له شخصيته المستقلة وسماته التى يتميز بها ، وأنه مما يذكر لها أنها بتوفيق الله خلال عمرها الذى يناهز الآن ستين عاما ، قد سلمت من الأنواء والعواصف ويشهد أيضا على نجاح رسالتها إشرافها وتعاهدها لما يقرب من ألفى مسجد كما مر ، وأن لها بعض المشروعات الرائدة لخدمة الدعوة الإسلامية كما سبق أثناء البحث .

وأختتم البحث عن الجمعية الشرعية بما قال الشيخ الصاوى شعلان : (٢)

« قد يحتاج بعض المصلين فى كثير من البلدان الاستماع إلى موعظة أو درس دينى فيتقدم إلى أحد المثقفين ، فيعتذر بأنه متخصص فى التاريخ أو أنه عالم فى الكيمياء أو أستاذ فى الاقتصاد وليس متخصصا فى الخطابة ، بينما نجد ابن الجمعية الشرعية ولو كان تاجرا أو نجارا أو فلاحا ، وقد يكون أميا فيؤدى ماطلب منه فى قراءة صحيحة وحكمة سليمة ، وفى علم مفيد ونصيحة صادقة».

---

(١) هداية الأمة المحمدية صـ١٩٨

(٢) الجمعية الشرعية مخطوط مصور تأليف أحمد محمد خطاب .

الفصل الثانى

جماعة أنصار السُنة المحمدية

أسست عام (١٣٤٥ هـ - ١٩٢٦ م) .

ويضم الموضوعات التالية :

أولا : التعريف بالمرحومين

١ - الشيخ محمد حامد الفقى

٢ - الشيخ عبد الرحمن الوكيل

ثانياً : البناء التنظيمى للجماعة

ثالثا : أهداف جماعة أنصار السُنة المحمدية

رابعا : الاتجاه الفكرى لتحقيق الأهداف .

خامساً : جماعة أنصار السنة فى الميزان

الفصل الثانى

جماعة أنصار السنة المحمدية

من الجمعيات التى أسهمت فى ميدان الدعوة الإسلامية خلال القرن الرابع عشر الهجرى جماعة أنصار السنة المحمدية والتى تعتبر امتدادا لمدرسة الإمام بن تيمية وابن القيم والإمام محمد بن عبدالوهاب، كما انفردت دون غيرها بنقل وتحقيق كتب المدرسة السلفية . وقبل أن نلقى ضوء البحث على تاريخها ومنهجها فما يجدر ملاحظته أن جماعة أنصار السنة والجمعية الشرعية تعتبران وجهين لعملة واحدة لاتفاق أهدافهما واتحاد أسلوبهما ولولا وجود بعض الخلافات حول آيات الصفات لأمكن توحيدهما هذا ولقد جرت محاولات الدمج بين الجماعتين عام خمسة وستين وتسعمائة وألف ميلادية برئاسة المرحوم الفريق عبد الرحمن أمين ، غير أن هذا الدمج لم يؤت ثماره بل كان مثار خلافات ومنازعات للحساسية المفرطة بين أعضاء الجماعتين ومحاولة كل منهما الهيمنة على الأخرى لأنه كان دمجا إداريا فقط مما أدى إلى توقف نشاط الجماعة تماما منذ تاريخ الدمج حتى أعيد إشهارها عام واحد وسبعين وتسعمائة وألف م . وأعيد إصدار مجلة الهدى النبوى لسان حال جماعة أنصار السنة منذ عام ست وثلاثين وتسعمائة وألف . ثم توقفت مجلة الهدى عن الصدور للاختلاف بين الجماعة وورثة المرحوم الشيخ حامد الفقى ، ومن ثم أصدرت الجماعة مجلة التوحيد عام اثنين وسبعين وتسعمائة وألف ثم ما لبث أن حدث خلاف بين أعضاء الجماعة والدكتور سعيد الطويل فانفصل عنها وأسس (جماعة دعوة الحق) وأعيدت مجلة الهدى النبوى لتكون لسان حال تلك الجماعة الناشئة . وقبل أن أستطرد فى مباحث هذا الفصل ، أوضح أننى سأتناول هذا الفصل بالإيجاز غير المخل إن شاء الله . وعلة ذلك ما سبق

بسطه خلال الحديث عن الجمعة الشرعية إذ إنهما لا يختلفان فى الهدف والمنهج .

المبحث الأول
التعريف ببعض رؤساء جماعة أنصار السنة المحمدية

أولا : ترجمة الشيخ محمد حامد الفقى مؤسس الجماعة ورئيسها (١) :

مولده : ولد رحمه الله عام (١٣٠٠ هـ - ١٨٩٢م) بقرية نكلا العنب مركز شبرا خيت مديرية البحيرة ووالده الشيخ سيد أحمد عبده الفقى كان زميلا للامام محمد عبده فى الدراسة بالأزهر الشريف ، غير أنه لم يتم دراسته وأنجب أربعة أولاد أوقفهم جميعا على طلب العلم وقسمهم بين المذاهب الأربعة .

طلبه العلم :

أتم المرحوم الشيخ محمد حامد الفقى حفظ القرآن الكريم وعمره لا يتجاوز السنة الثانية عشرة ، وبدأ دراسته فى الأزهر عام (١٣١٢ هـ - ١٩٠٤م) وتخرج فيه عام (١٩١٧م) وعقب تخرجه عمل إماما وخطيبا بمسجد الهدارة بعابدين وظل يؤدى رسالته حتى بعد إحالته للمعاش ، ولقد كان رحمه الله شغوفا بطلب العلم وبالدعوة إلى الله ولقى فى سبيل ما يدعو إليه الكثير من العنت ، وكانت له مثابرة عجيبة على القراءة والكتابة والتحقيق .

تحقيقات ومؤلفات الشيخ حامد الفقى :

أسهم رحمه الله فى نقل وتحقيق الكثير من مؤلفات الإمامين ابن تيمية وابن القيم وساعده على ذلك ملكه لمطبعة السنة المحمدية ومماحققه مايلى :-

١ - مختصر الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية .

٢ - التفسير القيم للإمام ابن القيم .

---

(١) مجلة الهدى النبوى عدد شعبان ١٣٧٨هـ

٣ – تهذيب سنن أبى داود .
٤ – نظرية العقد لابن تيمية .
٥ – روضة العقلاء ونزهة الفضلاء لابن حيان .

ومن مؤلفاته :

(أثر الدعوة الوهابية فى الإصلاح الدينى والعمرانى)
فضلا عن العديد من المقالات والأبحاث والفتاوى وتفسير القرآن الكريم على صفحات مجلة الهدى النبوى حتى انتقل إلى الرفيق الأعلى .

تأسيسه لجماعة أنصار السنة المحمدية عام (١٣٤٥ هـ – ١٩٢٦ م) :

سبق فى الباب الأول بيان الأسباب التى دعت إلى تأسيس الجمعيات الإسلامية فى مصر خلال القرن الرابع عشر الهجرى وهذه الأسباب السابق ذكرها هى نفس مادفع الشيخ الفقى لإنشاء جماعة أنصار السنة يقول – رحمه الله – شارحا أسباب تأسيسه لجماعته [١] :

« رأيت – حين خالطت العامة فى المساجد – أن عندهم قبولا للحق واستعدادا للدين ، وأنهم لا يحول بينهم وبين الخير إلا المحترفون للدين من الجهلاء الذين يظنون أنهم على علم وهم عن العلم بعيدون » .

هذا ولم تكن فكرة تأسيسه الجماعة تملك عليه لبه وحده ولكن سبقه فى هذا فضيلة الشيخ المرحوم محمد عبد الحليم الرمالى من كبار علماء دمياط والمفتش بوزارة الأوقاف وكان له نشاط ملحوظ وذا ثقافة واسعة فبجانب دعوته لمحاربة البدع فلقد كان يناقش بعض القضايا التى وفدت على الفكر الإسلامى مع جحافل الاستعمار والاستشراق كقضية دارون فى النشوء والارتقاء وفرويد فى علم النفس وكارل ماركس فى الاقتصاد ومن ثم تجمع الناس حوله عام (١٩٢٤م) وكانوا نواة أنصار السنة المحمدية ولهذا اختير رئيسا شرفيا للجماعة حتى تم إشهارها عام (١٣٤٥ هـ – ١٩٢٦ م) وتولى الشيخ حامد الفقى رئاستها حتى انتقل إلى الرفيق الأعلى فى السابع

---

(١) مقدمة قانون جماعة أنصار السنة :الشيخ حامد الفقى صـ٧

من رجب (١٣٨٧ هـ - يناير ١٩٥٩ م) [١] .

وعقب وفاته تولى رئاسة الجماعة الشيخ عبد الرازق عفيفى من علماء الأزهر غير أنه لم يستمر فى رئاسته سوى عام فقط وقدم استقالته واختير الشيخ عبد الرحمن الوكيل رئيسا للجماعة .

ثانيا : التعريف بالمرحوم الشيخ عبد الرحمن الوكيل : [٢] :

مولده : ولد رحمه الله فى الثالث والعشرين من يونية عام (١٩١٣م) بزاوية البقلى مركز الشهداء منوفية .

حفظ القرآن الكريم فى طفولته وتلقى تعليمه فى معهد طنطا الدينى ثم تخرج فى كلية أصول الدين وعين مدرسا بوزارة التربية والتعليم وكان من الأعضاء البارزين لجماعة أنصار السنة المحمدية ، فلقد عرفته أوساط الجماعة كاتبا ومحاضرا وخطيبا يأخذ بمجامع القلوب وله -رحمه الله -مقالات عديدة وبحوث فى التفسير على صفحات مجلة الهدى النبوى ومن مؤلفاته :-

١ - البهائية وهو بحث مفيد فى تاريخ تلك الجماعة المنحرفة عن الإسلام .
٢ - هذه هى الصوفية .
٣ - تحقيقه للعديد من كتب أئمة السلف .

توليه رئاسة الجماعة :

كان رحمه الله وكيل جماعة أنصار السنة المحمدية فى حياة المرحوم الشيخ محمد حامد الفقى ، ثم اختير رئيسا لها عقب استقالة الشيخ عبد الرازق عفيفى فى الخامس من يوليو عام ستين وتسعمائة وألف ، وظل يدعم الجماعة بفكره وجهده فكثر أعضاؤها وانتشرت فروعها وسمع صوتها فى ساحة الدعوة الإسلامية حتى عام خمسة وستين وتسعمائة وألف ميلادية ، حينما صدر قرار بدمج جماعة أنصار مع الجمعية الشرعية فكاد يتوقف نشاط الجماعة وتفرق جل أعضائها .

---

(١) مجلة الهدى النبوى شعبان١٣٨٧هـ

(٢) هذه هى الصوفية :الشيخ عبدالرحمن الوكيل صـ٢٢٢

وإزاء تلك الأحداث التى جمدت نشاط الجماعة سافر الشيخ عبد الرحمن الوكيل إلى المملكة العربية السعودية أستاذا للعقيدة بقسم الدراسات الإسلامية بكلية الشريعة بمكة المكرمة وظل يؤدى رسالته حتى وافاه الأجل فى السابع عشر من يوليو عام سبعين وتسعمائة وألف من الميلاد ودفن بها .

هذا وقد مكثت الجمعية شبه معطلة حتى أعيد إشهارها بعد جهود طويلة بذلها الأستاذ محمد عبد المجيد الشافعى ، وقد تولى رئاسة الجمعية منذ عام (١٩٧١ م ثم قدم استقالته ١٩٧٨ م) وتولى الرئاسة الأستاذ محمد عبد الرحيم

وما زالت الجماعة تؤدى رسالتها وأصبح لها ما يقرب من سبعين فرعا فى أنحاء البلاد المصرية تضم عدة آلاف من المسلمين المتمسكين بالسنة المحاربين للبدعة .

المبحث الثانى

البناء التنظيمى للجماعة

تتكون جماعة أنصار السنة المحمدية ممن تتوافر فيهم الشروط التى حددها قانونها الأساسى وذلك فيما يلى :-

١- تتألف الجماعة من كل مسلم حسن الأخلاق متبع لكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ عقيدة وعملا وخلقا ، وألا يكون معروفا بنزعة تخالف أصل هذه العقيدة وأن يكون مواليا لدفع الاشتراك وأن يقدم طلبا كتابيا مزكى بتوقيع اثنين من أعضاء الجماعة .

٢- مجلس العلماء :

يختارون ممن تتوافر فيهم الشروط الآتية :-

أ - أن يكون معروفا بأنه سلفى العقيدة .

ب - أن يكون مشهورا بحسن الأخلاق وصلاح الأعمال معروفا بسعة الاطلاع على كتب السلف من أمثال مؤلفات ابن تيمية وابن القيم متضلعا فى السنة غير منكر لشىء من الصحيح الثابت منها .

ويختص مجلس العلماء ببحث المسائل العلمية وإبداء الرأى فيها ووضع الرسائل والكتب لنشر الدعوة والنظر فى الكتب والمؤلفات التى تقوم الجماعة بطبعها ، وإلقاء المحاضرات فى المركز العام والفروع .

غير أن هذا المجلس لم يسمع عن نشاطه و لم يكن له أثر خلال تاريخ الجماعة .

٣- رئيس الجماعة :

هو الذى يمثلها أمام الهيئات الرسمية ، ويرأس مجلس إدارتها وجمعيتها العمومية وينتخب كل ثلاث سنوات ويجوز إعادة انتخابه ، ويشترط فى الرئيس المنتخب أن يكون من المشهود لهم بالتحقيق والفقه فى دراسة الكتاب والسنة ، عاملا بهما ، قوى الحجة ثابت الجنان معروفا بجهاده فى نشر الدعوة إلى التوحيد والجهر بكلمة الحق لا يخشى فى الله لومة لائم ، وألا يكون من أهل التقليد الأعمى والعمل بدون حجة من الكتاب والسنة وأن يكون معروفا بسعة الصدر والحنكة .

٤- مجلس الإدارة :

يتألف مجلس الادارة من خمسة عشر عضوا على الأقل ينتخبون ممن يرشحهم الرئيس واللجنة التنفيذية ويشترط على كل عضو من أعضاء مجلس الادارة وعلى الرئيس المنتخب أن يقسموا يمينا بالله مقلب القلوب والعليم لخفايا الصدور المحافظة على مبادىء الجمعية ويزيد الرئيس ألا يتبع إلا ماقام عليه الدليل والحجة من كتاب الله وسنة رسوله وعمل الصحابة هذا هو البناء التنظيمى لجماعة أنصار السنة المحمدية .

المبحث الثالث

أهداف جماعة أنصار السنة المحمدية

تنوعت أغراض الجماعة وتعددت أهدافها فيما يلى : [١]

١- دعوة الناس إلى التوحيد الخالص المطهر من جميع أرجاس الشرك وأدرانه وشوائبه ، وإلى حب الله تعالى حبا خالصا يتمثل فى طاعة الله والوقوف عند أمره ونهيه ، إرشادهم إلى أن أول ما يجب عليهم معرفته من هذا الدين هو فرارهم إلى الله بأن يعبدوه وحده لا شريك له .

٢ - إرشاد الناس إلى أخذ دينهم من نبعيه الصافيين صريح الكتاب وصحيح السنة فما عداهما من أقوال الناس يحتمل الخطأ والصواب .

٣ - الإرشاد إلى أن نصوص الكتاب والسنة لا محيد عنهما ألبتة ، وأن دين الله محصور فى ظاهر هذه النصوص التى قضت حكمة الله أن ينيط بها صلاح الخلق فى دينهم ودنياهم فألزمهم اتباعها ونهاهم عن اتباع ماتشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله .

٤ - الدعوة إلى حب رسول الله ﷺ حبا صادقا صحيحا يحمل على اتخاذه مثلا أعلى وأسوة حسنة والاقتداء به فى عبادته ومعاملاته ومجانية كل ما لم يكن عليه أمره وأمر أصحابه .

---

(١) جماعة أنصار السنة دعوتها وأهدافها : للشيخ حامد الفقى ص١٢

٥ – الدعوة إلى مجانبة البدع ومحدثات الأمور والوقوف عند قول الرسول ﷺ : (١)

« كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد » . فكل ما جاء به فى حياته من أمور الوحى فهو دين إلى قيام الساعة ومالم يأت به فليس بدين إلى يوم القيامة .

٦ – محاربة الخرافات والعقائد الفاسدة التى دسها العدو لمحاربة هدى الله الذى حصره فى الكتاب والسنة .

٧ – إرشاد الناس إلى أن حياتهم الدنيوية والأخروية مرتبطتان أقوى رباط بتلاوة القرآن الكريم حق تلاوته .

٨ – بيان أن الرسول ﷺ حرم تشريف القبور ورفع البناء فوقها بقباب ونحوها واتخاذها مساجد وايقاد السرج عليها ودعاء المقبورين من دون الله والنذر لهم والطواف حول القبور والتمسح بها وما إلى ذلك مما حذر منه الرسول ﷺ وأنذر .

٩ – الإرشاد إلى أن الحكم بغيرما أنزل الله هلكة فى الدنيا وشقوة فى الآخرة .

١٠ – إرشاد الناس إلى أن موقفهم من صفات الله وأسمائه يجب أن يكون كموقف الرسول ﷺ ومن تبعه بإحسان من الإيمان بكل صفة جاءت فى القرآن الكريم وصحيح السنة من الاستواء والفوقية واليد والعين والنزول وغير ذلك على ظواهرها بدون تأويل أو تمثيل مع استحضار قول الله تعالى :﴿ ليس كمثله شىء وهو السميع البصير ﴾ (٢)

١١ – كذلك من أهدافهم وجوب التمسك بالرجولة لتظل للرجل القوامة على المرأة فلا يفلت الزمام من أيدى الرجال .

١٢ – النهى عن ارتياد الملاهى من مراقص وسينمات وما إليها من ضروب الهوى .

---

(١) رواه مسلم

(٢) سورة الشورى آية ١١

هذه هى الأهداف التى تدعو إليها جماعة أنصار السنة المحمدية كما جاءت فى قانونها الأساسى وعلى لسان مؤسسها الشيخ حامد الفقى ، وكما يتضح من خلال دعاتها وهى أهداف لا يختلف اثنان عليها ولكن العبرة بالتطبيق وبالوسائل التى نهجتها الجماعة لتحقيق تلك الأهداف وهذا مما سأتناوله فيما يلى إن شاء الله

المبحث الرابع

الاتجاه الفكرى لتحقيق الأهداف

اتسمت جماعة أنصار السنة باتجاه فكرى واحد التزمت به وحافظت عليه منذ نشأتها ولم تبتعد عنه قيد أنملة طوال تاريخها وكان محور نشاط دعاتها وكتابها فلقد حذت حذو مدرسة ابن تيمية التى تولى كل اهتمامها لقضية التوحيد الذى هو حق الله على العبيد والأساس الذى بنيت عليه كل الرسالات السماوية ويتلخص هذا الاتجاه الفكرى فيما يلى :-

١ - **التركيز على مسائل العقيدة وتطهيرها من الزيغ والأهواء** وكانت معالجة الجماعة لقضية التوحيد تتجه لتوضيح المفاهيم التالية (١) .

أ- أن الكتاب والسنة هما النوران الهاديان والنبعان الصافيان اللذان قد تكفلا ببيان الدين أصوله وفروعه .

ب- أن مسائل العقيدة هى أصل الدين والأساس الذى تبنى عليه سائر الأعمال .

ج - جميع الاختلافات العقائدية ، التى فرقت دين الأمة وجعلتها شيعا وأحزابا وأضرمت بينها نار العداوة والبغضاء ، كلها كانت عوامل أجنبية لا صلة لها بالدين ، لهذا ذم السلف - رضى الله عنهم - جميع الفرق المختلفة الخارجة عن دائرة الكتاب والسنة .

---

(١) عقيدة القرآن والسنة د . محمد خليل هراس - مجلة الهدى ص-٣٢٢

ولاستجلاء حقيقة التوحيد وكشف ما يعلق بها من أوهام فلقد عملت الجمعية طوال تاريخها على تعميق وتفهيم العبادات القلبية التى لا ينبغى أن تكون إلا لله تعالى مثل : الحب ، والخوف ، والرجاء ، والذل ، والتوكل ، والاستعانة ، والتوبة ، والإنابة ، والتعظيم ، والإجلال ، والخضوع ، والاستكانة ، والإخلاص ، والتقوى ، والمراقبة والاستغاثة وكذلك العبادات القولية المتعلقة باللسان والتى قد يؤدى الجهل بها إلى الوقوع فى مظنة الشرك والعبادة بالله مثل :

دعاء غير الله أو الإستغاثة بغير الله أو الحلف به أو الغلو فى مدحه بما يرفعه درجة على المخلوقين أو سؤاله المدد والبركة ، ولكى تتضح تلك المفاهيم الفكرية اهتمت جماعة أنصار السنة بتوضيح منهج القرآن والسنة وعمل السلف فى العبادات التالية :-

أ ـ الذكر :

وهو استحضار الذاكر لله سبحانه وتعالى ببعض ماله من الأسماء والصفات مع التأمل فى معانيها وتدبر لآثارها وتأثر القلب بها ولقد أوضح دعاة الجمعية حقيقة الذكر وكيفيته وآدابه وحملت بشدة ، ولها الحق فى ذلك،على من يحرفون ذكر الله بترديد بعض الكلمات المقطعة والتمايل والرقص على أنغام الموسيقى كما يفعله بعض الجهال مما لم يأذن به الله ورسوله ولم يرو عن أحد من أصحابه .

ب ـ الدعاء لله والتوجه إليه وحده :

كانت الجمعية فى هذا المضمار واضحة ومتمسكة بالحق الذى تراه وتدعو إليه من وجوب الدعاء لله وحده وحرمة دعاء غيره تعالى أو اتخاذ واسطة بين العباد وخالقهم .

ج ـ الاستغاثة والاستعانة :

وهما طلب الغوث والنجدة لتفريج كربة أو إزالة شدة [١]

« ولا يجوز ذلك إلا بالله عز وجل فيما لا يقدر عليه غيره وأما ما يقدر عليه العباد فيجوز الاستغاثة بهم إذا كانوا أحياء حاضرين » ولهذا فلقد حرموا الاستغاثة بالموتى والغائبين .

---

(١) عقيدة القرآن والسنة د . محمد خليل هراس صـ١٥

د ـ جماعة أنصار السنة وآيات الصفات :

نهجت الجماعة منهج السلف فى آيات الصفات حيث قالوا : إن هذه الصفات على حقيقتها بدون تأويل مع استحضار قول الله تعالى :

﴿ ليس كمثله شىء وهو السميع البصير ﴾ (١) ولقد حملت بشدة على الجمعية الشرعية لاتباعها رأى الخلف وهاجمت من يقول : « رأى السلف أسلم ورأى الخلف أحكم وأعلم »

٢ـ محاربة البدع والخرافات :

منذ نشأة الجماعة (١٩٢٦م) وهى تتصدى للبدع والخرافات التى تسللت إلى عقول المسلمين بسبب الأمية الدينية والجهل بأحكام الشرع والتقليد بدون دليل شرعى ولقد صمدت فى هذا الميدان ونازلت أرباب البدع منازلة لا هوادة فيها ، تارة بالدليل والحجة وتارة بالهجوم والتطاول كما سنوضحه عند التقييم ، فلم تفتر لها عزيمة ولم يضعف لها جهاد فلقد أوضحت للمسلمين معنى الابتداع فى الدين ومدى خطره على الإسلام ولقد وضعوا نصب أعينهم قول الله تعالى :ـ **﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا ﴾** (٢)

وقول الرسول ﷺ « من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » (٣)

وقوله ﷺ : « إياكم ومحدثات الأمور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار » .

٣ـ أنصار السنة والتصوف :

شهدت ساحة الدعوة الإسلامية خلال القرن الرابع عشر الهجرى معركة فكرية ضارية بين كل من أنصار السنة والتصوف حاول كل فريق أن يجهز فيها على الآخر وقد أحدث هذا الصراع جروحا لن تندمل فى كيان الدعوة الإسلامية فأنصار السنة منذ باكورة عهدها وهى نصب جام غضبها على التصوف ، فمن خلال فكرها المقروء

---

(١) سورة الشورى آية ١١

(٢) سورة المائدة آية ٣

(٣) رواه البخارى ومسلم

وعبر ألسنة دعاتها استهدفت الجماعة الإجهاز على التصوف بإثبات القضايا التالية :-

أ - الاتجاه الصوفى على النحو الذى يردده أعلام التصوف لم تعرفه البيئة العربية قبل الإسلام وأن فترات تحنث الرسول ﷺ كانت عزوفا عن المجتمع المسلم

ب - عندما جاء الإسلام متمثلا فى مصدريه الأساسيين كتاب الله تعالى والسنة الصحيحة لرسوله ﷺ لم نجد فيها إشارة للتصوف لا بلفظه ولا بمعناه ، والقرآن الكريم وكتب السنة فى متناول الجميع ومن عنده ريب فى هذا التعميم فليأت ببرهان .

جـ - لا يوجد فى لغة العرب ولا فيما توارثنا من أدبها شعرا ونثرا أية إشارة إلى كلمة صوفية أو صوفى بنفس المعنى الذى يهدف إليه أعلام التصوف .

د - ظهر التصوف بمقاييسه الفكرية والفلسفية فى البيئة العربية فى النصف الثانى من القرن الثانى للهجرة وكان من قبل معروفا فى بيئات غير عربية ، هذا ولقد أرادت الجماعة من خلال منهجها الفكرى أن تثبت أن التصوف فكر وافد ظهر فى أوساط الديانات الوثنية فهو غريب عن الإسلام ، ، وفى سبيل إثبات ذلك نشرت العديد من المؤلفات التى توضح المنهج الفكرى لجماعة أنصار السنة ومن ذلك « هذه هى الصوفية » للأستاذ عبد الرحمن الوكيل و« تنبيه الأذهان للرد على مفتريات الشيخ عبد ربه سليمان » تأليف محمد صالح سعدان ، « والصراع بين الحق والباطل » للأستاذ سعد صادق . هذا بجانب العديد من المقالات التى نشرت فى مجلة الهدى عبر تاريخها الممتد زهاء نصف قرن .

هذه الاتجاهات الرئيسية الثلاثة هى دعائم فكر أنصار السنة وبجانب هذا الجهد الرئيسى فلقد عالجت الجماعة قضايا الدعوة الإسلامية معالجة موضوعية ، كتنظيم النسل وعلاقة المرأة بالرجل والمطالبة بتطبيق الشريعة الإسلامية مما كان له أثر واضح فى اليقظة الإسلامية المعاصرة .

أثر أنصار السنة في ميدان الدعوة الإسلامية :

اتضح من خلال المباحث السابقة تاريخ جماعة أنصار السنة ومنهجها فى الدعوة إلى الله وقبل أن نقف من الجماعة موقف النقد البناء والتقييم الموضوعى فمما تجدر ملاحظته أن جماعة أنصار السنة قد تركت آثارا لا تنكر وبذلت جهودا لا تجحد

فى ميدان الدعوة الإسلامية ويمكن إيجاز أهم آثارها فى النقاط التالية :-

أ - أنها امتداد فكرى وتاريخى لمدرسة ابن تيمية وابن القيم ومحمد بن عبد الوهاب رحمهم الله جميعا فلقد نقلت وحققت الكثير من تراث تلك المدرسة التى لا ينكر أثرها فى اليقظة الإسلامية المعاصرة .

ب - أنها وقفت من العقيدة موقف الحارس الأمين والمدافع العنيد توضح جوهرها وتذب عنها الشبه التى علقت بها من خلال الأمية والتقليد والثقافات التى وفدت على الفكر الإسلامى فعكرت صفاءه وألبست الباطل ثوب الحق .

جـ - أن جماعة أنصار السنة قد شاركت مع غيرها من الجمعيات العاملة بميدان الدعوة فى تحقيق التطبيق العملى لسنة الرسول ﷺ وهديه فى العبادات وسائر السنن كما أن أعضاءها لا يستدلون إلا بما ثبت صحته من الأحاديث .

د - أنها والجمعية الشرعية قد شاركتا مشاركة فعالة فى محاربة البدع والخرافات التى ترتكب باسم الدين كبدع المآتم والأفراح والموالد وغير ذلك من العادات التى لا تمت إلى الإسلام بصلة .

هـ - أنه من خلال المعركة الضروس بين أنصار السنة والتصوف ومع ما تركته تلك المعارك مع جراح لا تندمل بين العاملين فى ميدان الدعوة فإن تلك المعارك الفكرية بين الفريقين قد أثرت المكتبة الإسلامية بالعديد من المؤلفات والأبحاث التى حاولت كل جماعة أن تؤيد فكرها بما تسوقه من أدلة وبراهين لتأييد ما تعتنقه وتدعو إليه ولقد دل هذا على قدرة الإسلام على الاحتواء والعطاء .

هذه الآثار السابقة من العوامل التى ساعدت على اليقظة الإسلامية المعاصرة التى تتبع المنهج السلفى وترفض ما عداه .

المبحث الخامس

جماعة أنصار السنة فى الميزان

سبق أن ذكرنا أن الجمعية الشرعية وأنصار السنة المحمدية وجهان لعملة واحدة وأنهما أسهمتا فى مجالات الدعوة الإسلامية لا سيما فى العقيدة والعبادات ولولا ذلك الخلاف بين الجماعتين حول آيات الصفات لكان لهما شأن أى شأن .

ولهذا فإن ما وجه إلى الجمعية الشرعية من نقد وملاحظات خلال المبحث الخامس من الفصل الأول من هذا الباب يوجه أيضا إلى جماعة أنصار السنة المحمدية ونوجز ما سبق فى النقاط التالية :

١ ـ **قصور المنهج** وعدم شموله إذ إن أنصار السنة اقتصرت في دعوتها على جوانب العقيدة والعبادة فقط وأهملت جوانب الدعوة الأخرى فعزلت نفسها سياسيا واجتماعيا ولم تعمل على قيادة الرأى العام وتوجيهه إسلاميا فى كل جوانب الحياة

٢ ـ **عدم الاهتمام بتربية النشء** فلم تول عنايتها لإنشاء مدارس أو رياض أطفال الوقت الذى كانت فيه مدارس التبشير والإرساليات الأجنبية تستولى على خيرة أطفال المسلمين وتسيطر على عقولهم .

٣ ـ **عدم المشاركة في القضايا السياسية** والابتعاد عن الكفاح الديني والوطني ضد أعداء الإسلام فما وجدنا دعوة لجهاد فى سبيل الله وما تطوعت الجماعة لتقاتل أعداء الله من الاحتلال الإنجليزى أو قضية فلسطين ، ولم تبادر الجماعة إلى أية خطوات عملية فى مجال الاقتصاد لتحرير المعاملات الإسلامية من الربا

وشوائبه ، بل نأت عن هذا كله وقنعت بما تدعو إليه ، وكان النص فى قانونها على عدم التعرض للأمور السياسية تمهيدا للفكرة الخطيرة « لا سياسة فى الدين ولا دين فى السياسة »

٤ ـ الخلاف بين أنصار السنة والجمعيات العاملة في حقل الدعوة ، فى الوقت الذى كان يجثم فيه الاحتلال على صدور المسلمين فيستبيح دماءهم وأعراضهم ويعبث بمقدساتهم وينحى شرع الله عن كل مجالات الحياة ويدفع به ليعيش بين أروقة المساجد فقط ويملك أزمة القيادة والريادة لدعاة العلمانية والإلحاد مما كان يستوجب النفير العام بين كل العاملين فى ميادين الدعوة ، وتناسى ما بينهم من خلافات ولكن مع الأسف لم تعر جماعة أنصار السنة التفاتا لهذا كله بل كانت تصول وتجول فى ميدان آخر وهو إذكاء العداوة بين العاملين فى الحقل الإسلامى وذلك بالنقد اللاذع والكلمات القاسية بحيث لم تسلم جمعية من الجمعيات من ألسنة دعاة أنصار السنة والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصى ومن ذلك ما يلى :-

أ ـ مهاجمة جماعة الإخوان المسلمين :

فلقد كتب الأستاذ المرحوم عبد الرحمن الوكيل فى مجلة الهدى [١] مقالا هاجم فيه الإخوان لأن مرشدها العام حسن البنا قال :-

إن مسألة التوسل بالأولياء مسألة خلافية لا يجوز أن تفرق بين المسلم وأخيه المسلم فانبرى كاتب المقال قائلا :-

ألا يرى فضيلته أن هذا الرأى خطير يبعد الإخوان عن حقيقة الدين الإسلامى ثم يخاطب المرشد العام قائلا :-

« أقم وجهك للدين حنيفا يا فضيلة الأستاذ ولا تنس أن عليك مغبة هؤلاء النفر الذين يلهبهم التحمس لك والذياد عنك ، قلها مرة مبتغيا بها وجه الله ولا تغرنك الكثرة ولو أعجبك كثرة الخبيث » .

---

(١) عدد شوال عام ١٣٦٧هـ صـ٢٣

فإنه من خلال تلك الكلمات قد حكم على جماعة الاخوان ومرشدها بما يلى :-

(١) البعد عن حقيقة الدين الإسلامى .

(٢) التلميح بأن البنا فى دعوته لم يكن مبتغيا وجه الله وهذا تجن على الرجل و لم يقل بهذا أحد .

(٣) أن كثرة الإخوان كثرة خبيثة وهذا لا يليق بمسلم أن يصف أخاه بمثل هذا الوصف غير الكريم .

ب - أنصار السنة وجماعة شباب سيدنا محمد ﷺ :

جماعة شباب سيدنا محمد من الجماعات التى انفصلت عن الإخوان المسلمين فى حقبة الأربعينيات ولها جهاد رائد فى ميدان الدعوة وكان يرأسها الأستاذ المرحوم « محمد عطية خميس » و لم تسلم هى الأخرى من هجوم أنصار السنة عليها فلقد كتب الأستاذ محمد صادق عرنوس فى مجلة الهدى النبوى [١] مقالا ذكر فيه :-

« والشاهد عندنا قائم فى أولئك الذين انتحلوا لأنفسهم شباب محمد وهم أول من يبرأ منهم محمد ﷺ يوم يقال لهم :- (ماذا أجبتم المرسلين) ويوم يناديهم : ﴿ أين شركائى الذين كنتم تزعمون ﴾ ؟

ثم يستطرد كاتب المقال :

(غلبت عليهم شقوتهم فاستحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله كما أغرى بهم شيطانا من شياطين الإنس فوجههم وجهة غير سليمة أضاعت ما بذلناه معهم من جهود لتثبيت التوحيد فى قلوبهم فجاهروا بالشرك وناصروا كل بدعة) .

وهذا الكلام ليس فى حاجة إلى تعليق ولكنه يصور مأساة العاملين فى ميدان الدعوة .

جـ - أنصار السنة المحمدية والجمعية الشرعية :

رغم أن أنصار السنة المحمدية والجمعية الشرعية كما سبق أن ذكرت وجهان لعملة

---

(١) العدد الخامس جمادى الأولى ١٣٦٩هـ

واحدة فإن صراعاً نشب بينهما طال عمر جذوره فأثمر خلافا وفرقة بين الجماعتين وهو الخلاف حول آيات الصفات فأنصار السنة تعمد إلى الحقيقة دون تأويل مع ذكر قوله تعالى ﴿ **ليس كمثله شيء وهو السميع البصير** ﴾[1] وهذا رأى السلف . والجمعية الشرعية تجنح إلى رأى الخلف القائل بالتأويل .

وهدف الجماعتين تنزيه الله تعالى وإن اختلفت وجهات النظر وكان يكفى فى هذا المقام أن تناقش تلك القضية مع الالتزام بأدب البحث والمناظرة ، غير أن جماعة أنصار السنة وجدت فى هذا المجال ميدانا تصول فيه وتجول وتصب جام غضبها على الجمعية الشرعية حتى يخيل للباحث أن ما يدور ليس بين دعاة تجمعهم عقيدة واحدة وهدف مشترك بل أعداء ، وما رمى به كل فريق الآخر من مثالب ونقائص لم يرموا به أعداء الإسلام فتنتسر مجلة أنصار السنة فى العدد العاشر[2] مقالا بقلم مدير المجلة يحمل بعنف على الجمعية الشرعية ويُنشر بحث للأستاذ ذكريا على يوسف بعنوان « ادفع بالتى هى أحسن » يبدؤه بقوله : « مجلة الاعتصام صحيفة شهرية تصدر فى القاهرة رديئة الطبع رديئة الورق رديئة التحرير تنشرما يصل إليها دون تحقيق أو تدقيق رغبة فى الرواج وحب الانتشار » .

ويبلغ التطاول إلى حد الافتراء على الشيخ محمود خطاب رحمه الله فيقول البحث فى ص ٣٣ تحت عنوان شيخ يدعو الناس إلى عبادته ومما جاء به :

ماذا أملك لمجلة الاعتصام التى تذكرنى بالجملة القائلة : (عدو عاقل خير من صديق جاهل) ، والسن بالسن والبادىء أظلم ، (ولا تطمعوا أن تهينونا ونكرمكم ، وأن نكف الأذى عنكم وتؤذوننا) ثم بدأ الكاتب يلفق اتهام الشيخ محمود خطاب بأنه يدعو الناس إلى عبادته من خلال كتابه « العهد الوثيق » وهكذا يستطرد كاتب هذا البحث فى مجلة أنصار السنة[3] والذى قارب الخمسين من الصفحات وبعد هذا كله يقول « نكتفى بهذا القدر والبقية تأتى » .

---

(١) سورة الشورى آية ١١

(٢) شوال ١٣٦٧ صـ٢٠

(٣) مجلة الهدى النبوى ــ بحث ملحق بعنوان ــ ادفع بالتى هى أحسن:الشيخ زكريا على يوسف صـ٤٨

ثم يختتمه بهذا البيت من الشعر الهجائى :

إن عادت العقرب عدنا لها وجعلنا النعل لها حاضرة

أهكذا يتعامل الدعاة فيما بينهم ؟

وهل فيما علمته جماعة أنصار السنة من هدى الرسول ﷺ أنه هاجم مخالفيه بهذا ؟ حشاه ﷺ أن يفعل أو أن يقول مثل هذا - ولقد كانت ثمرة تلك الخلافات حيرة جموع المسلمين وفقدانهم الثقة فى معظم الجمعيات العاملة فى حقل الدعوة ولهذا ما تكاد تنحل جمعية من الجمعيات أو تصادر مجلتها أو يحظر نشاطها فلا يلتفت إليها أحد ولا يتحرك الرأى العام الإسلامى يؤازرها ويقف بجوارها فى محنتها وذلك بسبب عجزها عن التأثير فى حياة المسلم وانشغالها بالهجوم على غيرها كما سبق توضيحه .

٥ - أنصار السنة والتصوف :

إن الفكر الصوفى مهما اختلفت الآراء حوله هل هو إسلامى النشأة ؟ أم غريب وفد مع روافد الثقافات المعاصرة للفتوحات الإسلامية ؟ قد أصبح واقعا لا يجحد وغدا له تاريخ ورجال وفكر لا ينكر ولا يختلف باحث منصف على أن التصوف قد شابه دخل كثير وجنح إلى الشطحات الفكرية والفلسفية والنزعات الغربية مثل قضايا الاتحاد والحلول والغلو فى مسائل التوسل والوسيلة والمبالغة فى شأن الولاية والكرامة ومنحها لكل شارد ووارد ثم الانغماس فى البدع والمنكرات التى تحدث فى الموالد التى تقام للأولياء ويفد الناس إليها من كل حدب وصوب يقبلون القبور ويتمسحون بها ويطوفون حولها ويقدمون لها النذور من أموال وعطايا ، ثم تقام حلقات الذكر على أنغام الموسيقى واختلاط الرجال بالنساء مما يجمع على إنكاره علماء الإسلام هذا ولقد اعترضت معظم الجمعيات العاملة فى ميادين الدعوة على أسلوب التصوف ومنهجه لاسيما حينما ينغمس المتصوفون فيما ذكرناه من أمور البدعة ، غير أنهم لم ينكروا التصوف كحقيقة وله أثره فى الفكر الإسلامى ولا يجحد دوره فى نشر الإسلام فى مجاهل أفريقيا ، ولم يتطاولوا على الأحياء والأموات سبابا ولعنا سوى ما انفردت به جماعة أنصار السنة ، فلقد نهجت فى الاعتراض على التصوف منهجا يتسم بالقسوة والتطاول ولم يسلم من ذلك الأحياء

ولا الأموات وهم يلصقون بالتصوف كل ما نزل بالإسلام من كوارث. ويرجعونه إلى وثنية فارس ويصفون أولياء الله أو من أطلق عليهم هذا الاسم – والله أعلم بحقيقتهم – بأقبح الصفات التى يعف اللسان عن ذكرها وأسوق على مضض بعض نماذج منها فيما يلى :-

أ – نشرت مجلة الهدى النبوى [١] : مقالا عن السيد أحمد البدوى رحمه الله ومما جاء فيه :

« لا يعرف له أصل ولا فصل ولا علم ولا عبادة إلا أنه دخل المسجد يوم الجمعه فبال فيه وخرج » . ويستطرد كاتب المقال فيقول :-

« الروايات فى شأن نشأته وظهوره فى مصر مضطربة ومختلفة ، ولكنها تتلاقى فى النص على تفاهة حياته وغرابة أطواره واختلال عقله ... وروى أنه كان جاسوسا لإحدى الدول فلما انكشف أمره تظاهر بالولاية ليصرف الأنظار عنه فهو رجل غريب غامض مريب إن دل تاريخه على شىء فإنما يدل على تمسك المصريين بمبدئهم العريق فى القدم من أنهم حين افتقدوا معبودهم فى شخص أحد الفراعنة التمسوه فى شخص بعض المجانين » .

أهذا كلام يخرج من داعية ملتزم ومحافظ على هدى الرسول ﷺ فى أدب الحديث ؟ .

ثم هكذا يوصف المصريون بهذا الوصف غير اللائق وبطعن فى عقيدتهم وأنهم متأرجحون بين عبادة الفراعنة والمجانين ؟ .

وتصف مجلة الهدى المرسى أبا العباس رحمه الله بأنه طاغوت الإسكندرية الأكبر .

ب – ألف المرحوم الشيخ عبد الرحمن الوكيل رئيس الجماعة كتابا بعنوان : هذه هى الصوفية تخطى فيه حدود البحث العلمى الهادىء الهادف وأدب المناقشة الموضوعية إلى التطاول والتشهير . والمستعرض لموضوعات الكتاب يقف على الكثير مما درس فى كتب التصوف يسوقها الشيخ الوكيل رحمه الله لإدانة

---

(١) العدد الرابع عام ١٣٦٧ صـ٣٧

التصوف هذا إذا كنا نعتب على مثل هذه الكتابات فإننا نعتب ونلوم رجال التصوف لذكرهم الأخبار الملفقة والقصص الكاذب فى أمهات كتب التصوف بهذا الأسلوب المهين . كذلك يؤلف الأستاذ سعد محمد صادق كتابا (١) مما جاء فيه :-

إن قبر السيدة زينب المنسوب إلى زينب بنت على رضى الله عنها بالقاهرة لا أصل له ويقال : إن موضعه كان ساقية فلما رأى صاحبها أنها لا تغل عليه مع التعب زعم أن السيدة زينب جاءت له فى المنام ...الخ .

كذلك يعنون فى كتابه بعناوين فيها السخرية والتطاول منها :-

أولياء الخيال ، ولى ضال عن سبيل الله ، ولى يسرق ليعيش ، إلى آخر مثل هذه الأساليب التى تتسم بالتطاول أكثر من اتسامها بالبحث العلمى الدقيق وما ذكرته قليل من كثير امتلأت به كتب جماعة أنصار السنة ومجلتها وعلى ألسنة دعاتها مما أوغر الصدور وبذر بذور الفتن .

هذا ولقد ترتب على رمى جماعة أنصار السنة لمخالفيها بالشرك والابتداع أن سهلت كلمة الكفر على الألسنة ورمى بها بعض المسلمين جزافا مما أدى إلى ظهور جماعات فيما بعد تكفر المسلمين وتهجر مجتمعاتهم مما سأوضحه فى الباب الثالث .

هذه بعض الملاحظات والاعتراضات على أسلوب جماعة أنصار السنة فى الدعوة إلى الله مما كان له أثر سيئ فى ميدان العمل الإسلامى فتفرقت كلمة الدعاة وابتعدوا بالدعوة عن مسارها الصحيح الذى ينبغى أن تسلكه فى صبغ المجتمع المسلم بصبغة الإسلام ونظرا للاختلاف بين العاملين فى حقل الدعوة الإسلامية فلقد أسست جمعية الشبان المسلمين عام (١٩٢٧ م) وكان لها منهج خاص ونمط معين فى الدعوة إلى الله مما سأتناوله فى الفصل التالى إن شاء الله تعالى .

---

(١) صراع بين الحق والباطل صـ١٠٠

الفصل الثالث

جمعية الشبان المسلمين

أسست فى
جمادى الآخرة عام ١٣٤٦ هـ
ديسمبر عام ١٩٢٧ م)

ويضم هذا الفصل الموضوعات التالية :

ا - كيف أسست جمعية الشبان المسلمين ؟

ب - التعريف الموجز بكل من :

الدكتور / عبد الحميد سعيد .

واللواء / صالح حرب . من رؤساء الجمعية .

جـ - الأهداف التى قامت عليها الجمعية .

د - منهج الجمعية فى تحقيق أهدافها .

هـ - الاتجاهات الفكرية والعملية .

و - أثر الجمعية فى الدعوة الإسلامية .

ز - الجمعية فى ميزان النقد .

الفصل الثالث

جمعية الشبان المسلمين

من الجمعيات التى لها دور بارز فى ميدان الدعوة الإسلامية جمعية الشبان المسلمين التى ظهرت فى فترة كانت الدعوة الإسلامية فى أشد الحاجة إلى شبان يعتنقون مبادئها ويردون عنها تلك الهجمات الشرسة من كل أعداء الإســلام الذين استطاعوا الإطباق على ديار الإسلام فى مطلع القرن الرابع عشر الهجرى و لم يكن على ساحة الدعوة حينذاك سوى بعض الجمعيات ، والتى سبق التأريخ لها كالجمعية الشرعية ، وأنصار السنة المحمدية اللتين عالجتا أمور العقيدة والعبادة وجعلتا من القضايا الفقهية والخلافات الفرعية ميدانا تصولان وتجولان فيه وكذلك وُجِد فى الميدان جمعيتا الهداية الإسلامية ومكارم الأخلاق وتلك الجمعيات كان تحركها صوب الشباب حثيثا باستثناء الإخوان المسلمين كما سيأتى إن شاء الله ولهذا كان تأسيس جمعية للشباب المسلم أملا يراود النفوس لاسيما أن ظروف مصر كانت تستوجب تجمعا شبابيا مسلما ولقد مضى فى الباب الأول أسباب نشأة الجمعيات الإسلامية ولقد كان تأسيس تلك الجمعية كرد فعل لجمعية الشباب المسيحية التى أنشئت عام (١٩٢٧ م) وسوف يتضمن هذا الفصل الموضوعات التالية :-

المبحث الأول

كيف أسست جمعية الشبان المسلمين

بدأت الفكرة الأولى لإنشاء الجمعية لدى مجموعة من ذوى الغيرة الدينية والحماس

الإسلامى أمثال : فضيلة المرحوم الشيخ محمد الخضر حسين شيخ الأزهر فيما بعد والشيخ عبد العزيز جاويش ، وأحمد تيمور باشا ، والسيد محب الدين الخطيب، والدكتور عبد الحميد سعيد ، والدكتور محمد أحمد الغمراوى . وجمع غفير من الشباب اجتمعوا فى يوم الجمعة (١٥ جمادى الآخره عام ١٣٤٦ هـ - ديسمبر ١٩٢٧ م) على نفقة أمير الشعراء أحمد شوقى .

ويؤرخ المرحوم الأستاذ محب الدين الخطيب لهذا فيقول [١]«فى اجتماع عظيم حضره أكثر من ثلاثمائه شاب من شباب المسلمين يتقدمهم صفوة الكهول والشيوخ من قادة الرأى الإسلامى فى مصر وما منهم إلا من يرى الشرف فى الحصول على أصوات كافية لعضوية مجلس إدارة هذه الجمعية التى ظهرت فجأة على حين فترة من يأس وفى زمن أيقن فيه الإلحاد وأهله ومن يرعاهم من ذوى القوة والسلطان الأجنبى و المحلى بأن الإسلام خفت صوته ولن تقوم له بعد قائمة ولقد تمخض هذا الاجتماع عن النواة الأولى لجمعية الشبان المسلمين »

---

(١) مقدمة كتاب الطريق د . يحيى الدرديرى صـ٥

المبحث الثانى

التعريف بكل من :

١ ـ الدكتور عبد الحميد سعيد الرئيس العام الأول للشبان .

٢ ـ اللواء صالح حرب الرئيس الثانى للشبان .

١ ـ الدكتور عبد الحميد سعيد :

مولده : ولد رحمه الله فى مارس (١٨٨٢م) فى بيت من البيوتات العريقة فوالده إبراهيم باشا سعيد .

تعليمه : تلقى العلوم فى المدرسة الناصرية التوفيقية ونال منها الشهادة الثانوية ثم أوفده والده إلى باريس لتلقى دراسة الحقوق وقد حصل عى درجة الدكتوراه فى القانون ثم اشترك فى حرب البلقان عام (١٩١٢م) وجرح فى إحدى معاركها وعندما نشبت الحرب العالمية الأولى عام (١٩١٤م) ذهب إلى تركيا . ثم سافر إلى سويسرا وإيطاليا ثم عاد إلى مصر وانتخب عضوا بمجلس النواب عام (١٩٢٣م) عن دائرة كفر الشيخ طيلة حياته ، وفى عام (١٩٢٧م) انتخب رئيسا لجميعة الشبان المسلمين واستمر فى رئاستها حتى انتقل إلى الرفيق الأعلى [١] يوم الاثنين (٢٥ جمادى الأولى ١٣٥٩ هـ أول يوليه ١٩٤٠ م)

جهاده وكفاحه فى سبيل الإسلام :

يعتبر الدكتور عبد الحميد سعيد من الرجال الذين لهم جهاد كريم فى الدعوة

---

(١) مجلة الشبان المسلمين العدد المحرم ١٣٩٧ ص٤١

إلى الله من خلال منبر الشبان المسلمين ومجلتهم ومن فوق منصة البرلمان الذى كان عضوا بارزا فيه وإنه ليجب على شباب هذا الجيل لاسيما الدعاة منهم أن يقفوا على تاريخ هؤلاء الرجال وعلى الباحثين أن يميطوا اللثام عن رجالات الإسلام فى مصر هذا ومن أبرز جهاد الدكتور عبد الحميد سعيد مواقفه من القضايا الإسلاميه وأبرزها كشفه أمام مجلس النواب عن سوء طوية الدكتور طه حسين بسبب كتابيه « الشعر الجاهلى ، وحديث الأربعاء » .

فلقد قدم استجوابا للحكومة عن الأمور المنسوبة إلى الدكتور طه حسين عميد كليه الآداب بجامعة فؤاد الأول . سأحاول أن أقتطف بعضا من فقرات خطابه على أعضاء المجلس لنقف على تاريخ الرجل ومواقفه (١)

« يا حضرات النواب : لقد طغت على بلادنا موجة من التقليد الأعمى لكل ما هو غربى ، موجة الخروج على الآداب القومية وعلى النظم الشرعية وتعاليم الدين . وقام بالتبشير بهذه التقاليد الغربية جماعة ممن لم يتهذبوا التهذيب الدينى ولم يصل نور الإيمان إلى قلوبهم ... ثم ينتقل فى خطابه إلى الحديث عن آراء طه حسين فيقول :إننا لا نشكو من هذا الرجل حرية الرأى ، ولا ماتؤدى إليه من بحوث عملية وأدبية ولكننا نشكو منه غلا ران على قلبه نحو الاسلام والمسلمين . نشكو منه أن يتخذ من الجامعة حصنا يقذف من وراء أسواره غازاته السامة الخانقة فتصيب من الأخلاق والآداب مقتلا ثم تنبعث سمومه فى نفوس الطلبة وهم غير مسلحين بالدين وغير مدرعين بتلك التعاليم التى تمكنهم – لو تعلموها،أن يهدوا الجبال ، هذا ، وأخذ – رحمه الله – يقرأ من الموضوعات التى يلقيها طه حسين على طلابه ومن هذه الفقرات وأخطرها قوله :

« لاشك فى أن الباحث الناقد والمفكر الحر الذى لا يفرق فى نقده بين القرآن وبين أى كتاب أدبى آخر يلاحظ أن فى القرآن أسلوبين متعارضين لا تربط الأول بالثانى صلة ولا علاقة مما يدفعنا إلى الاعتقاد بأن هذا الكتاب خضع لظروف مختلفة وتأثر ببيئات متباينة » .

---

(١) مجلة الشبان المسلمين عددى ذى القعدة والمحرم ١٣٥١هـ مايو ويونية ١٩٣٢ صـ٣٨٥

ويعقب الدكتور عبد الحميد سعيد على هذا الكلام الخطير « اسمعوا ... اسمعوا هذا ما كان يلقى على أبنائكم فتتسمم أفكارهم ويقضى على مستقبلهم .. هؤلاء هم شباب البلد الذين سيكونون فيما بعد قادة الأمة ورؤساءها »

ثم يذكر – رحمه الله – طرفا من حياة طه حسين فى فرنسا وكيف تتلمذ على أيدى المستشرقين وكان رسولهم فى مصر .

ولقد أردت من هذا الاستطراد أن أضع أمام الدعاة نموذجا لجهاد هذا الرجل الذى غمط تاريخه هو والكثير من أقرانه بينما يؤرخ لأناس كانت أفكارهم وبالا على هذه الأمة . ومما يجدر ذكره أن جمعيات الشبان بلغت فى عهده شأنا كبيرا فاتسع نشاطها وفتحت أبوابها للدعاة والمجاهدين من العالم الإسلامى ومن فوق منبرها علا صوت الحركات الوطنية ضد الاستعمار والاحتلال .

٢ ـ اللواء محمد صالح حرب [١]

مولده : ولد فى جزيرة الحربات بناحية الطوبة مركز كوم امبو محافظة أسوان وكان والده ضابطا بالجيش .

تعليمه : دخل المدرسة الابتدائية فى أسوان عام (١٩٠٣م) وكان زميل الدراسة للمرحوم الأديب عباس محمود العقاد ، ولقد كانت دراسته وميوله تتجه للحياة العسكرية فدخل مدرسة خفر السواحل واشترك فى الحرب الليبية الإيطالية عام (١٩١١م) مناصرا للمجاهد أحمد السنوسى ثم ذهب إلى استانبول ودخل كلية أركان الحرب التركية وتخرج فيها وحارب مع الجيش التركى ضد اليونان والحلفاء ثم انتخب عضوا بالبرلمان عن دائره أسوان ثم عين وكيلا لمصلحة السجون ثم مديرا لخفر السواحل فوزيرا للحربية عام (١٩٤٠م) وعقب وفاة الدكتور عبد الحميد سعيد تم انتخابه رئيسا للشبان المسلمين فى أول جمادى الآخر عام (١٣٥٩ هـ يوليو ١٩٤٠م) ولقد ظل رئيسا لها حتى وافاه الأجل عام (١٩٦٦م) .

ولقد بذل – رحمه الله – جهدا كبيرا فى توسيع دائرة الشبان المسلمين كما أنه قام

---

(١) أبطال الكفاح الإسلامى المعاصر: د . محمود دياب ص١١٣

بالتنسيق بين الشبان والإخوان المسلمين أثناء حرب فلسطين وحينما صدر قرار حل الإخوان عام (١٩٤٨م) فتح صالح حرب دار الشبان للإمام حسن البنا ولم يخضع لتهديد أو وعيد وظل البنا يتردد على الشبان حتى اغتيل على عتباتها كما سيأتى إن شاء الله .

وعقب وفاة المرحوم محمد صالح حرب عين الصاغ إبراهيم الطحاوى أحد ضباط ثورة (٢٣ يوليه ١٩٥٢ م) مكانه وظل رئيسا لها حتى صدر قرار وزارى بحل مجلس إدارة الشبان فى يوليه عام (١٩٧٥ م) وتتسم تلك الفترة بتجميد نشاط الجمعية وبعدها عن أهدافها المعلنة وعدم تنفيذ المنهج الذى وضع فى بدء تأسيسها كما سيأتى إن شاء الله .

ولقد تولى فضيلة الشيخ أحمد حسن الباقورى رئاسة الشبان فى (جمادى الآخرة ١٣٩٥ هـ يوليو١٩٧٥ م)وهو من علماء الأزهر الشريف وله ماض طويل فى الدعوة الإسلامية فلقد كان عضوا بمكتب الإرشاد العام للإخوان المسلمين ثم انشق وعين وزيرا للأوقاف ثم مديرا لجامعة الأزهر ... وكان الرئيس العام لجمعية الشبان المسلمين .

المبحث الثالث

أهداف الشبان المسلمين

تعددت أهداف جمعية الشبان المسلمين وتنوعت أغراضها ولقد جاء القانون الأساسى يحدد ذلك فيما يلى : (١)

١ ـ بث الآداب الإسلامية والأخلاق الفاضلة .

٢ ـ السعى لإنارة الأفكار والمعارف على طريقة تناسب العصر .

٣ ـ العمل لإزالة الإختلاف والجفاء بين الطوائف والفرق الإسلامية .

٤ ـ الأخذ بمحاسن حضارتى الشرق والغرب وترك ما فيها من مساوىء .

٥ ـ العمل على تنشئة الشباب نشأة دينية وثقافية ورياضية واجتماعية وتهيئة الوسائل والظروف التى تعينه على تفهم دينه والتزود من ينابيع الإسلام الصادقة .

٦ ـ توثيق رابطة الإخاء والتضامن بين المركز العام والجمعيات الإسلامية على الصعيد الدولى .

٧ ـ حث الجهود على زيادة نماء روابط الأخوة الإسلامية فى ميادين الاقتصاد والثقافة والفكر والاجتماع وما إليها .

٨ ـ التعاون مع مختلف الهيئات العلمية والثقافية والجامعات والمعاهد وتبادل الدراسات معها وإحياء التراث الفكرى الإسلامى وتعهد ولائد الفكر بالرعاية وتقرير المناهج الدراسية والجوائز والإعانات .

٩ ـ لا يجوز للمركز العام أن يجادل فى الأمور السياسية والمنازعات المذهبية .

---

(١) لائحة النظام الأساسى لجمعية الشبان المسلمين ص٨٢٧

هذه هى أهداف جمعية الشبان المسلمين وهى أهداف كبيرة وآمال عريضة وسنرى بين ثنايا البحث هل تحققت تلك الأهداف أم بقيت حبرا على الورق ، وهى كما تبدو للباحث لا مجال للاعتراض عليها أو التقليل من شأنها سوى الهدف التاسع وهو عدم المجادلة فى الأمور السياسية وهو أمر مشترك بين سائر الجمعيات الإسلامية باستثناء الإخوان المسلمين كما سيأتى إن شاء الله ولقد سبق عند مبحث الجمعية الشرعية وجه الاعتراض على هذا النص وقد يستساغ لتلك الجمعيات العذر لأن قانون الجمعيات يوجب النص على ذلك لتشهر الجمعية رسميا .

المبحث الرابع

منهج جمعية الشبان المسلمين لتحقيق أهدافها

وضع مجلس إدارة الشبان المسلمين المنعقد خلال الفترة (١٤ ، ١٥ من صفر عام ١٣٤٩هـ . الموافق ١٠ ، ١١ يوليه ١٩٣٠م) الأسس الكفيلة بتحقيق أهداف الجمعية والوسائل التى تساعد الشبان على نجاح رسالتهم وهى كما يلى : (١)

أولا : الرابطة الإسلامية :

١ ـ مؤتمر سنوى بمكة .

٢ ـ مؤتمر سنوى لمجالس الإدارة فى البلاد المختلفة .

٣ ـ مؤتمر دورى عام بين العواصم الإسلامية

٤ ـ تعميم فروع الجمعية وشعبها وتوحيد الشعار والعلم .

٥ ـ تعميم التاريخ الهجرى رسميا .

٦ ـ جماعات للوعظ والإرشاد فى البلاد الإسلامية .

٧ ـ بعثات للطواف فى أنحاء العالم الإسلامى .

٨ ـ تأسيس عصبة أمم إسلامية للفصل فى المنازعات العالمية الإسلامية يمهد لها بمؤتمر عام .

٩ ـ تأليف لجان داخلية فى كل قطر للفصل فى المنازعات بين الطوائف الإسلامية .

١٠ ـتأليف لجنه من البارزين من رجال الإسلام للتأليف بين أمراء المسلمين .

---

(١) مجلة الشبان عام ١٩٣٠م

ثانيا : الروابط الاقتصادية :

١ – إنشاء مصرف إسلامى عام .

٢ – شركات إسلامية لتبادل المصنوعات والمتاجر الإسلامية .

٣ – مكاتب استعلامات لتعريف الأقطار الإسلامية بأخبار بعضها البعض .

ثالثا : العمل على إرجاع الخلافه الإسلامية .

رابعا : تأسيس لجنة من علماء الأزهر للتقريب بين المذاهب .

خامسا : تأسيس لجنة من طلبة الأزهر للتعارف .

سادسا : عمل ميثاق لجمعيات الشبان المسلمين .

سابعا : التثقيف الإسلامى ويشتمل على :

أ – تعميم التعليم الدينى ودراسة التاريخ الإسلامى للبنين والبنات .

ب – تعديل المناهج بما يكفل إخراج آباء صالحين وأمهات صالحات .

جـ – تعميم القرآن الكريم .

د – تأسيس مدارس إسلامية بحتة .

هـ – مؤتمر سنوى لمعلمى الدين .

المعاهد الدينية كما يلى :

١ – إدخال علوم العصر واللغات بها واستبدال كتب أخرى أقرب إلى الفهم بكتبها .

٢ – ربط المعاهد بعضها ببعض فى الأمة الإسلامية .

٣ – مطالبة الحكومة بتنفيذ الأبحاث والمحاضرات فى الجامعة عن الإلحاد وما يتصل به .

٤ – وضع تفسير للقرآن الكريم بمعرفة مجمع علمى .

٥ – وضع دائرة معارف إسلامية .

٦ – بحث الأحاديث النبوية الصحيحة بحثا علميا ودينيا .

٧ – تأليف روايات إسلامية تمثل أخلاق الإسلام وكذلك قصص للأطفال تبث فيهم الروح الإسلامية .

٨ – ترقية الوعظ الدينى بتوزيع الخطب على الوعاظ أو إلقاء المحاضرات عليهم أوالاتفاق مع وزارة الأوقاف على خطة مجدية .

ثامنا : التشريع الإسلامى ويحتوى على الآتى :

١ ـ منع التبرج وغشيان الفتيان والفتيات المحال المخلة بالآداب والمحافظة على الآداب فى المصايف .

٢ ـ منع البغاء والخمر والميسر والربا .

٣ ـ حمل المسلمين على الفرائض .

تاسعا : محاربة التبشير والإلحاد بما يلى :

١ ـ لجنة علمية لمحاربة الإلحاد وتنوير الناس فى الدين .

٢ ـ مكاتب استعلامات فى الأقطار الإسلامية تراقب ما يكتبه المبشرون وتتولى الرد عليهم .

٣ ـ تأليف جماعات للتبشير الإسلامى ونشر الدين الإسلامى على حقيقته .

٤ ـ مطالبة الحكومات الإسلامية بتعديل قوانين العقوبات فى المواد الخاصة بحرية الرأى والبحث بحيث يكون هناك فارق بين هذا وبين الطعن فى الدين .

٥ ـ إرسال مندوبين عن الجمعية للرد على المبشرين فى اجتماعاتهم .

هذا المنهج الشامل والتخطيط المنظم والأمانى الضخمة والآمال العراض التى يهفو إليها قلب كل داعية . ولو قدر لهذا المنهج أن يرى النور خلال مسيرة الجمعية لكان لها شأن عظيم ولتصدرت مسيرة الدعوة ولانضوى تحت لوائها شباب الإسلام غير أنه لم يتحقق من هذا المنهج سوى النزر اليسير وما تحقق لم تتابعه الجمعية خلال مسيرتها كما سيأتى عند التقييم إن شاء الله .

ولقد كانت الجمعية تأخذ العهد والميثاق على أعضائها للالتزام بالهدف وهذا هو نص القسم :

« علىّ عهد الله وميثاقه لأقومن قدر طاقتى (١) :

١ ـ بإحياء هداية الإسلام فى عقائده وآدابه وأوامره ونواهيه ولغته ومقاومة تيار الإلحاد المهدد لهذه الأمة .

---

(١) مجلة الشبان المسلمين العدد ١ جمادى الأولى ١٣٤٨هـ أكتوبر ١٩٢٩م

٢ ـ أن أقوم عاملا مجاهدا فى سبيل إحياء مجد الإسلام بإعادة تشريعه وإمامته الكبرى .. الخ .

٣ ـ أن أعمل على تحقيق أغراض جمعية الشبان المسلمين وتوسيع نطاق عملها ... والله على ما أقول شهيد » .

وإن الباحث ليتساءل : هل مازالت جمعية الشبان تُحَفِّظُ أعضاءها هذا القسم ؟ أم أن سحب النسيان وتقلب الأحوال أنست الجميع هذا العهد ؟

المبحث الخامس

الاتجاه الفكرى والعملى للشبان المسلمين

أ ـ الاتجاه الفكرى :

سارت جمعية الشبان المسلمين إبان تأسيسها على نهج المدرسة السلفية التى تعاقبت منذ الإمام ابن تيمية حتى الشيخ رشيد رضا الذى كان له درس أسبوعى بدار الشبان ، ويلاحظ هذا من خلال مقالات المجلة ومحاضرات المحاضرين . فمثلا فى مسألة التوسل والوسيلة تنهج الجمعية منهج المدرسة السلفية وتحمل بشدة على المتوسلين بالأولياء . ولقد كانت الجمعية تحفل بأسماء العديد من العلماء والأدباء . وألقوا زهاء مائة وثلاثين محاضرة فى عامها الأول ، ومن محاضرى الشبان فضيلة الشيخ المرحوم يوسف الدجوى ، وفضيلة الشيخ المرحوم طنطاوى الجوهرى ، وفضيلة الشيخ المرحوم محمد الخضر حسين ، وجمع غفير من علماء الأزهر والأدباء والعلماء من مختلف الثقافات ولقد كان الخط الفكرى الذى اتسمت به فى أغلب الأحيان : الاعتدال وعدم الميل إلى غلو المغالين ولا تفريط المفرطين ، وحاولت التوفيق بين أنصار المدرسة السلفية والجماعات الصوفية فكانت الجمعية تفسح صدرها لهؤلاء وهؤلاء وحينما تولى الشيخ محمد زكى إبراهيم ــ رئيس جمعية العشيرة المحمدية ذات المنهج الصوفى ــ منصب الرائد الدينى للشبان حاول قدر طاقته التقريب بين المدرستين وذلك من خلال مقاله فى مجلة الشبان العدد (٢٢ شوال ١٣٩٦ هـ اكتوبر ١٩٧٦ م) ثم ما لبث الخط الفكرى للجمعية أن اضطرب خاصة فى حقبة الخمسينيات والستينيات فلم يعد لها منهج فكرى معروف الاتجاه ولا يستطيع الباحث المتتبع لأسلوبها من خلال المجلة والمحاضرات أن يقف على فكر محدد بل يرى مختلف الآراء والاتجاهات وأن بعضها ليجنح بعيدا عن الفهم للإسلام كما سيأتى عند التقييم .

هذا ولقد حفلت مجلة الشبان المسلمين بالعديد من الموضوعات التى تعالج مختلف القضايا الإسلامية، كذلك شهد منبر الجمعية أعلام الدعوة الإسلامية ورجالات الكفاح الوطنى أمثال :

١ – شوكت على زعيم المسلمين فى الهند .

٢ – الشاعر محمد إقبال .

٣ – الزعيم التونسى الثعالبى .

كذلك العديد من وفود العالم العربى والإسلامى الذين كانوا يعتبرون دار الشبان ملتقى فكريا ونضاليا لهم .

ب – المنهج العملى

يتضح منهج الشبان العملى من خلال اللجان التى يشكلها مجلس الإدارة وهذه اللجان هى :

أ – اللجنة الدينية والثقافية وينحصر نشاطها فى الاحتفال بالمناسبات الدينية وإقامة العديد من المحاضرات الدينية والثقافية .

ب – اللجنة الاجتماعية تقوم بتنظيم المسابقات الدينية والاجتماعية ومد يد المساعدة للمحتاجين وفق إمكانات الجمعية ولقد أنشأت نادى الطفل المسلم وصدر العدد الأول من مجلة الطفل المسلم مايو(١٩٦١م) والذى يعمل على تحفيظ الطفل القرآن الكريم ويشرح له كيفية أداء الصلاة وأخلاق الإسلام بجانب بعض الرحلات التى تنظمها الجمعية لأعضائها وكذلك المعسكرات التى يتم فيها مزاولة كل الأنشطة .

جـ – اللجنة الرياضية : تنفرد جميعة الشبان المسلمين بالاهتمام بالرياضة لأعضائها والهدف من ذلك إعداد فرد الجمعية إعدادا متكاملا من الناحية البدنية والنفسية ، هذا ولقد أصبحت الرياضة السمة البارزة لنشاط الشباب فى الجمعية حتى كادت تطغى على كل الأنشطة الأخرى كذلك استحدثت الجمعية نظام الكشافة ، غير أنه لم يكن فى مستوى الإعداد العقائدى ككشافة الإخوان

المسلمين كما سيأتى إن شاء الله وكانت معسكرات الكشافة للشبان تسيطر عليها الروح الرياضية والترفيهية أكثر من التربية العقائدية والسلوكية وإن كانت تلك الأنشطة تهتم بأداء الصلاة جماعة .

القوانين العملية العشرة التى تلقن لعضو الشبان المسلمين :

من المنهج التربوى الذى ألزمت به الشبان خاصة فى فجر دعوتها تلك التوصيات العشر التى كانت تلقن لأعضاء الجمعية وهى : (١)

١ ـ تكلم دائما أقل مما تفكر وتعود أن تتحدث بصوت منخفض هادىء فإن الطريقة التى تتكلم بها لها قيمة أكثر من الكلام الذى تقوله .

٢ ـ لا بأس ، أن تعد ولكن احفظ وعدك بأمانة وإخلاص أيا كان الثمن .

٣ ـ امتدح العمل الحسن بغض النظر عن الشخص الذى عمله .

٤ ـ اعتن بالآخرين بمصالحهم وأعمالهم وآمالهم واتجاهاتهم ، واجعل كل إنسان تقابله مهما يكن قليل الشأن يشعر كأنه فرد ذو شأن .

٥ ـ كن مبتسما دائما وأخف آلامك ومتاعبك عن الآخرين .

٦ ـ كن واسع الفكر فى مناقشتك وتمسك برأيك ولكن إياك أن تفقد أحد أصدقائك لأنهم لا يعتقدون رأيك .

٧ ـ اجعل لك قاعدة ألا تقول شيئا عن الآخرين إلا إذا كان حسنا .

٨ ـ راع شعور الآخرين .

٩ ـ لا تعن بأى إشارة لاتعجبك أبداها الآخرون عنك .

١٠ ـ لا تكن قلقا دائما على استحقاقاتك أو عملك ولكن كن صبورا بشوشا . انس نفسك وأنت تجد مكافأتك .

هذه القوانين العشرة يجب أن يتخلق بها كل داع إلى الله ، وبهذا المنهج الطيب فى التربية من المفروض أن ينشأ عضو الشبان المسلمين ، غير أن ما يكتب شىء والواقع شىء آخر كما سيأتى إن شاء الله فإن هذا الأسلوب من التربية لم يصاحب الجمعية خلال مسيرتها ولكنه تخلف عنها مبكرا .

وبهذا يتضح فى إيجاز الاتجاه الفكرى والعملى للشبان المسلمين .

---

(١) الشبان المسلمين السنة ١٣ العدد ٢٠ صـ١٣

المبحث السادس

أثر جمعية الشبان المسلمين فى الدعوة الإسلامية

لقد كان لجمعية الشبان أثر بارز فى اليقظة الإسلامية المعاصرة لاسيما فى باكورة تأسيسها وإبان نشأتها وخلال الفترة التى تولى رئاستها المرحومان الدكتور عبد الحميد سعيد ، واللواء محمد صالح حرب . ونوجز أهم الآثار فى الأمور التالية :

أ ـ التصدى لمحاولات التبشير :

نشط التبشير تحت ظلال الاحتلال والامتيازات الأجنبية فلقد نجح المبشرون فى استمالة بعض الشبان وردوهم عن الإسلام وحينما استفحل أمر التبشير قدم الشبان المسلمون على لسان رئيسها الدكتور عبد الحميد سعيد استجوابا فى هذا الشأن وألقى خطابا بليغا من فوق منصة البرلمان أقتطف بعضا من فقراته (١) :

« يا حضرات النواب :

إن المسألة التى نعالجها اليوم هى مسألة من يسمون أنفسهم بالمبشرين قد عكرت صفو كثير من العائلات الآمنة المطمئنة ورجت البلاد رجا عنيفا وأهاجت النفوس وأثارت الخواطر ، فإن ما تكتبه تلك العصابة التى داست قوانين الحكومة وكرامة الأمة : من اعتداء على حرية الأديان فى المعاهد والمدارس والمستشفيات والملاجىء إلى تمثيل بالفضيلة والسينمات ودور الفسق والفجور إلى طبع كتب توزع فى المدن والقرى والكفور تحوى أشد المطاعن على الدين الإسلامى ثم يستطرد قائلا : فإذا

---

(١) مجلة الشبان العام الثالث عددا ذى الحجة والمحرم ١٣٥١ هـ مايو ويونية ١٩٣٢م ص ٤٥٢

لم تنهض الحكومة بواجبها المقدس الديني والوطني فستضطر الأمة اضطرارا إلى الدفاع عن دينها وكرامتها بكل ما أوتيت من قوة للتخلص من جرائم هؤلاء الأشرار » .

وفي عام (١٩٤١م) حاولت بعض مدارس التبشير أن تحصل على امتياز يعفي طلابها المصريين من الجندية فتحرك الشبان بلسان رئيسها المرحوم صالح حرب ومجلس إدارتها ورفعوا مذكرة إلى الملك فاروق وقدموا استجوابا لكل من وزير الداخلية ووزير الحقانية . ووضعت جمعية الشبان المقترحات التالية لصد هجمات التبشير :

أولا: أن يكون في مدارس الدولة متسع لمن تضيق عنهم من أبنائها إما بسبب التشدد في تحديد السن أو بغير ذلك فيضطرون للالتحاق بمدارس التبشير فتؤذيهم في دينهم .

ثانيا: أن تراقب وزارة المعارف سير التعليم في مدارس التبشير وكذلك الكتب الدراسية فيها .

ثالثا: منع المدارس المسيحية من مطالبة الطلبة المسلمين بدرس الديانة المسيحية وكذلك منع تلك المدارس من أن يطلبوا من الطلبة المسلمين أن يصلوا الصلاة المسيحية أو يدخلوا كنيسة المدرسة أو يسمعوا عظات دينية غير إسلامية .

رابعا: مراقبة مستشفيات المبشرين وأماكن محاضراتهم ولقد أثمرت تلك المقترحات استيلاء الدولة فيما بعد على تلك المدارس وخضوعها للاشراف التام من وزارة التربية والتعليم .

ب ـ التصدي لمحاولات العلمنة والتغريب :

شهدت مسيرة الدعوة الإسلامية خلال القرن الرابع عشر الهجري موجات عاتية من كل حدب وصوب تريد أن تعصف بالإسلام باسم التحرر والحرية وتصف علماءه بالجمود والرجعية وتبارت في ذلك صحف وأقلام كثيرة ، فلقد نشر في مجلة الاثنين بعدد (٤٠٧ في ١٥ مارس ١٩٤٣ م) مقال لأحد الصحفيين وهومن المتربعين على الصحافة يمالىء كل عصر وينافق كل سلطان ، ومما جاء في هذا المقال :

١ ـ « الدعوة إلى محاربة الرجعية والتقاليد البالية التي يدعون لها باسم الدين ومحاربة التعصب الديني وتجديد الأزهر .

٢ ـ الدعوة إلى تحرير المرأة المصرية قلبيا فلقد رفعنا الحجاب الشفاف عن وجهها

وأبقينا على روحها برقعا سميكا فلا يزال الحب فى مصر جريمة تنقص من قدر الفتاة ومجتمعنا بلا روح لأنه خال من المرأة وشبابنا المصرى شباب بلا شخصية لأنه ليس فى حياته امرأة » .

إنها دعوة صريحة إلى الانحراف الجنسي ووأد الفضيلة قامت جميعة الشبان المسلمين بالرد عليه وقدم المركز احتجاجا لمدير الشئون الدينية برئاسة مجلس الوزراء ، وفى عام (١٩٣٠ م) اسست وزارة المعارف لأول مرة فى تاريخ الشرق الإسلامى معهدا لتخريج الممثلين وفى نفس العام عدلت برامج التعليم الابتدائى والثانوى من غير أن تجعل للتعليم الديني والتربية الدينية نصيبا فتحركت جمعية الشبان ووجهت رسائل إلى الملك والحكومة ومما جاء فيها (١) .

« لقد اضطربت مصر يا صاحب المعالى لموجة الدعوة إلى الخروج عن الإسلام ونظمه وتعاليمه بدأت فى الغرب ورددها فى الشرق وبالأسف أناس من المسلمين لم ينشئوا النشأة الإسلامية الحقة فلم يحيطوا بالإسلام علما ولم يجدوا فى أنفسهم له نوراً وغر المسلمين من هؤلاء قلتهم فاستهانوا بأمرهم حتى استفحل وحتى أفلحوا فى خدع المرأة المسلمة باسم تحرير المرأة فصرفوها عن البيت وقادوها إلى المراقص ، وفى خدع الشباب المسلم باسم حرية الفكر وحرية الفن فصرفوه عن عبادة الله وقادوه إلى عبادة الهوى ، ثم تحمل المذكرة على وزير المعارف لإنشائه معهدا للرقص والتمثيل فتقول :

إن أقل ما ينتظر من وزارة المعارف فى بلد دينه الإسلام وجمهرة أهله من المسلمين أن يحترم أحكام الإسلام ونظمه وآدابه وتقاليده فلا تحاربه مع المحاربين ولا تخرج عليه مع الخارجين وهل هناك ظلم أكثر من أن تنفق أموال الدولة فى أمة مسلمة على ما يبعد الناس عن هداية دينهم ؟ أم هناك ظلم أشنع وفساد أفظع من أن يربى أبناء المسلمين على ما ينافى الإسلام رغم أنف المسلمين ؟ .

« إن الوالد المسلم ليلتفت حوله فلا يجد مدرسة علمية واحدة يأمن فيها على

(١) مجلة الشبان المسلمين السنة الثالثة ص٤٦

ابنه أو ابنته فكأن المسلم فى هذا البلد الإسلامى مخير بين شرين أهونهما كبير » (أن ينشىء أولاده بلا دين أو ينشىء أولاده بلا علم) .

ولقد عمدت الاستطراد لأوضح معاناة الدعوة فى كل عصر ولألقى الضوء على جهاد الشبان المسلمين وهى فى عنفوان قوتها وتألقها فى ميدان الدعوة .

جـ ـ الشبان فى مجال الاقتصاد :

كان النظام المالى فى مصر خلال القرن الرابع عشر الهجرى يخضع للنظام الغربى بكل أصوله المحرمة شرعا مما حدا ببعض رجال الفكر الإسلامى على استحداث نظام مصرفى إسلامى ينأى عن كل شبهة ولقد أسست بعض البنوك الإسلامية لاستثمار أموال المسلمين بطرق مشروعة بعيدة عن الربا وشوائبه وما ظهر حديثا من هذا النظام المصرفى الإسلامى كان فكرة لدى رئيس تحرير مجلة الشبان المسلمين وأحد مؤسسيها وهو الدكتور يحيى الدرديرى فلقد قال : (١)

« الوسيلة العملية للقضاء على نظام الربا هو إنشاء البنك الإسلامى ولقد فكرت فى هذا المشروع وتحدثت بشأنه مع بعض الشخصيات وسيكون هذا فى القريب العاجل » .

وحينما سئل ــ رحمه الله ــ وعلى أى نظم سيسير البنك الإسلامى ؟ ذكرتفاصيل هذه الفكرة والتى لا تختلف كثيرا عما عليه البنوك الإسلامية وقال فى مختتم مقاله :

« إن كل هذه الأوضاع الاقتصادية التى ثبت فسادها وشرها من أيسر الأمور تغييرها والسير على ما يتفق ومبادىء الإسلام إذا خلصت النوايا وصحت العزائم » .

د ـ الشبان المسلمون والأدب :

حظيت دار الشبان بجماعة من الشعراء والأدباء طوعوا قرائحهم للدعوة إلى الله وذلك من خلال قرض الشعر ومن هؤلاء المرحوم الأستاذ محمود جبر الملقب بشاعر آل البيت والشبان المسلمين وله قصائد فى حضرة الرسول ﷺ تعتبر من عيون

---

(١) مجلة الشبان المسلمين العدد ١٣ السنة ١٤ ٢٠شوال ١٣٦١هـ ص٨

الشعر وكذلك من الشعراء المرحوم الشاعر عبد الله شمس الدين والشاعر على الجنبلاطى .

هذا فضلا عن تطويع أدب القصة لتصوير الخلق الإسلامى الرفيع كما أسهمت جمعية الشبان فى تأسيس المصرف الإسلامى وقدمت بعض المسرحيات الإسلامية الجيدة ولكن ما لبث أن تدهور المسرح وضعف إنتاجه وتجمد نشاطه كما سيأتى .

هـ ـ دور الشبان فى الكفاح الإسلامى :

لم تقف الجمعية موقفا سلبيا تجاه أحداث العالم الإسلامى بل نراها تستجيش المشاعر وتلهب العواطف وتحرك الهمم كلما ألم بالعالم الإسلامى نازلة من النوازل ولقد بدأ الاهتمام مبكرا وذلك منذ مؤتمرات اليهود على فلسطين وتظاهرهم عند حائط المبكى عام (١٩٢٩ م) فسارعت الجمعية فعقدت جلسة مساء الأحد (٢٥ أغسطس ١٩٢٩ م) وقررت إرسال برقيات احتجاج إلى عصبة الأمم فى جنيف وإلى وزارة الخارجية البريطانية ومن فوق منبر الشبان ألقى المرحوم أحمد زكى باشا الذى كان يلقب بشيخ العروبة سلسلة من المحاضرات أوضح فيها مؤامرات اليهود على فلسطين وكذلك فتحت أبواب التطوع للوقوف بجانب الشعب الليبى فى حربه مع إيطاليا ، ولقد كانت دار الشبان ملتقى الكثير من رواد الكفاح الإسلامى من مختلف أنحاء العالم الإسلامى مما كان له كبير الأثر فى تحرر البلاد الإسلامية من ربقة الاستعمار .

هذا وإذا ما كنا بصدد ذكر أثر رواد جمعية الشبان فمن الذين لا ينسى جهادهم فى النهوض بالشبان المسلمين المرحوم الدكتور أحمد الشرباصى وهو من علماء الأزهر الشريف فيه دقه العالم وبلاغة الأديب وبراعة الخطيب ولقد تولى الرائد الدينى لجمعيات الشبان المسلمين لسنوات عدة حفلت فيها الجمعية بجهوده ومحاضراته ولقد ترك – رحمه الله – العديد من المؤلفات منها تاريخ عمر بن عبد العزيز وحياة الأديب شكيب أرسلان ومذكرات واعظ أسير ، هذا بجانب العديد من مقالاته الدينية فى الصحف والمجلات وأحاديثه المتنوعة فى الإذاعة رحمه الله رحمة واسعة .

هذه أهم آثار الشبان المسلمين فى محيط الدعوة الإسلامية .

المبحث السابع

جمعية الشبان المسلمين فى ميزان النقد

لقد اتضح من خلال مباحث هذا الفصل تاريخ الشبان المسلمين وأهدافها ووسائلها وأثرها فى مجال الدعوة الإسلامية ومن موجبات البحث أن نضع الجمعية فى ميزان النقد والتقويم لكى تتضح الرؤيا أمام العاملين فى ميدان الدعوة وتتلخص الملاحظات فى النقاط التالية :

أولا : ذبول الجمعية وتقلص نشاطها :

إن المتتبع لتاريخ الشبان يجدها فى بدء عهدها تموج بالنشاط وتزخر بالحركة ، ويتضح هذا جليا من خلال أهدافها المعلنة ، وكانت الجماعة تضم فى حقبة الثلاثينيات و الأربعينيات نخبة ممتازة من رجالات الإسلام فى مختلف العلوم والثقافات وكانت قاعات المركز العام تتلألأ بهؤلاء الأعلام ولكن ما لبث أن تقلص نشاط الجمعية وذلك عقب وفاة المرحوم اللواء صالح حرب وحتى عام (١٩٧٥م) حينما صدر قرار وزارى بحل مجلس إدارة الجمعية وخلال تلك الفترة السابقة تدهورت أحوال الجمعية وضعف نشاطها وغدت ناديا اجتماعيا ورياضيا وفقدت السمة البارزة إبان تاريخها ، يرى ذلك من خلال موضوعات المجلة التى فقدت صفتها العلمية وموضوعاتها القيمة وتقلص نشاط المركز العام ولقد حاول المجلس المشكل برئاسة فضيلة الشيخ الباقورى أن ينهض بالجمعية غير أنه لم تظهر بوادر الإصلاح العملى ولا يعدو أمر الإصلاح سوى لجان تعقد ومقترحات توضع و لم تخرج بعد إلى حيز التنفيذ .

ثانيا : عدم نجاح الجمعية فى تحقيق أهدافها :

ترتب على ذبول الجمعية وضعف نشاطها إخفاقها فى تحقيق أهدافها فإن المطلع على أهداف الجمعية وعلى منهجها المقترح عام (١٩٣٠م) اللذين أشرت إليهما خلال هذا الفصل يرى أن الجمعية أخفقت إخفاقا ظاهرا فى تحقيق تلك الأهداف التى لم يتحقق منها سوى النزر اليسير .

ثالثا : قصور الجمعية فى التربية العقائدية لأعضائها :

إن مقياس النجاح لأية جمعية من الجمعيات مرتهن بتربية العقيدة وغرسها فى النفوس ، كذلك بالتربية السلوكية لأعضائها وإيمان الفرد بهذه المبادىء والدعوة إليها والتفانى من أجلها ، ويتضح هذا بالنسبة للجمعيات العاملة فى ميدان الدعوة كالجمعية الشرعية وأنصار السنة والإخوان فإن كل عضو من أعضاء تلك الجماعة له معالمه البارزة وسمته المميزة من ناحية التكوين العقائدى والخلقى والسلوكى وكل فرد من هؤلاء الأفراد حينما يتحرك تتحرك الجمعية معه بأهدافها وأساليبها ماعدا جمعية الشبان المسلمين فهى لم تركز على تكوين العقيدة لدى أعضائها فتكتفى بمجرد انتساب العضو إليها واستخراج بطاقة العضوبة فقط دون التربية الفكرية ومتابعة العضو للوقوف على مدى انضباطه والتزامه بمبادىء الجمعية ومن ثم فإن هوية عضو الشبان هوية غير متميزة فكريا ولا يعدو أمرها إلا أن تكون ناديا اجتماعيا يمارس عدة أنشطة فقط .

وبجانب تلك الملاحظات السالفة الذكر فإن جمعية الشبان قد نهجت منهجا فكريا فى بعض الأحيان ينأى عن الفكر الإسلامى الصحيح كذلك فإن مجلتها قد حكت المجلات غير الدينية فى النزول إلى مستوى الفن الهابط ولو ذهبنا نحصى تلك السقطات الفكرية لطال بنا المقال غير أنى أوجز بعضا منها على سبيل المثال لا الحصر مع الإيجاز وذلك فيما يلى :

١ ــ تبنى الحوار الإسلامى المسيحى :

إن الإسلام يقرر حقوق أهل الذمة وإن حسن معاملتهم مطلوب شرعا لمجرد انتسابهم إلى أحد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، ومما علم من الدين بالضرورة

وصرحت به نصوص القرآن والسنة وأجمع عليه العلماء أن الإسلام هو الدين الناسخ لكل الأديان السابقة وأن محمدا ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين وأن من يحتفظ ببقايا الأديان السابقة كمن يحتفظ بعملة تذكارية غير متداولة فى حياة الناس ولكن لها قيمة تاريخية فقط ورغم هذا الوضوح فإن جمعية الشبان قد وقعت فى مصيدة التبشير العالمية والتى يحيك خيوطها الفاتيكان فى إيطاليا والكتائب المسيحية فى الشرق .

فتبنت الحوار المزعوم ودعت إليه وروجت له فلقد جاء فى مجلة الشبان المسلمين العدد ٤٥ (١٤ من المحرم عام ١٣٩٥ هـ فبراير ١٩٧٥ م) ما نصه :

« كما يجب أن تكون نظرة كل من المسلم والمسيحى إلى عقيدة الآخر على أساس الاعتراف بها وعلى أنها تجمع أوجه المشابهة والمخالفة . ومن دعاة هذا الفكر ورواده فضيلة الشيخ الباقورى الرئيس العام للشبان المسلمين فلقد نشرت مجلة الشبان حديثا لفضيلته فى العدد (٣ لسنه ٤٩ ربيع الآخر ١٣٩٧هـ - مارس ١٩٧٧ م) وإن المتتبع للمجلة إبان الفترة السابقة ليرى دعوة سافرة لهذه الفكرة وهذا أمر انفردت به الجمعية دون سائر الجمعيات الإسلامية .

٢ - الشبان المسلمون والفن :

أنشىء المسرح فى مصر على أيدى نصارى الشام فى نهاية القرن التاسع عشر ثم تتابعت الفرق المسرحية تعصف بالأخلاق وتسخر من الفضيلة على خشبة المسرح ثم تفاقم الأمر حينما ظهرت السينما فى مصر عام (١٩٢٧م) ومنذ ذلك التاريخ والأفلام السينمائية والروايات المسرحية تنشر الفساد وتروج للأدب الرخيص والفن الساقط والهوى المبتذل وحينما تكونت جمعية الشبان عام (١٩٢٧ م) نص قانونها الأساسى على : (١)

« الأخذ بمحاسن حضارتى الشرق والغرب وترك ما فيهما من مساوىء » غير أنه فى مجال التطبيق أخذت الجمعية بالمحاسن والمساوىء لاسيما فى مسألة الفن

---

(١) لائحة النظام الأساسى للشبان ص٨٢٧

ونستدل على ما نقول بالحقائق التالية :

١ ـ فى فجر نشأتها كانت الجمعية تعطى بعض الامتيازات لمن سددوا الاشتراكات ومن هذه الامتيازات حق دخول دور اللهو والمسارح بتخفيض يصل فى بعض الأحيان إلى ٥٠٪ فلقد نشرت مجلة الشبان المسلمين (١)

حق دخول سينما متروبول وسينما أمير ومسرح رمسيس شارع عماد الدين بخصم (٢٠ ٪) ومسرح فاطمة رشدى (٢٠ ٪) ومحل البيانو والموسيقى عزيز بولس شارع نوبار بخصم ٥٠ ٪ . أهكذا يكافأ الشباب المسلم ؟ أو لم يكن لدى الجمعية مكافأة أشرف من هذا ؟

وهل هذا هو آمثل طريق لخلق جيل مسلم ؟

ومن المفارقات العجيبة فى نفس العدد الذى ينشر هذا تنقل المجلة خطابا بليغا للدكتور عبد الحميد سعيد فى البرلمان يحمل بشدة على وزارة المعارف لإنشائها معهداً للتمثيل .

٢ ـ فى عام (١٩٤١م) تكونت أول فرقة مسرحية للشبان وقد أقيم أول عرض لها فى(١٢ /١٢ /١٩٤١ م) وفى البداية اتفق على عدم ظهور العنصر النسائى ، ثم بعد هذا سمح للفتيات بالتمثيل (مع مخالفة هذا الشرع الذى يصون المرأة وعفافها) ولقد كان من الواجب على الجمعية أن تؤهل شبابها ليرتقوا بالفن من خلال رؤية إسلامية صادقة غير أنها لم تفعل ، وتخرج من على خشبة مسرحها بعض الممثلين والممثلات الذين أغرقوا الأمة فى مستنقعات الفن الهابط والأدب الرخيص فلقد ذكرت مجلة الشبان (٢) أسماء من تخرجوا وتخرجن من مسرح ...؟

٣ ـ فى فترة من الفترات نسيت مجلة الشبان وهى النافذة الفكرية لجمعية الشبان المسلمين أنها مجلة إسلامية تعبر عن اليقظة الإسلامية المعاصرة فنزلت إلى

---

(١) مجلة الشبان مجلد١ ص١٠ ، ١٢٨ ، ١٢٩

(٢) العدد ٢١ جمادى الثانية ١٣١٦ هـ مايو ١٩٧٦ م ص ٧٦

مستوى المجلات المصورة التى تستحوذ على القارىء بذكر التافه من الموضوعات فتنشر مجلة الشباب [1] بحثا عن القبلة السينمائية وتتصدر المقال صورتان لبعض الممثلات تسألها المجلة المسلمة عن القبلة وأن تقبيل الرجل للمرأة على الشاشة البيضاء حرام فهل يمكن للفنانة أن تثير المشاهد بأشياء غير القبل ، وتسوق المجلة إجابة محترفى الفن الرخيص والهوى الساقط والفن المبتذل دون تعليق يشتم منه هوية المجلة الإسلامية .

ولا يخلو تاريخ الجمعية ومجلداتها من مثل هذه السقطات .

بهذا النقد الموضوعى نكون قد ألقينا ضوء البحث على جمعية الشبان المسلمين التى ما زالت تحمل اسما حبيبا إلى النفوس أثيرا على القلوب ، إنها « جمعية الشبان المسلمين » والتى نأمل فى أن يقيم مجلس إدارتها أعمالهم ويسألون أنفسهم أين الجمعية من أهدافها إبان النشأة وأسلوبها فى صدر تاريخها لكى تشارك فى النهضة الإسلامية خلال القرن الخامس عشر الهجرى إن شاء الله .

---

(١) العدد الخامس ذى القعدة ١٣٧٦هـ ص٤٣

الفصل الرابع

الإخوان المسلمون

يشتمل على الموضوعات التالية :

الأول : التعريف بالإمام حسن البنا المرشد العام والأستاذ المستشار / حسن الهضيبي

الثاني : البناء التنظيمي لجماعة الإخوان المسلمين

الثالث : أهداف الإخوان المسلمين

الرابع : التربية الفكرية والعملية .

الخامس : أثر الإخوان المسلمين في الدعوة الإسلامية .

السادس : الإخوان المسلمون في الميزان .

الفصل الرابع
الإخوان المسلمون

أسست فى (ذى القعدة عام ١٣٤٧ هـ - مارس عام ١٩٢٨ م)

تمهيد :

إن تاريخ الإخوان يعتبر أهم فصل فى ملحمة الدعوة الإسلامية خلال القرن الرابع عشر الهجرى ، وإن دورهم يحتل مكان الصدارة بين الجمعيات المعاصرة .

وما من كاتب يتعرض للدعوة والدعاة إلا وقف وقفة متأنية أمام جماعة الإخوان المسلمين . فهى الجماعة التى استطاعت بتوفيق الله ثم بفضل مؤسسها ومرشدها الإمام الداعية الأستاذ حسن البنا رحمه الله أن تنتشل الدعوة من الأيدى التى حاولت تطويقها واحتواءها وخنقها ، ونجحت فى أن تعيد على مسامع الدنيا صوت الجهاد والاستشهاد فى سبيل الله الذى كاد يختفى تحت وطأة الاستعمار وكانت هى خط الدفاع الأول فى مواجهة الدعوة ، وقد نالت منهم الضربات الموجعة القاتلة التى خيل لمعاصرى أحداثها - لقوتها وشراستها - أنها قاصمة لظهرها ، قاضية على آمالها . وإذا بها تخرج من كل محنة أصلب عودا ، وأقوى إيمانا ، وأمضى عزيمة .

وإن مدرسة الإخوان لهى المدرسة الوحيدة التى انصهر دعاتها فى بوتقة المحن ، وتعرضوا لما لم يتعرض له الدعاة من معاصريهم . فبينما توج تاريخها بالشهداء فى فلسطين والقنال وعلى أعواد المشانق ، وتمزقت جلود دعاتها فى غياهب السجون وظلمات المعتقلات نجد الجمعيات المعاصرة وأجهزة الدعوة تقف أمام هذه الأحداث موقف الصمت بل إن بعض هذه الأجهزة كانت تشارك فى حملة الإجهاز عليها كمن أصدروا كتابى « رأى الدين فى إخوان الشياطين » و « معالم على طريق الخيانة

والرجعية » غير هذا مما سودوا به كتبهم وتاريخهم .

هذا ولقد أشفقت على نفسى من خوض غمار البحث عن الإخوان المسلمين . وقدمت رجلا وأخرت أخرى فى ارتياد محرابهم ودربهم هذا الدرب الذى اتضحت آثاره ولم تتضح بعد حقائقه .

فلقد تبارت أقلام كثيرة فى الكتابة عن الإخوان المسلمين وكُتِبَت كتب عدة عنها وانقسم المؤرخون والباحثون بصددها فالبعض مولع بها مبالغ فى الإعجاب برسالتها . والبعض معاد ومغال فى الحقد عليها ولطالما توارت الحقيقة بين مبالغة المحبين وغلو الحاقدين . ومن ثم كان التعرض لحركة الإخوان ليس أمرا سهلا ولكنه صعب جدا لأن أوجه النظر المتباينة لم تتضح بعد ، والحقائق العلمية لا تستقى من مصدر واحد أو من مصادر يكتنفها الغموض .

مما يزيد الكتابة صعوبة ووعورة ؛ التعرض لها بفصل واحد فقط فى كتاب وهذا غير كاف فى استقصاء تاريخها ، وتبيان آثارها فى الدعوة والدعاة ، فهى تستحق أن تنفرد بكتاب أو بعدة كتب . والحمد لله فلقد كتب عنها عدد من المؤلفات والكتب [1] . ولكنها مع الأسف لم تكن من رحاب الأزهر مهد الدعوة والدعاة . وإن الكاتب يتساءل :

كيف إن تجربة كتجربة الإخوان والجمعيات الإسلامية لا تعرف عنها الدراسات العلمية فى أقسام الدعوة شيئا حتى الآن مع العلم بأنه يجب على الداعى أن يقف مع هذه التجارب موقف الناقد البصير وأن توضع موضع البحث والدراسة والتقييم ليستفيد الدعاة من إيجابياتها وسلبياتها ؟ !.

ولهذا فسوف اقتصر فى عرضى على الهدف والمنهج وأسلوب التربية فقط وهناك بعض الأمور التى لن أتعرض لها إما لأنها بحثت فى رسائل علمية أو أن

---

(١) الإخوان المسلمون والجماعات الإسلامية فى السياسة المصرية للدكتور زكريا بيومى .
– الإخوان المسلمون ، رسالة دكتوراه للدكتورة ميتشل أستاذ التاريخ الإسلامى فى جامعة ميتشجان بأمريكا .
– الإخوان المسلمون والمجتمع المصرى ، رسالة ماجستير للأستاذ محمد شوق زكى .

مجالات الكتابة فيها يكتنفها الغموض الشديد .

فمن الأمور التى سأتجنب غمار الكتابة فيها ما يلى :

أ ــ موقف الإخوان من السياسة :

فهذا موضوع مؤلَّف بعنوان « الإخوان المسلمون والجماعات الإسلامية فى الحياة السياسية المصرية » للدكتور زكريا البيومى .

ب ــ قضايا يكتنفها الغموض والمؤلف فيها كمن يمسك بالسراب ومنها :

١ – اليد المدبرة والمنفذة لمقتل الإمام حسن البنا .. أهى القصر ؟ أم الانجليز ؟ أم الصهيونية نظرا لدور الإخوان فى فلسطين ؟ أم الأحزاب المناوئة ؟ ولقد كتب فى هذا كتاب بعنوان « لماذا اغتيل حسن البنا ؟ » للأستاذ عبد المتعال الجبرى .

٢ ــ الجهاز السرى للإخوان ومدى صلته بحوادث الاغتيالات فى مصر فى حقبة الأربعينيات .

٣ ــ الانشقاقات والانقسامات داخل صفوف الإخوان والتى أحدثت تصدعا بها ومهدت للانقضاض عليها .

٤ ــ ما مدى العلاقة بين الإخوان وثورة الثالث والعشرين من يوليه ...؟ فمؤرخو الإخوان يؤكدون أن الثورة خرجت من بين صفوفهم ، وبعض المؤرخين ينفى هذا . ولقد صدر فى هذا كتاب بعنوان :

« الإخوان المسلمون وثورة ٢٣ يوليه » للأستاذ حسن العشماوى ، بجانب أمور أخرى فرضت نفسها على الإخوان فلم تجد بدا من التعامل معها أو الاصطدام بها .

ولهذا فسوف يقتصر العرض فى هذا الفصل على الموضوعات التالية :

١ ــ التعريف الموجز بمرشدى الإخوان المسلمين : « الإمام حسن البنا ، المستشار حسن الهضيبى » .

٢ ــ البناء التنظيمى للاخوان .

٣ ــ أهدافها وغاياتها .

٤ ـ التربية الفكرية والعملية لتحقيق الأهداف .
٥ ـ آثار جماعة الإخوان على الدعوة الإسلامية .
٦ ـ الجمعية فى ميزان النقد والتقييم .

المبحث الأول

التعريف بالإمام الداعية حسن البنا

هو الإمام حسن أحمد عبد الرحمن البنا الساعاتى . والده : الشيخ أحمد البنا من مواليد شيشيرة مركز فوة غربية درس الفقه والتوحيد والنحو وحفظ القرآن وجوده واشتغل بصناعة إصلاح الساعات ، وله رحمه الله مؤلفات منها « بدائع المسند فى جمع وترتيب مسند الشافعى والسنن ، وعلق عليه شرحا ورتب أجزاء من مسانيد الأئمة الأربعة ورتب مسند أحمد وسماه « الفتح الربانى فى ترتيب مسند الإمام أحمد الشيباني »وشرحه باسم بلوغ الأمانى من أسرار الفتح الربانى (١)

مولد الإمام حسن البنا:

ولد رحمه الله بالمحمودية فى أكتوبر عام (١٩٠٦ م)(٢)

تعلمه ونشأته :

نشأ فى بيت علم وفقه . وتلقى العلم كعادة أقرانه فى كتاب القرية حيث تفتح عقله على آيات القرآن الكريم ، فضلا عما تميز به معلمه الشيخ محمد زهران من سلامة الفطرة وحسن التربية والتوجية ، مما كان له طيب الأثر فى تكوين الأستاذ حسن البنا . ولقد تحدث رحمه الله عن هذا فى كتابه (٣) ، ولقد أتم حفظ القرآن

---

(١) الإخوان المسلمون ـ كبرى الحركات الإسلامية الحديثة د . إسحاق موسى الحسينى ص٤٢

(٢) حسن النا ومدرسته « الإخوان المسلمون د . رءوف شلبى ص٢٣

(٣) مذكرات الدعوة والداعية ص١١

الكريم ورغب فى الالتحاق بالمدرسة الإعدادية غير أن والده عارض هذا الاتجاه حتى يتم حفظ القرآن الكريم ، فوعد الطفل حسن البنا أن يواظب على حفظ القرآن أثناء دراسته . وأصبحت حياته الأولى تدور بين :

ا ــ طلب العلم نهارا بالمدرسة الأولية .

ب ــ تعلم إصلاح الساعات بعد الانتهاء من الدراسة .

جـ ــ حفظ القرآن الكريم .

وكما تأثر فى مدرسة الرشاد بالشيخ زهران فقد تأثر فى المدرسة الإعدادية بالأستاذ محمد أفندى عبد الخالق مدرس الحساب فلقد ألف هذا الأستاذ جمعية « الأخلاق الأدبية » وكان التلميذ حسن البنا رئيسا لها . ثم وهو مازال فى ميعة الصبا ألف جمعية بالمحمودية باسم « جمعية منع المحرمات » واتخذ أسلوبا فريدا يتسم بالبراءة والجدية .

ومن الآثام التى حاربتها الجمعية (١) :

١ ــ عدم الإحسان فى أداء العبادات خاصة الصلاة .

٢ ــ الإفطار فى رمضان .

٣ ــ التحلى بالذهب .

٤ ــ لطم الخدود وشق الجيوب من السيدات .

٥ ــ إحياء حفلات العرس بالراقصات .

فكان أعضاؤها حينما يعرفون أن أحداً من أفراد القرية ارتكب إثما شرعيا من هذه الآثام كتبوا له خطابا مهذبا رقيقا يوضحون فيه الحكم الشرعى .

وحينما بلغ ــ رحمه الله ــ أربعة عشرة عاما التحق بمدرسة المعلمين الأولية فى دمنهور .

حسن البنا فى دمنهور :

تفتحت عينا التلميذ حسن البنا فى دمنهور على أتباع الطريقة الحصافية وهم يتحلقون فى المساجد يذكرون الله تعالى بأصواتهم المنسقة ونشيدهم المؤثر ، والتقى

---

(١) حسن البنا ومدرسته د . رءوف شلبى ص٢٥

والسيد عبد الوهاب الحصافى وتلقى عهد الطريقة على يديه فى رمضان عام (١٣٤١ هـ)[١] .

وأثناء طلبه العلم فى دمنهور شارك فى تأسيس جمعية بعنوان « جمعية الحصافية الخيرية » واختير أحمد أفندى السكرى وكيل الإخوان فيما بعد رئيسا ، والطالب حسن البنا سكرتيرا . ويتحدث – رحمه الله – عن نشاط هذه الجمعية فيقول[٢] :

زاولت الجمعية عملها فى ميدانين مهمين :

الميدان الأول : نشر الدعوة إلى الأخلاق الفاضلة ومقاومة المنكرات والمحرمات الفاشية كالخمر والقمار وبدع المآتم .

الميدان الثانى : مقاومة الإرساليات الإنجيلية التبشيرية التى هبطت إلى البلد .

وهكذا قضى – رحمه الله – ردحا من الزمن فى دمنهور ولقد امتازت هذه الفترة بالتربية الصوفية التى اتضحت آثارها على شخصيته فيما بعد .

حسن البنا فى القاهرة :

التحق رحمه الله بمدرسة المعلمين العلياعام (١٩٢٢ م) وما كادت عينه تبصر القاهرة حتى آلمه ما رآه من مظاهر التحلل والبعد عن الأخلاق الإسلامية وهى تبدو دائما خطيرة لدى كل من ينتقل من الريف للقاهرة ، ناهيك بطالب كحسن البنا الذى تمرس على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر منذ نعومة أظفاره ، وانخرط فى جمعيات صغيرة فى المحمودية ودمنهور .

ومن ثم بدأ بفكرة تكوين فئة من الطلاب الأزهريين ومن دار العلوم للتدريب على الوعظ فى المساجد والمقاهى والأندية ، ثم تكونت منهم جماعة تنتشر فى القرى والمدن ، ولقد وفق فيما تمناه حين كون جماعة من الطلاب منهم الأستاذ/ محمد مدكور خريج الأزهر والشيخ حامد عسكرية والأستاذ/ أحمد عبد الحميد وكانوا

---

(١) مذكرات الدعوة والداعية – حسن البنا ص١٩

(٢) مذكرات الدعوة والداعية – حسن البنا ص٢٠

يجتمعون فى مسجد شيخون بالصليبة يقرءون عدة كتب كالإحياء والأنوار المحمدية للنبهانى ، وتنوير القلوب فى معاملة علام الغيوب للشيخ الكردى (١) .

الدعوة فى المقاهى :

بدأ حسن البنا دعوته إلى رواد المقاهى وكانت تجربة فريدة من نوعها ، فكان يلقى الموعظة لا تتجاوز عشر دقائق تترك آثارها فى نفوس المستمعين .

وهكذا كانت حياة الإمام الداعية فى القاهرة إبان دراسته كما يتحدث عنها — رحمه الله — : (٢)

« كانت حياتى فى القاهرة خليطا عجيبا من الحضرة فى منزل الشيخ (الحصافى) أو منزل على أفندى غالب إلى المكتبة السلفية حيث السيد محب الدين الخطيب . إلى دار المنار والسيد رشيد رضا إلى منزل الشيخ الدجوى ثم منزل فريد وجدى ودار الكتب أحيانا ومسجد شيخون » .

هذه العوامل مجتمعة ساعدت على تكوين شخصية الإمام حسن البنا الداعية ، وبجانب تلك العوامل كانت تلك الفترة تتسم بالأحداث التالية :

١ — الاحتلال الانجليزى وسيطرته على كل شئون الأمة .

٢ — تحول الجامعة الأهلية إلى جامعة حكومية وسيطرة الروح العلمانية عليها .

٣ — الانقلاب ضد الإسلام فى تركيا وإلغاء الخلافة .

٤ — نشوب الحرب العالمية الأولى وما استتبع هذه الحرب من انحلال واضطراب عالمى .

٥ — أنشىء بالقاهرة ما يسمى بالمجمع الفكرى تلقى فيه خطب ومحاضرات تهاجم الأديان القديمة وتبشر بوحى جديد وكان خطباؤه خليطا من المسلمين واليهود والنصارى .

٦ — ظهور كتب وجرائد ومجلات كل ما فيها ينضح بهذا الفكر الذى لا هم له إلا إضعاف الدين وإبعاده عن الحياة ولقد مضى بشىء من التفصيل فى الباب الأول .

---

(١) الدعوة والداعية ص٤٦

(٢) الدعوة والداعية ص٥٨

يقول الأستاذ حسن البنا – رحمه الله – عن هذه الفترة :

« وكنت متألما لهذا أشد الألم فهاأنذا أرى الأمة المصرية العزيزة متأرجحة حياتها الاجتماعية بين إسلامها العزيز الغالى الذى ورثته وحمته وألفته وعاشت به واعتز بها أربعة عشر قرنا كاملة وبين هذا الغزو الغربى العنيف المسلح والمجهز بكل الأسلحة الماضية الفتاكة : المال والجاه والمظهر والمتعة والقوة ووسائل الدعاية »[1] .

ولقد كان رد الفعل لهذا كله اتصاله – رحمه الله – بالمعنيين بالإسلام والغيورين عليه أمثال الأستاذ محب الدين الخطيب ، وفضيلة الشيخ يوسف الدجوى ، والشيخ عبد العزيز جاويش والشيخ عبد العزيز الخولى والدكتور عبد الحميد سعيد . ولقد أفرزت هذه الاتصالات عقد النية على عمل شىء يقف فى وجه التيار الإلحادى . ولقد تكونت نواة طيبة من هؤلاء الفضلاء وأعقب ذلك ظهور مجلة الفتح الإسلامية يرأس تحريرها الشيخ عبد الباقى سرور ومديرها الشيخ محب الدين الخطيب . ولقد كان هذا التجمع تأسيس « جمعية الشبان المسلمين » والتى سبق الحديث عنها فى فصل سابق .

تخرج حسن البنا فى دار العلوم :

تخرج – رحمه الله – فى مدرسة دار العلوم العليا فى يونيه عام ١٩٢٧ م وعقب نجاحه عين مدرسا للغة العربية فى مدينة الإسماعيلية . فسافر إليها فى (١٩ سبتمبر عام١٩٢٧م) وتسلم عمله بالمدرسة الابتدائية الأميرية .

ولقد ودعه أصدقاؤه وقال أحدهم له[2] .

« إن الرجل الصالح يترك أثرا صالحا فى كل بلد ينزل فيه ونحن نأمل فى أن يترك صديقنا أثرا صالحا فى هذا البلد الجديد عليه »

حسن البنا فى الإسماعيلية :

فى الإسماعيلية بدأت النواة الأولى فى تكوين جماعة الإخوان المسلمين . فمنذ أن

---

(١) مذكرات الدعوة والداعية،حسن البنا ص٥٠

(٢) مذكرات الدعوة والداعية ص٦٠

ألقى عصا الترحال واستقر به المقام بالمدينة ركز جهده بين المدرسة والدعوة إلى الله . ولقد ملكت لبه فكرة الإرشاد فى المقاهى إذ إن المساجد لا يقصدها سوى العدد القليل أما المقاهى فهى تضم مختلف الأوساط الاجتماعية . ولقد نحا بهم منحى عمليا فى كيفية الوضوء والصلاة وكيف تؤدى عبادات الإسلام .

وكان لهذا المسلك أثره الطيب بين أبناء الاسماعيلية فاجتمعوا حوله واصطحبهم إلى زاوية الحاج مصطفى فى درس بين المغرب والعشاء .

تأسيس جماعة الإخوان :

بجانب العوامل السالفة الذكر والتى اصطدم بها – رحمه الله – فى القاهرة حينما نزح إليها من الريف فإن الإسماعيلية أوحت إليه بعمل إسلامى منظم فجيوش الاحتلال ترابط على ضفاف القناة ، وقناة السويس والتى حفرت بسواعد المصريين تحت سياط القهر والتعذيب وها هى شركة قناة السويس تحتكر هذا الشريان الذى يربط الشرق والغرب . وتربض مبانيها الضخمة الفخمة بشوارعها التى تحمل أسماء أجنبية . ويقابل هذا مساكن العرب المصريين فى ضآلتها ويعصف بهم الجهل والفقر والمرض .

يقول الإمام حسن البنا [١] .

« لقد أوحت إلى الإسماعيلية بالكثير من المعانى التى كان لها أثر كبير فى تكييف الدعوة والداعية » .

الإخوان المسلمون :

وفى ذى القعدة عام (١٣٢٧ هـ مارس عام ١٩٢٨ م) اجتمع – رحمه الله – وستة أفراد كانوا هم النواة الأولى لجماعة « الإخوان المسلمين » وهذا الاسم جرى على لسان الإمام حسن البنا حينما تساءلوا بم يسمون أنفسهم فقال : [٢] .

« نحن إخوة فى الله فنحن إذن الإخوان المسلمون » هذه الدعوة التى دوت فى الآفاق وأرهف العالم السمع لها بدأت فى غرفة صغيرة لا يتجاوز إيجارها ستين قرشا شهريا أطلق عليها « مدرسة التهذيب للإخوان المسلمين» .

---

(١) مذكرات الدعوة والداعية ص٧٠

(٢) مذكرات الدعوة والداعية ص٧٢

ولقد تخير لها منهجا تربويا يتلخص فى الخطوات التالية :

١ – تصحيح تلاوة القرآن ومحاولة حفظه وشرح ما يحفظ .

٢ – حفظ بعض الأحاديث وشرحها .

٣ – تصحيح العقائد والعبادات .

٤ – تدريب القادرين على الخطابة .

حول هذا المنهج نشأ الرعيل الأول من الإخوان ، ولقد بلغوا فى نهاية العام الدراسى (١٩٢٧ – ١٩٢٨ م) سبعين فردا .

ومنذ هذا التاريخ انسابت دعوة الإخوان تفتح القلوب والأمصار حتى انتشرت شعبها وعمت شطرى الوادى بل تجاوزتة إلى بلدان العالم الإسلامى كما سيتضح خلال البحث إن شاء الله .

انتقال حسن البنا إلى القاهرة :

انتقل حسن البنا إلى القاهرة فى اكتوبر عام (١٩٣٢ م) مدرسا بإحدى المدارس الابتدائية واجتمع مجلس إدارة الإخوان بالإسماعيلية وقرر اعتبار القاهرة المركز العام للإخوان المسلمون . ولقد ظل – رحمه الله – يؤدى رسالته فى الدعوة إلى الله بالقدوة الحسنة والكلمة المخلصة الهادفة والعمل الدقيق المنظم . فربى رجالا وأسس مدرسة للدعوة والدعاة مازالت تؤدى رسالتها إلى اليوم ، ولقد أصبحت جماعة الإخوان بفضل الله ثم بحسن قيادته أكبر الحركات الدينية فى العصرالحديث . ولقد امتدت إليه يد خائنة غادرة فأطلقت عليه عدة رصاصات أثناء خروجه من المركز العام للشبان المسلمين فى (١٢ فبراير ١٩٤٩ م) . ولقى ربه شهيا. الدعوة الإسلامية وعمره لا يتجاوز اثنين وأربعين عاما .

شخصية الإمام حسن البنا :

يكاد معاصرو الإمام حسن البنا يجمعون على أن شخصيته كانت تنفرد بعدد من المواهب والطاقات الفريدة . فضلا عن إخلاص صادق للدعوة الإسلامية ملك عليه لبه ومشاعره فعاش من أجلها ولقى ربه فى سبيلها ولقد استطاعت هذه الشخصية الموهوبة الفذة أن تعلن صوت الإسلام فى وقت كانت الحركة الإسلامية

تتوارى فيه خلف جدران المساجد فقط أو تشغل نفسها والمسلمين معها بخلافات فقهية ذكرت نماذج منها فى الفصول السابقة .

ولو ذهبنا نعدد مواهب هذا الإمام لطال بنا المقام ولكن نستطيع أن نتعرف إلى شخصيته ونقف على آماله منذ كان فتى يافعا فى المحمودية ودمنهور ثم تبلورت شخصيته واتضح اتجاهه وهو مازال طالبا فى دار العلوم وذلك من خلال موضوع بعنوان « اشرح آمالك بعد إتمام دراستك وبين الوسائل التى تعدها لتحقيقها » .

فكتب – رحمه الله – موضوعا تحت هذا العنوان أقتطف منه ما يحدد شخصيته وآماله وتطلعاته : [١] .

« أعتقد أن خير النفوس تلك النفس التى ترى سعادتها فى إسعاد الناس وإرشادهم ، وتستمد سرورها من إدخال السرور عليهم وذود المكروه عنهم ، وتعد التضحية فى سبيل الإصلاح العام ربحا وغنيمة ، والجهاد فى الحق والهداية – على توعر طريقهما وما فيهما من مصاعب – راحة ولذة وتنفذ إلى أعماق القلوب فتشعر بأدوائها وتتغلغل فى مظاهر المجتمع فتتعرف ما يعكر على الناس صفاء عيشهم ومسرة حياتهم ...

وأعتقد أن العمل الذى لا يعدو نفعه صاحبه ولا تتجاوز فائدته عامله ، قاصر ضئيل ، وخير الأعمال وأجلها ذلك الذى يتمتع بنتائجه العامل وغيره من أسرته وأمته وبنى جنسه ، ويقدر شمول هذا النفع ويكون جلاله وخطره وعلى هذه العقيدة سلكت سبيل المعلمين لأنى أراهم نورا ساطعا يستنير به الجمع الكثير وإن كان كنور الشمعة التى تضيء للناس باحتراقها».

ثم يكتب الطالب حسن البنا عن آماله فيقول : « فكان أعظم آمالى بعد إتمام حياتى الدراسية ..

(خاص) ــ وهو إسعاد أسرتى وقرابتى والوفاء لذلك الصديق المحبوب[١] ما استطعت إلى ذلك سبيلا وإلى أكبر حد تسمح به حالتى ويقدرنى الله عليه .

---

(١) مذكرات الدعوة والداعية – حسن البنا ص ٥٥

(وعام) — وهو أن أكون مرشدا ومعلما . فإذا قضيت فى تعليم الأبناء سحابة النهار ، ومعظم العام قضيت ليلى فى تعليم الآباء هدف دينهم ، ومنابع سعادتهم ومسرات حياتهم ، تارة بالخطابة والمحاورة وأخرى بالتأليف وللكتابة وثالثة بالتجوال والسياحة .

ولقد أعددت لتحقيق الأول معرفة بالجميل، وتقديرا للإحسان « وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان » ولتحقيق الثانى من الوسائل الخلقية « الثبات والتضحية » وهما ألزم للمصلح من ظله وسر نجاحه كله وما تخلق بهما مصلح فأخفق إخفاقا يزرى به أو يشينه » .

ومن الوسائل العملية :

درسا طويلا سأحاول أن تشهد لى به الأوراق الرسمية . وتعرفا بالذين يعتنقون هذا المبدأ ويعطفون على أهله ، وجسما تعود الخشونة على ضآلته ، وألف المشقة على نحافته ، ونفسا بعتها الله صفقة رابحة ، وتجارة بمشيئته منجية ، راجيا منه قبولها ، سائله إتمامها ، ولكليهما عرفانا بالواجب وعونا من الله سبحانه أقرؤه فى قوله تعالى : ﴿ **إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم** ﴾ .

ذلك عهد بينى وبين ربى أسجله على نفسى وأشهد عليه أستاذى فى وحدة لا يؤثر فيها إلا الضمير وليل لا يطلع عليه إلا اللطيف الخبير . ﴿ **ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما** ﴾ .

هذه آمال الطالب حسن البنا منذ أن كان فتى يافعا والتى عمل على تحقيقها وبلغ فى هذا مبلغا لم يتسن للدعاة من معاصريه .

ولقد استطردت في عرض آماله – رحمه الله – لتتضح معالم شخصيته وطبيعة هويته ولتوضع بين يدى الدعاة كنموذج حى للدعوة والدعاة .

---

(١) الصديق هو الأستاذ أحمد السكرى وكيل الإخوان المسلمين والذى انشق عام (١٩٣٩) عن الإخوان وانضم لحزب الوفد وكتب فى صوت الأمة لسان حال حزب الوفد مهاجما الإخوان ومرشدها . « الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ ص٤٦١ للأستاذ محمود عبدالحليم »

هذا ولقد كتبت عن الإمام حسن البنا كتب عدة لاسيما ما كتبه من التقوا به وعاشوا معه من جماعة الإخوان المسلمين .

آثار الداعية حسن البنا :

لم يترك – رحمه الله – مؤلفات سوى مذكرات الدعوة والداعية ورسائله إلى الإخوان فضلا عن مقالاته فى صحف الإخوان وخطبه وإرشاداته .

إلا أن أعظم أثر تركه هو إنشاء مدرسة ارتبطت باسمه وربى رجالا مازالوا يسيرون على دربه رغم ما نزل بهم من محن ويؤدون رسالته – التى هى رسالة الإسلام – مهما كانت العوائق ، ولقد أثبتت الأيام أن دعوة حسن البنا قد تأصلت فى النفوس وتغلغلت فى الأعماق وأن لها صوتا مدويا فى العالم الإسلامى وحسبه – رحمه الله – أنه استطاع فى فترة وجيزة أن يربى جيلا بلغ تعداده قبيل اغتياله ما يقرب من المليون – وجعل صوت الدعوة الإسلامية يسمو ويتألق على تلك الأصوات التى كانت تفرض نفسها على الساحة المصرية مما أثار انتباه أعداء الإسلام لهذه الحركة فحاولوا القضاء عليه برصاصات أطلقت عليه .

ولكن هذه الرصاصات دوت فى أسماع العالم الإسلامى فأيقظته من رقدته وحركته من سباته العميق وما كانت آلاف الخطب والمواعظ لتحرك المشاعر كما حركتها قطرات الدم الذكية المراقة على باب جمعية الشبان المسلمين عام (١٩٤٩ م) ورحم الله شهيد الإسلام سيد قطب حينما قال : « إن كلماتنا تظل عرائس من الشمع حتى إذا متنا فى سبيلها دبت فيها الروح وكتبت لها الحياة » .

رحم الله الإمام الأستاذ حسن البنا بقدر ما أعطى للدعوة الإسلامية .

ب – المستشار حسن اسماعيل الهضيبى :

عقب اغتيال حسن البنا فى (١٢ فبراير ١٩٤٩م) انفرط عقد الجماعة وتشرد أعضاؤها بين غياهب السجون أو الاختفاء عن أعين الدولة وصودرت ممتلكاتها ومؤسساتها الاقتصادية . وأضحت الجماعة بدون مرشد زهاء عامين إلى أن تغيرت الحكومة السعدية وتولى حزب الوفد مقاليد الوزارة فخفف الضغط عن الإخوان المسلميـن نظرا لحاجة الوفد لمؤازرة الإخوان فى قضاياه السياسية ، خاصة إلغاء معاهدة عام (١٩٣٦م) ، واتفاقية السودان اللتين ألغيتا فى العاشر من أكتوبر عام واحد وخمسين وتسعمائة وألف ، وفى التاسع عشر من أكتوبر نفس العام السابق تم انتخاب المرشد العام الثانى للإخوان المسلميـن وهو المرحوم الأستاذ المستشار حسن اسماعيل الهضيبى والذى نوجز حياته فيما يلى :

مولده : ولد فى قرية عرب الصوالحة التابعة لمركز شبين القناطر محافظة القليوبية .

دراسته : حفظ القرآن الكريم صغيرا ، ولما بلغ أشده دخل الأزهر ومكث فيه سنة واحدة فقط والتحق بمدرسة باب الشعرية الابتدائية ثم المدرسة الخديوية الثانوية ، وعقب حصوله على البكالوريا التحق بمدرسة الحقوق وتخرج فيها عام (١٩١٥م) ، وأثناء دراسته قام بعدة أعمال وطنية لمقاومة الاحتلال الانجليزى فعوقب على هذا بفصله من الدراسه لمدة عام .

وظائفه : تدرج – رحمه الله – فى سلك القضاء حتى انتهى به المطاف إلى مستشار بمحكمة النقض والإبرام .

شخصيته : يتحدث الأستاذ محمود عبد الحليم عضو الهيئة التأسيسية عن شخصيته فيقول : (١) « كان من القلائل الذين اشتهروا بين رجال القضاء بالجمع بين العلم والنزاهة والحصافة وقوة الشخصية وبعد النظر ، وله تاريخ عريق فى المطالبة بجعل الشريعة الإسلامية قانونا للبلاد ..

صلة الأستاذ الهضيبى بالإخوان :

قد يبدو للوهلة الأولى أنه – رحمه الله – كان غريبا على الإخوان المسلميـن إذ

---

(١) الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ محمود عبدالحليم ص٤٥٦ حـ٢

إنه لم يكن معروفا فى الوسط الإخوانى . وعقب وفاة الأستاذ حسن البنا تلألأت أسماء فى سماء الإخوان تتطلع إلى أن تتبوأ مركز المرشد العام ومنهم الأستاذ عبد الرحمن البنا شقيق الإمام حسن البنا والأستاذ عبد الحكيم عابدين زوج شقيقته والأستاذ البهى الخولى ، والشيخ أحمد حسن الباقورى وأسماء كثيرة كانت تأمل فى أن يقع عليها الاختيار ولهذا كان اختيار الهضيبى غير متوقع لدى الكثيرين .

غير أن ما تؤكده الوثائق التاريخية ومؤرخو الإخوان ومعاصرو أحداثها يؤكدون صلة الهضيبى بالإخوان ويتحدث ـ رحمه الله ـ عن صلته بالإخوان وبالمرشد الأستاذ حسن البنا فيقول : « عرفته أول ما عرفته من غرس يده . كنت أدخل المدن والقرى فأجد إعلانات عن الإخوان المسلمين فخلت أنها إحدى الجمعيات التى تعنى بتحفيظ القرآن والإحسان إلى الفقراء ودفن الموتى .. فلم أحفل بها .

ثم يستطرد فيذكر عن لقائه الأول بحسن البنا ومدى تأثره به : وسمعنا حسن البنا .. لقد تعلقت أبصارنا به ولم نجد لأنفسنا فكاكا من ذلك ، وخلت والله أن هالة من نور أو مغناطيسا بوجهه الكريم تزيد الانجذاب إليه ..

المبحث الثانى

البناء التنظيمى للإخوان المسلمين

ينفرد الإخوان بدقة الإعداد وحسن التنظيم وانضباط أعضاء الجماعة انضباطا محكما وتمكن المركز العام من السيطرة على جميع الشُعَب ، والتى بلغت فى بعض الأحيان ما يقرب من ألف وخمسمائة شعبة تضم حوالى ألف ألف عضو . واستطاعوا من خلال هذا التنظيم الدقيق التغلغل فى وجدان الشعب المصرى وخالطت دعوتهم شغاف قلبه . وانتشرت شعبهم فى مدن مصر وقراها ، وحملها الأثير إلى العالم الإسلامى فكان لها فى كل قطر دعوة وفى كل مصر دعاة . وتجاوزت دائرتها المحدودة فى الإسماعيلية وما حولها إلى مصر بأكملها عقب انتقال حسن البنا عام (١٩٣٢ م) إلى القاهرة وقرر مجلس إدارة الإخوان فى الإسماعيلية اعتبار القاهرة المركز العام الذى أصبح كالقلب والشعب كالشرايين له . ويصف الدكتور اسحاق موسى الحسينى تنظيم الإخوان ودقته فيقول :[١] .

« لقد كانت جمعيتهم أشبه بساعة مضبوطة كل قطعة فيها تعمل بالتعاون مع سائر القطع ، وكالساعة أيضا يمكنك أن ترى بعض قطعها ولا يمكنك أن ترى قطعا أخرى لأنها موضوعة بحيث لاترى ولكن بين ما يرى وما لايرى صلة أكيدة » .

وهذا البناء التنظيمى تبدو صورته الموجزة كما يلى :

أولا : الهيئه التأسيسية :

وتتكون من مائة وخمسين عضوا ومهمتها الإشراف العام على سير الدعوة واختيار

(١) حسن البنا ومدرسته د . رءوف شلبى ص٢٧٣

أعضاء مكتب الإرشاد العام وتعتبر مجلس الشورى العام للإخوان .

ثانيا : مكتب الإرشاد العام :

ينتخب من أعضاء الهيئة التأسيسية وعدد أعضائه اثنا عشر عضوا ، ويلاحظ فى انتخابهم أن يكون تسعة من القاهرة وثلاثة من الأقاليم . ويقسم العضو المنتخب هذا القسم التالى :

« أقسم بالله العظيم أن أكون حارسا أمينا لمبادىء الإخوان المسلمين ونظامهم الأساسى واثقا من قيادتهم منفذا لقرارات المكتب العام القانونية وإن خالفت رأيى فى هذا بكل قوة فى سبيل تحقيق الغاية السامية وأبايع الله على ذلك والله على ما أقول وكيل »(١) .

ثالثا : المرشد العام :

هو الرئيس الأعلى للهيئة التأسيسية ورئيس مكتب الإرشاد العام .

ومن الشروط التى يجب أن تتوافر فيه :

١ ـ أن يكون من أعضاء الهيئة التأسيسية ولقد تم التجاوز عن هذا الشرط عند اختيار الأستاذ حسن الهضيبى .

٢ ـ ألا تقل سنه عن ثلاثين عاما .

٣ ـ أن تتوافر فيه الصفات العلمية والخلقية التى تؤهله لذلك .

ويقسم المرشد العام القسم التالى :(٢) .

« أقسم بالله العظيم أن أكون حارسا أمينا لمبادىء الإخوان المسلمين ونظامهم الأساسى وألا أجعل مهمتى سبيلا إلى منفعة شخصية وأن أتحرى فى عملى وإرشادى مصلحة الجماعة وفق الكتاب والسنة وأن أتقبل كل اقتراح أو رأى أو نصيحة من أى شخص بقبول حسن وأن أعمل على تنفيذه متى كان حقا وأشهد الله على ذلك » .

---

(١) حسن البنا ومدرسته د . رءوف شلبى ص٢٧٣

(٢) حسن البنا ومدرسته د . رءوف شلبى ص٢٧٠

رابعا : الأقسام واللجان الرئيسية بالمركز العام :

وسيأتى مزيد تفصيل لها فى مبحث التربية العملية للإخوان إن شاء الله .

خامسا : المكاتب الإدارية :

وهى تتكون من كل المناطق الواقعة فى دائرة المديرية ولكل مكتب إدارى مجلس يديره . وقسمت مصر إلى تسعة عشر مكتبا إداريا فى كل مديرية (محافظة) .

سادسا : المناطق (١)

وتتكون من الشعب الواقعة فى دائرة المركز أو القسم وتسمى باسم المركز الواقعة به وتعدادها يقرب ثلاثمائة منطقة .

سابعا : الشعب والأسر :

قسم الإخوان المناطق إلى شعب تنتشر فى المدن والقرى ويُقَسَّمون فى الشعبة إلى إخوان تحت الاختبار وهم الأشخاص الذين اعتنقوا فكرة الإخوان ومازالوا فى مقدمة الطريق وهؤلاء يمكثون فترة ستة أشهر ومن تثبت صلاحيته تعتمد عضويته من المركز العام ويؤذن له بأداء البيعة أمام رئيس الشعبة ولقد بلغ عدد الشعب قبيل اغتيال الإمام حسن البنا ألفا وخمسمائة شعبة تقريبا تضم نحو ما يقرب من المليون عضو .

وقسمت الشعب إلى أسر لا تتجاوز خمسة أفراد تسمى بأسماء الصحابة رضوان الله عليهم .

هذه صورة موجزة للبناء التنظيمى للإخوان يتضح من خلالها مدى التنظيم والدقة والانتشار والتسلسل من الخلية الأولى وهى الأسرة حتى قمة القيادة والتوجيه فى الهيئة التأسيسية ومكتب الإرشاد العام .

ولقد استطاع هذا البناء أن يثبت فاعليته كجهاز حركى يخدم دعوة الإخوان ويتضاءل امام دقته أى نظام آخر أو جمعية معاصرة .

وهذا البناء أدى إلى تكوين ما يطلق عليه علماء التربية العقل الجمعى أو لغة الفريق

---

(١) الإخوان المسلمون والمجتمع المصرى الأستاذ محمد شوق زكى ص١٢٧

حيث يتوحد الفكر وتلتقى الأهداف على كلمة سواء ويمتزج الشعور نحو غاية واحدة ، وبذلك أصبح الإخوان من أقاصى البلاد إلى أدناها جماعة متحدة لا نشاز فيها باستثناء ما حدث من خروج بعض الأفراد أثناء مسيرة الدعوة وهذه ظاهرة تتكرر فى كل جماعة .

المبحث الثالث

أهداف الإخوان المسلمين

لكى يتعرف أي كاتب على أهداف جماعة من الجماعات فإنه يجب عليه أن يعتمد إلى قانون تلك الجماعة ليتعرف منه على أهدافها . ولقد حددت المادة الثانية من قانون الإخوان المسلمين أهدافهم فيما يلى :

أ - شرح دعوة القرآن الكريم شرحا دقيقا يوضحها ويردها إلى فطرتها وشمولها ويعرضها عرضا يوافق روح العصر ويرد عنها الأباطيل والشبهات .

ب - جمع القلوب والنفوس على هذه المبادىء القرآنية وتجديد أثرها الكريم فيها وتقريب وجهات النظر بين الفرق الإسلامية المختلفة .

جـ - تنمية الثروة القومية وحمايتها وتحررها والعمل على رفع مستوى المعيشة .

د - تحقيق العدالة الاجتماعية والتأمين الاجتماعى لكل مواطن والإسهام فى الخدمة الشعبية ومكافحة الجهل والمرض والفقر والرذيلة وتشجيع أعمال البر والخير .

هـ - تحرير وادى النيل والبلاد العربية جميعا والوطن الإسلامى بكل أجزائه من كل سلطان أجنبى ومساعدة الأقليات الإسلامية فى كل مكان ، وتأييد الوحدة العربية تأييدا كاملا والسير إلى الجامعة الإسلامية .

و - قيام الدولة الصالحة التى تنفذ أحكام الإسلام وتعاليمه عمليا وتحرسها فى الداخل وتبلغها فى الخارج .

ز - مناصرة التعاون العالمى مناصرة صادقة فى ظل المثل الفاضلة التى تصون

الحريات وتحفظ الحقوق والمشاركة فى بناء السلام والحضارة الإنسانية على أساس جديد من تآزر الإيمان والمادة كما تكفلت بذلك نظم الإسلام الشاملة (١) .

هذه الأهداف التى حددها قانون الإخوان ووضحها جليا المرحوم الإمام حسن البنا من خلال رسائله ومحاضراته فى المركز العام وجولاته . فلقد بلور هذه الأهداف فى إحدى رسائله وحدد وسائلها على النحو التالى :

١ ــ نريد أولا الرجل المسلم فى فكره وعقيدته وفى خلقه وعلاقته وفى عمله وتصرفه فهذا تكويننا الفردى .

٢ ــ ونريد بعد ذلك البيت المسلم ونحن بهذا نعتنى بالمرأة عنايتنا بالرجل ونعتنى بالطفولة عنايتنا بالشباب وهذا هو تكويننا الأسرى .

٣ ــ ونريد بعد ذلك الشعب المسلم ونحن لهذا نعمل على أن تصل دعوتنا إلى كل بيت وأن يسمع صوتنا فى كل مكان وأن تسير فكرتنا وتتغلغل فى القرى والنجوع والمدن والمراكز والحواضر والأمصار .

٤ ــ نريد بعد ذلك الحكومة المسلمة التى تقود هذا الشعب إلى المسجد وتحمل به الناس على هدى الإسلام .

٥ ــ ونريد بعد ذلك أن نضم إلينا كل جزء من وطننا الإسلامى .

٦ ــ ونريد بعد ذلك أن تعود راية الله خفاقة عالية على تلك البقاع التى سعدت بالإسلام حينا من الدهر ، ودوى بها صوت المؤذن بالتكبير والتهليل ثم أراد لها نكد الطالع أن ينحسر عنها ضياؤه فتعود إلى الكفر بعد الإسلام فالأندلس وصقلية والبلقان وجنوب ايطاليا وبحر الروم كلها مستعمرات إسلامية يجب أن تعود إلى أحضان الإسلام ويجب أن يعود البحر الأبيض والبحر الأحمر بحيرتين إسلاميتين كما كانتا من قبل .

---

(١) حسن البنا ومدرسته د . رءوف شلبى ص٢٦٥

٧ ــ نريد بعد ذلك أن نعلن دعوتنا على العالم وأن نبلغ الناس جميعا وأن نعم بها الآفاق وأن نخضع لها كل جبار[١] .

هذه هى الأهداف التى أعلنها الإخوان من خلال قانونهم وعلى لسان مرشدهم العام وعملوا جاهدين على تحقيقها بالتربية الفكرية والعملية كما سيتضح من بين ثنايا الأبحاث التالية ، ولقد كان يحدوهم إيمان صادق وعزيمة متوثبة لتحقيق هذه الآمال .

يقول الإمام حسن البنا ــ رحمه الله ــ[٢] .

« وفى الوقت الذى يكون فيه منكم معشرالإخوان ثلاثمائة كتيبة قد جهزت نفسها روحيا بالإيمان والعقيدة وفكريا بالعلم والثقافة وجسميا بالتدريب والرياضة فى هذا الوقت طالبونى بأن أخوض بكم لجج البحار وأقتحم بكم عنان السماء وأغزو بكم كل جبار عنيد فإنى فاعل إن شاء الله » .

ويلاحظ فى هذه الأهداف أنها لا تعالج قضية واحدة من قضايا الإسلام ولكنها تنظر إلى الإسلام كنظام كامل الحياة ويظهر فيها الاحتواء والتكامل وهذا أمر انفرد به الإخوان دون سائر الجمعيات .

ولقد كانوا لا يألون جهدا فى عرض هذه الأهداف سواء على مستوى الحكومة أو الأمة . فعلى مستوى الأمة كانت شعب الإخوان تتغلغل فى مدن مصر وقراها حتى دخل فيها أو سمع عنها كل بيت وعلى المستوى الرسمى ما برح الداعية الأستاذ حسن البنا بين الفينة والفينة فى إرسال الرسائل إلى رؤساء الوزراء ثم إلى الملك وكذلك ملوك وأمراء العالم العربى فمن ذلك ما يلى :

رسالة إلى محمد محمود باشا رئيس الوزراء يبسطون له فيها حال الأمة وما تعانيه من آلام ثم حثته الرساله بإجراء ما يلى :[٣] .

أولا : منع الحفلات الخليعة واختلاط الرجال بالنساء وشرب الخمر فيها .

---

(١) رسائل الإمام حسن البنا ص٨٥

(٢) رسائل الإمام حسن البنا ص١٦٢

(٣) الإخوان المسلمون د . إسحاق موسى الحسينى ص٧٨

ثانيا : امتناع الوزراء والرؤساء عن ارتياد أندية القمار وميادين السباق ومحافل اللهو .

ثالثا : أن يكفوا عن نشر صور سيداتهم فى الصحف .

رابعا : أداء الصلاة والإمساك عن العمل فى أوقاتها .

خامسا : أن يكون المظهر الغالب فى بيوتهم مصريا إسلاميا يتحدثون العربية ويتخذون مربيات مصريات ويجعلون المدارس الحكومية إسلامية .

وعلى هذا النمط أرسلوا رسائل إلى الملك فاروق ومصطفى النحاس عام (١٩٣٦ م) بعنوان « نحو النور » وفى عام (١٩٣٨ م) رفعوا رسالة للملك يطالبون بحل الأحزاب وكذلك أرسلوا إلى وزير العدل أحمد خشبة باشا يطلبون منه تجربة الدولة الإسلامية .

وخلال مسيرة الدعوة لم يكفوا عن مخاطبة أولى الأمر بوجوب إصلاح المجتمع على الأسس الإسلامية .

وحينما قامت ثورة (٢٣) يوليه أرسل المرحوم المستشار حسن الهضيبى رسالة إلى مجلس قيادة الثورة يوضح لهم أسس الإصلاح وأن يتركز فى نقاط ثلاث : (١)

١ ــ الحكم بالقرآن .
٢ ــ رفع مستوى الأخلاق .
٣ ــ تحقيق العدالة الاجتماعية .

من خلال هذا المبحث تتضح دعوة الإخوان وأهدافها وأنها تتجه إلى غاية واحدة عبر عنها المرحوم حسن البنا فى قوله : (٢) « نحن أمة مسلمة وقد وطدنا العزم على

---

(١) مجلة الدعوة العدد ١٧ سنة ٢٦ أكتوبر ١٩٧٧ م
(٢) المرجع السابق العدد ١٢ سنة ٢٦ مايو ١٩٧٧ م

ألا نحكم بغير قانون الله وشريعة القرآن وتعاليم محمد ﷺ مهما كلفنا ذلك من تضحيات وسيظل الإخوان المسلمون يطالبون بإعادة التشريع الإسلامى كركن من أركان حياة مصر حتى تتحقق غايتهم أو يموتون دونه » .

المبحث الرابع

التربية الفكرية والعملية للإخوان المسلمين

تفـرد الإخوان دون سائر الجمعيات المعاصرة بمنهج فريد فى التربية وأسلوب رائد فى الإعداد مما كان له كبير الأثر فى اكتمال رسالتهم وذيوع أمرهم ، وانتشار مبادئهم حتى تجاوزت مصر إلى العالم الإسلامى..

ولقد اتضح عمق هذه التربية ومدى تأصلها فى القلوب خلال المحن والفتن التى تعرضوا لها . فلم تلن لهم قناة أو ينثنى لهم عزم أو تضعف لهم إرادة ، وما كان يتسنى لهم ذلك إلا بالتربية الفكرية والعملية التى أوجزها المرحوم حسن البنا فى أمور ثلاثة :[1] .

١ – الإيمان العميق .

٢ – التكوين الدقيق .

٣ – العمل المتواصل .

ولأجل الوصول إلى هذه الغايات فلقد تدرجوا فى تربية الأخ المسلم على عدة مراحل متنوعة ، كل مرحلة ترتكز على ما قبلها وتعده إلى ما بعدها ومن ثم كان الانضمام لجماعة الإخوان يتدرج إلى مستويات أربعة :

أولا: الانضمام العام : .

وهو حق كل مسلم عرف مقاصد الدعوة ووسائلها وتعهد بأن ينصرها

---

(١) رسائل الإمام البنا ص١٤٢

ويحترم نظامها ويقضى العضو مدة لا تقل عن ستة أشهر يثبت فيها مدى التزامه بمبادىء الإخوان و يـؤذن له بأداء البيعة ويسمى : (أخا مساعدا) .

ثانيا: الانضمام الأخوى :

وهو حق لكل مسلم يوافق على قبوله عضوا بالجماعة بشرط أن يحفظ العقيدة ويتعهد بالالتزام بالطاعة والكف عن المحرمات وحضور الاجتماعات الأسبوعية والسنوية ويسمى : (أخا منتسبا) .

ثالثا: الانضمام العملى :

وهو لمن اجتاز مرحلة الانضمام الأخوى ويطلب منه الالتزام بما يلى : [1] .

١ – دراسة وشرح عقيدة الإخوان المسلمين .
٢ – التعهد بالورد القرآنى .
٣ – حضور مجالس القرآن الكريم الأسبوعية .
٤ – الاشتراك فى صندوق الحج والزكاة .
٥ – الانضمام إلى فرقة الرحلات ما دامت سنه تسمح بذلك .
٦ – التزام التحدث باللغة العربية الفصحى بقدر ما يستطيع .
٧ – إلزام منزله بمبادىء الإخوان المسلمين .
٨ – العمل على تثقيف نفسه والاجتهاد فى حفظ أربعين حديثا نبويا .
٩ – قبول مناصفات الإخوان التأديبية ويسمى (أخا عاملا) .

رابعا: الانضمام الجهادى :

وهو مستوى الذروة لقول الرسول ﷺ :

« جماع الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد فى سبيل الله » .

وهذا المستوى الرفيع من حق مكتب الإرشاد أن يمنحه لمن تثبت كفاءته

(١) حسن البنا ومدرسته د . رعوف شلبى ص٢٢٠

ويجب عليه أن يلتزم بما يلى :[1] .

١ ـ تحرى السنة المطهرة ما استطاع إلى ذلك سبيلا فى الأقوال والأعمال .

٢ ـ قيام الليل وأداء صلاة الجماعة إلا لعذر قاهر .

٣ ـ العزوف عن مظاهر المتع الفانية والبعد عن كل ما هو غير إسلامى فى العبادات والمعاملات .

٤ ـ الاشتراك المالى فى مكتب الإرشاد وصندوق الدعوة والوصية بجزء من تركته لجماعة الإخوان المسلمين .

٥ ـ أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر مادام أهلا لتحمل هذه الأمانة .

٦ ـ تلبية دعوة المكتب متى وجهت إليه فى أى وقت وفى أى مكان .

٧ ـ حمل المصحف دائما ليذكره بواجباته .

٨ ـ الاستعداد لقضاء مدة التربية الخاصة بمكتب الإرشاد .

هذه المستويات الأربعة لا يصل الفرد إليها إلا بعد التكوين الفكرى والعقائدى العميق . والإعداد العملى الدقيق الذى يجب أن يكون منهجا لتربية الدعاة ، وإننى إذا أبسط المقال للتربية الفكرية والعملية لأضع أمام الباحثين ـ لاسيما المعنيين بأمر الدعوة ـ الأسلوب الأمثل للنهوض بشأن الدعاة . هذا ولقد انفرد الإخوان المسلمون بوسائل الإعداد التالية :

أولا : التربية الفكرية :

إن سلوك الفرد يرتبط دائما بما يعتنقه من أفكار لأن الإيمان بالفكرة يهبنا من القوة ما نستطيع به أن نزحزح معه الجبال ، ومن ثم اتجهت جماعة الإخوان إلى تربية الفرد المسلم تربية علمية على أخص من أركان المبحث التى يوضحها المرحوم الإمام حسن البنا فيما يلى :

الفهم :

فكلما تفهم الإنسان دينه وتغلغل فى وجدانه ووقف على أسراره ازداد إيمانا به

---

(١) حسن البنا ومدرسته د . رءوف شلبى ص٢٢٠

ودفاعا عنه ودعوة إليه . ولقد حدد – رحمه الله – أبعاد هذا الفهم فى أصول عشرين سأوجزها إيجازا يفى بالغرض إن شاء الله .

١ – الإسلام نظام شامل يتناول مظاهر الحياة جميعا .

٢ – القرآن الكريم والسنة المطهرة مرجع كل مسلم فى تعرف أحكام الإسلام .

٣ – للإيمان الصادق والعبادة الصحيحة والمجاهدة نور وحلاوة يقذفها الله فى قلب من يشاء من عباده ، ولكن الإلهام والخواطر والكشف والرؤى ليست من أدلة الأحكام الشرعية .

٤ – التمائم والرقى والودع والرمل والمعرفة والكهانة وادعاء معرفة الغيب وكل ما كان من هذا الباب منكر تجب محاربته إلا ما كان من قرآن أو رقية مأثورة .

٥ – رأى الإمام فيما لا نص فيه و فيما يحتمل وجوها عدة فى الصالح ومعمول به ما لم يصطدم بقاعدة شرعية .

٦ – كل أحد يؤخذ من كلامه ويترك إلا المعصوم ﷺ وكل ما جاء عن السلف رضوان الله عليهم موافقا للكتاب والسنة قبلناه وإلا فكتاب الله وسنة رسوله أولى بالاتباع .

٧ – لكل مسلم لم يبلغ درجة النظر فى أدلة الأحكام الفرعية أن يتبع إماما من أئمة الدين ويحسن به مع هذا الاتباع أن يجتهد ما استطاع فى تعرف أدلته .

٨ – الخلاف الفقهى فى الفروع لا يكون سببا للتفرق فى الدين ولا يؤدى إلى خصومة ولا بغضاء ولكل مجتهد أجره ولا مانع من التحقيق العلمى النزيه فى مسائل الخلاف فى ظل الحب فى الله والتعاون على الوصول للحقيقة من غير أن يجر ذلك إلى المراء المذموم والتعصب .

٩ – كل مسألة لا ينبنى عليها عمل فالخوض فيها من التكلف الذى نهينا عنه شرعا ومن ذلك كثرة التفريعات للأحكام التى لم تقع والخوض فى معانى الآيات القرآنية الكريمة التى لم يصل إليها العلم بعد .

١٠ – معرفة الله تبارك وتعالى وتوحيده وتنزيهه أسمى عقائد الإسلام وآيات الصفات وأحاديثها الصحيحة وما يلتحق بذلك من المتشابه نؤمن بها كما جاءت من غير تأويل ولا تعطيل ولا نتعرض لما جاء فيها من خلاف بين العلماء .

١١ ـ كل بدعة فى الدين لا أصل لها استحسنها الناس بأهوائهم سواء بالزيادة أو بالنقص منه ضلالة تجب محاربتها والقضاء عليها بأفضل الوسائل التى لا تؤدى إلى ما هو شر منها .

١٢ ـ البدعة الإضافية والتزكية والالتزام فى العبادات المطلقة خلاف فقهى لكل فيه رأيه ولا بأس بتمحيص الحقيقة بالدليل والبرهان .

١٣ ـ محبة الصالحين واحترامهم والثناء عليهم بما عرف من طيب أعمالهم قربة إلى الله تعالى والأولياء هم المذكورون فى قوله تعالى : [1] .

﴿ الذين آمنوا وكانو يتقون * لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم ﴾ .

والكرامة ثابتة لهم بشرائطها الشرعية مع اعتقاد بأنهم رضوان الله عليهم لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا فى حياتهم أو بعد مماتهم فضلا على أن يهبوا شيئا لغيرهم .

١٤ ـ زيارة القبور أيا كانت سنة مشروعة بالكيفية المأثورة ، ولكن الاستعانة بالمقبورين أيا كانوا ونداءهم ، وطلب قضاء الحاجة منهم عن قرب أو بعد والنذر لهم وتشييد القبور وسترها وإضاءتها والتمسح بها والحلف بغير الله وما يخلق بذلك من المبتدعات كبائر تجب محاربتها ولا نتأول لهذه الأعمال سدا للذريعة .

١٥ ـ الدعاء إذا قرن بالتوسل إلى الله بأحد من خلقه خلاف فرعى فى كيفية الدعاء وليس من مسائل العقيدة .

١٦ ـ العرف الخاطىء لا يغير حقائق الألفاظ الشرعية بل يجب التأكد من حدود المعانى المقصود بها والوقوف عندها ، كما يجب الاحتراز من الخداع اللفظى فى كل نواحى الدنيا والدين فالعبرة بالمسميات لا بالأسماء .

١٧ ـ العقيدة أساس العمل وعمل القلب أهم من عمل الجارحة ، وتحصيل الكمال فى كليهما مطلوب شرعا وإن اختلفت مرتبتا الطلب .

---

(١) سورة يونس آية ٦٣ ، ٦٤

١٨ ـ الإسلام يحرر العقل ويحث على النظر فى الكون ويرفع قدر العلم والعلماء ويرحب بالصالح النافع من كل شىء والحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها .

١٩ ـ قد يتناول كل من النظر الشرعى والنظر العقلى مالا يدخل فى دائرة الآخر ولكنهما لن يختلفا فى القطعى فلن تصطدم حقيقة علمية صحيحة بقاعدة شرعية ثابتة ويؤول الظنى منهما ليتفق مع القطعى فإن كانا ظنين فالنظر الشرعى أولى بالاتباع حتى يثبت العقلى أو ينهار .

٢٠ ـ لا نكفر مسلما أقر بالشهادتين وعمل بمقتضاهما وأدى الفرائض – برأى أو معصية ـ إلا إنْ أقر بكلمة الكفر أو أنكر معلوما من الدين بالضرورة أو كذب صريح القرآن أو فسره على وجه لا تحتمله أساليب اللغة العربية بحال أو عمل عملا لا يحتمل تأويلا غير الكفر (١) .

وهذا النص الأخير ينفى نفيا قاطعا ما يزعمه البعض من أن الإخوان تكفر المجتمع أو تبعد البعض عن حظيرة الإسلام ـ قد يكون البعض قد جنح إلى هذا كما سيأتى إن شاء الله فى الباب ـ الا أن فكر الجماعة وتوجيهات مرشدها العام ورسائله – رحمه الله ـ واتجاه الرأى العام فيها لا يكفر بمعصية . كما يلاحظ من خلال الاتجاهات الفكرية التى اندرجت تحت الركن الأول من أركان البيعة مدى الاعتدال فى الفكر والتوسط فى المنهج وكيف حاول الإمام حسن البنا رحمه الله أن يجمع بين الجماعات الإسلامية المتباعدة فى الفكر والرأى لاسيما أنصار التصوف وخصومه ولقد بلور هذا الفكر وحدد هذا الاتجاه فى رسالته إلى المؤتمر الخامس الذى انعقد عام (١٣٥٧ هـ – ١٩٣٨ م) ومما جاء فيها :

« إن الإخوان المسلمين دعوة سلفية وطريقة سنية وحقيقة صوفية وهيئة سياسية وجماعة رياضية ورابطة عملية وثقافية وشركة اقتصادية وفكرة اجتماعية » .

وهذا الكلام لم يطلق على عواهنه أو يراد به الدعاية ولكنه قيل بعد عشر سنوات

---

(١) رسائل الإمام الشهيد ص٢٧٠

من بداية الدعوة وبعد أن تأصلت فى النفوس واتضحت اتجاهاتها وأهدافها .

الإخلاص :

وهو من أركان بيعة الإخوان وبما تعاهدوا عليه ومعناه : « أن يقصد الأخ المسلم بقوله وعمله وجهاده كله وجه الله وابتغاء مرضاته وحسن ثوابه من غير نظر إلى مغنم أو مظهر أو جاه » ، وبذلك يكون المسلم جندى فكرة وعقيدة لا جندى غرض ومنفعة .

العمل :

ومراتب العمل المطلوبة من الأخ الصادق هى :

١ ـ إصلاح نفسه حتى يكون قوى الجسم متين الخلق مثقف الفكر قادر على الكسب ، سليم العقيدة صحيح العبادة .

٢ ـ تكوين بيت مسلم بأن يحمل أهله على احترام فكرته والمحافظة على آداب الإسلام فى كل مظاهر الحياة المنزلية .

٣ ـ إرشاد المجتمع بنشر دعوة الخير فيه ومحاربة الرذائل والمنكرات وتشجيع الفضائل وكسب الرأى العام إلى جانب الفكرة الإسلامية .

٤ ـ تحرير الوطن بتخليصه من كل سلطان أجنبى ـ غير إسلامى ـ سياسى أو اقتصادى أو روحى .

٥ ـ إصلاح الحكومة حتى تكون إسلامية بحق .

٦ ـ إعادة الكيان الدولى للأمة الإسلامية بتحرير أوطانها .

٧ ـ أستاذية العالم بنشر دعوة الإسلام فى ربوعه حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله .

الجهاد :

فلا نجاح لدعوة الدعوات إلا إذا قامت على الجهاد الذى يتنوع حسب الحاجة والطاقة وهناك جهاد اللسان ، والقلم ، واليد ، وكلمة حق عند سلطان جائر ، ويقدر سمو الدعوة وسعة أفقها تكون عظمة الجهاد فى سبيلها .

التضحية :

ببذل النفس والمال والوقت والحياة وليس فى الدنيا جهاد ولا تضحية معه .

الطاعة :

وهى امتثال الأمر وإمضاؤه فى العسر واليسر والمنشط والمكره ، إذ إنه من عوامل نجاح الدعوة والداعية ، والطاعة خلال مسيرة الدعوة ولقد قسم الإخوان دعوتهم إلى مراحل ثلاث :

١ – التعريف ٢ – التكوين ٣ – التنفيذ ولن يتم هذا إلا بالطاعة .

الثبات :

وأريد به أن يظل الأخ المسلم مجاهدا فى سبيل غايته مهما بعدت المدة وتطاولت السنوات والأعوام حتى يلقى الله وقد فاز بإحدى الحسنيين فإما الغاية وإما الشهادة فى النهاية .

التجرد :

وهو أن يسمو بالفكرة الإسلامية عن الأشخاص ولقد كان من خصائص الدعوة :

البعد عن هيمنة الأعيان والكبراء والأحزاب والهيئات وأن تكون صلة المسلم بغيره من خلال الرؤية الإسلامية والناس عند الأخ الصادق واحد من ستة أصناف :

« مسلم مجاهد أو مسلم قاعد أو مسلم آثم ، أو ذمى معاهد أو محايد أو محارب ، ولكل حكمه فى ميزان الإسلام » .

الأخوة :

وهى أن ترتبط القلوب والأرواح برباط العقيدة وهى أوثق الروابط ، والأخوة أخوة الإيمان والتفرق أخو الكفر ولا وحدة بغير حب وأقل الحب سلامة الصدر وأعلاه مرتبة الإيثار والأخ الصادق يرى إخوانه أولى بنفسه من نفسه ، لأنه إن لم يكن بهم فلن يكون بغيرهم وهم إن لم يكونوا به كانوا بغيره .

الثقة :

والثقة هى اطمئنان الجندى إلى القائد فى كفاءته وإخلاصه اطمئنانا عميقا ينتج الحب والتقدير والاحترام والطاعة والقائد جزء من الدعوة ولا دعوة بغير قيادةوعلى قدر الثقة المتبادلة بين القائد والجنود تكون قوة النظام للجماعة والقيادة فى دعوة

الإخوان حق الوالد بالرابطة القلبية والأستاذ بالإفادة العلمية ، والشيخ بالتربية الروحية والقائد بحكم السياسة العامة للدعوة »[1] .

هذه أركان البيعة العشرة والتى تعبر عن التربية الفكرية والعقائدية لجماعة الإخوان ويلاحظ استقامتها مع الفطرة وتوافقها وأحكام الإسلام وأنها لا تجنح إلى الإفراط أو التفريط ، ولا يبدو منها غلو ولا تطرف هذا ولقد تتابعت رسائل الامام حسن البنا رحمه الله لتربية الإخوان عقائديا وفكريا وسلوكيا فبجانب أركان البيعة السالفة الذكر نجد العديد من الوصايا والتوجيهات التربوية التى يتربى عليها الدعاة فمن ذلك :

أ ـ **الوصايا العشر** :[2]

وهى تعتبر ميزانا دقيقا يزن به المسلم سلوكه وهى :

١ ـ قم للصلاة متى سمعت النداء مهما تكن الظروف .
٢ ـ اتل القرآن أو طالع أو استمع أو اذكر الله ولا تصرف جزءا من وقتك فى غير فائدة .
٣ ـ اجتهد أن تتكلم العربية الفصحى فإن ذلك من شعائر الإسلام .
٤ ـ لا تكثر الجدل فى أى شأن من الشئون أيا كان فإن المراء لا يأتى بخير .
٥ ـ لا تكثر الضحك فإن القلب الموصول بالله ساكن وقور .
٦ ـ لا تهرج فإن الأمة المجاهدة لا تعرف إلا الجد .
٧ ـ لا ترفع صوتك أكثر مما يحتاج إليه السامع فإنه رعونة وإيذاء .
٨ ـ تجنب غيبة الأشخاص وتجريح الهيئات ولا تتكلم إلا بخير .
٩ ـ تعرف إلى من تلقى من إخوانك وإن لم يطلب إليك ذلك فإن أساس دعوتنا الحب والتعاون .
١٠ ـ الواجبات أكثر من الأوقات فعاون غيرك على الانتفاع بوقته وإن كان لك حاجة فأوجز فى قضائها .

---

(١) رسائل الإمام ص٢٧٥

(٢) الرسائل ص٢٧٦

ب ـ الموبقات العشر :

التى يجب أن ينأى عنها المسلم :

١ ـ الاستعمار .

٢ ـ الخلافات السياسية والمذهبية والشخصية .

٣ ـ الربا .

٤ ـ الشركات الأجنبية .

٥ ـ التقليد الغربى .

٦ ـ القوانين الوضعية .

٧ ـ الإلحاد والفوضى الفكرية .

٨ ـ الشهوات الإباحية .

٩ ـ فساد الخلق وإهمال الفضائل .

١٠ ـ ضعف القيادة وفقدان المناهج العلمية .

جـ ـ المنجيات العشر :

١ ـ الوحدة .

٢ ـ الحرية .

٣ ـ تنظيم الزكاة .

٤ ـ تشجيع المشروعات الوطنية .

٥ ـ احترام القومية .

٦ ـ العمل بالشرائع الإسلامية .

٧ ـ تثبيت العقائد الإيمانية

٨ ـ إقامة الحدود الإسلامية .

٩ ـ تقوية الفضائل الخلقية .

١٠ ـ اتباع السيرة المحمدية .

هذه هى الأصول التى نشأت عليها جماعة الإخوان المسلمين ولم تكن هذه فحسب بل إن الباحث فى التراث الفكرى من خلال المؤلفات والرسائل والصحف التى أصدرها الإخوان خلال مسيرة الدعوة تتضح له أبعاد هذه التربية العميقة ومما ساعد على تشربها فى القلوب وتأصلها فى النفوس وانتشار أمرها وذيوع صيتها ما يلى :

أولا : دروس ومحاضرات المركز العام بالقاهرة :

فلقد كان يلقى بالمركز العام دروس فى التصوف والتفسير للشيخ المرحوم طنطاوى الجوهرى . وتكوين الدعاة للأستاذ البنا وهو ما عرف بدرس الثلاثاء الذى كان تجمعا

إسلاميا رائدا ورائعا حيث يفد إليه الإخوان من ربوع مصر وقراها ليستمعوا إلى الإمام رحمه الله فيستولى على مشاعرهم بإخلاصه وبحسن حديثة وروعة إلقائه فتزداد معارفهم وتعارفهم ، ومازال حديث الثلاثاء رغم توقفه قبيل الرصاصات الغادرة له عظيم الأثر وأطيب الذكريات لمن استمع عنه ، ولقد كان المركز العام فى حقبتى الثلاثينيات والأربعينيات ملتقى رواد الحركة الإسلامية فى العالم العربى والإسلامى كما كان له دور رائد فى استنهاض الهمم وشحذ العزائم إبان حرب فلسطين عام (١٩٤٧ م) ومنه انطلقت دعوات الجهاد لاستخلاص فلسطين من شراذم اليهود وبداره انعقدت المؤتمرات وخرجت المظاهرات تهتف من أعماقها بالجهاد والاستشهاد . ومن المركز العام أيضا عقد الإمام البنا اللواء لكتائب الإخوان الذاهبين لفلسطين .

ثانيا : رحلات الإمام البنا :

من العوامل التى ساعدت على خلق جيل من الدعاة اتحدت قلوبهم وتوحدت كلمتهم وامتزجت مشاعرهم تلك الرحلات التى كان يقوم بها الإمام البنا رحمه الله فلقد كان يجوب البلاد مدنها وقراها من الاسكندرية حتى أسوان ومن بورسعيد إلى مرسى مطروح ولقد زار رحمه الله ما يقرب من ثلاثة آلاف قرية من مجموع قرى مصر حينذاك والبالغ أربعة آلاف قرية منذ بدء الدعوة فى الإسماعيلية عام (١٩٢٧ م) وحتى اغتياله عام (١٩٤٧م) وفى كل لقاء كان رحمه الله يلهب المشاعر ويستجيش العواطف ويحرك القلوب فتهتف الجموع .

الله أكبر ولله الحمـــــــــد
الله غايتنـــا والـرسول زعيمنـــا
والقرآن دستورنا والجهاد سبيلنا
والموت فى سبيل الله أسمى أمانينا
لا إله إلا الله محمد رسول الله
عليها نحيا وعليها نموت وفى سبيلها نجاهد
وعــــــليها نلقــــــــى الله

وما زالت هذه اللقاءات رغم تقادم الزمن وتوالى الخطوب لها أريج الذكريات

الطيبة وعبير الأثر الطيب ولقد كان رحمه الله ينفرد بعزيمة قوية تغلب بها على وعثاء السفر ، فلقد كان يسافر من القاهرة إلى المنيا بعد ظهر الخميس فيصلها فى الثامنة مساء ويغادرها نحو منتصف الليل إلى أدفو فيصلها صباحا وفى الظهر يسافر من أدفو إلى قنا فيصلها عند الغروب وفى نحو منتصف التاسعة مساء يسافر إلى نجع حمادى فيصلها صباحا وبعد الظهر يغادرها إلى جرجا ثم يغادرها نحو الساعة الحادية عشرة إلى القاهرة فيصلها صباح الأحد [1] وبهذا الأسلوب كان رحمه الله يسيطر على شُعب الإخوان سيطرة دقيقة ومنتظمة .

ثالثا : صحف الإخوان ورسائلهم :

من وسائل التربية الفكرية وتكوين الرأى العام المتفهم لدعوة الإخوان تلك الرسائل والمنشورات التى كانت تطبع فى رسائل صغيرة وتوزع على شعب الإخوان بجانب ما أصدر من صحف ومجلات إسلامية منها :

١ ـ مجلة الإخوان المسلمين :

صدرت عام (١٩٣٣ م) وهى أسبوعية واستمرت إلى (١٩٣٨م) ورأس تحريرها المرحوم الشيخ طنطاوى الجوهرى ومدير التحرير المرحوم الأستاذ محب الدين الخطيب وتعبر هذه المجلة عن المرحلة الأولى من مراحل الدعوة التى اتسمت بتوضيح الفكرة ووضع أسس التكوين والتربية وترقية العرف العام .

٢ ـ مجلة النذير :

صدرت عام (١٩٣٨م) وكان رئيس تحريرها الأستاذ صالح عشماوى وسكرتيرها الأستاذ محمد عبد الحميد وتمثل المرحله الثانية من مراحل دعوة الإخوان وهى مرحلة المواجهه لكل ما هو مخالف لمنهج القرآن واتخذ من اسم المجلة « النذير » تأكيدا لهذا المعنى واتسمت بتوجيه الرسائل إلى الملك والحكومة لتوضيح معالم المجتمع المسلم ولقد استمرت زهاء عام واحد إذ توقفت عام (١٩٣٩ م) لانشقاق صاحب الامتياز عن الإخوان المسلمين .

---

(١) الإخوان المسلمون د . إسحاق الحسينى ص ٥٩

٣ ـ مجلة التعارف عام (١٩٤٥ م واستمرت حتى عام ١٩٤٧ م) .
٤ ـ الإخوان المسلمون الثانية صدرت عام (١٩٤٧ إلى عام ١٩٤٨) .
٥ ـ جريدة الإخوان اليومية والتى ظهر العـدد الأول منها فى مايو عام (١٩٤٦م) ولكنها لم تعمر طويلا إذ تعرضت للمصادرة .
٦ ـ بجانب هذه الصحف السالفة الذكر فلقد استأجروا لفترة امتياز عدة صحف مثل التعارف والمنار والشهاب ، والطلبة . ثم صدرت الدعوة عام (١٩٥١م) وتوقفت عن الظهور إبان محنة الإخوان عام (١٩٥٤م) ثم صدرت عام (١٩٧٦م) واستمرت تؤدى رسالتها ولقد نجحت نجاحا كبيرا وغدت فى هذه الفترة من أوسع المجلات الإسلامية انتشارا فى مصر والعالم الإسلامى وعملت على نشر مبادىء الإخوان ونفى ما ألصق بهم خلال أعوام المحن ونشرت ما تعرضوا له فى غياهب السجون والمعتقلات مما خلق رأيا عاما إن لم يكن منهم فهو متعاطف ومتأثر بما نزل بهم .

ونظرا لأهمية دور الصحافة فلقد أسس الإخوان فى حقبة الأربعينيات عدة شركات مساهمة وهى :

١ ـ شركة الإخوان للطباعة .
٢ ـ شركة الإخوان للصحافة .
٣ ـ شركة الاعلانات العربية .

غير أن هذه الشركات لم يكتب لها البقاء فتعرضت للغلق والمصادرة عام (١٩٤٨ م) .

من خلال العرض السابق تتضح أسس التربية الفكرية ووسائلها ومدى التوافق والتنسيق فى التربية والإعداد والتكوين ومن خلال البحث يرى تفرد الإخوان بهذا المنهج التربوى ولقد استكمل بالتربية العملية والسلوكية التالية :

أولا : التربية العملية :

إن من عوامل نجاح الدعوة والدعاة أن يقترن المنهج الفكرى بالتطبيق العملى وأن يكون سلوك المسلم فى الحياة صورة صادقة لما اعتقده وما تألق الإسلام والمسلمون إبان عهد النبوة وخلال الخلافة الراشدة إلا حينما طبق فى كل جوانب الحياة فالإيمان

« ما وقر فى القلب وصدقه العمل » ولقد شهدت مسيرة الدعوة خلال القرن الرابع عشر الهجرى الكثير من المقترحات والمشروعات الضخمة فكم من لجان شكلت ومؤتمرات انعقدت وتوصيات اتخذت وقرارات تلو قرارات ، غير أن هذا كله لم يكن ذابال ولم يحقق الفائدة المرجوة والأمل المطلوب إذ لم يكن له فى الحياة تطبيق ولم يترك فى سلوك الناس من أثر ولقد بذلت الجمعيات الإسلامية الجهد المحمود لتربية أفرادها وكان لكل جماعة أثر طيب فى سلوك أعضائها كما سبق ، إلا أن الإخوان المسلمين انفردوا بمنهج معين فى التربية ونمط خاص فى الإعداد والتكوين فبجانب التربية الفكرية المذكورة آنفا نجدهم بذلوا فى التربية السلوكية غاية جهدهم وبلغوا فى هذا شأنا جديرا بالدراسة حريا بالبحث واتضحت معالم هذه التربية منذ فجر الدعوة فى الإسماعيلية وما تلا ذلك عبر مسيرة الجماعة واتجهت بالتربية السلوكية فى عدة ميادين منها :

١ ـ مجال التعليم :

اتجه الإمام حسن البنا بالدعوة منذ إبان عهدها الأول إلى التربية والتعليم من المنطلق الإسلامى فأنشأ معهدى حراء وأمهات المؤمنين ، ومع تطور الدعوة خلال حقبة الثلاثينيات والأربعينيات قاموا بإنشاء المدارس التالية (١) :

أ ـ عدة مدارس لمحو الأمية وتنمية الثقافة الدينية بالمجان .

ب ـ مكاتب لتحفيظ القرآن الكريم نهارا .

جـ ـ مدارس ليلية لتعليم العمال والفلاحين .

د ـ أقسام خاصة للراسبين فى الامتحانات العامة .

هـ ـ شعب لتعليم الغلمان الذين حرموا من التعليم لاشتغالهم بالصناعات .

و ـ مدارس أمهات المؤمنين لتعليم البنات .

ز ـ دور للصناعات ملحقة بالمعاهد يتعلم فيها الذين لا يستطيعون إتمام التعليم .

---

(١) الإخوان المسلمون والمجتمع المصرى محمد شوقى ص١٨٦

ولقد أحصى الأستاذ محمد شوقى فى رسالته « الإخوان المسلمون والمجتمع المصرى » ما يقرب من إحدى وثلاثين مدرسة ومعهدا فى القاهرة والجيزة فقط .

٢ ـ الكشافة والجوالة :

الكشافة والجوالة نظامان قصد منهما تعميق فكرة الجهاد وكان هذا النظام النواة الأولى للجناح العسكرى فى حركة الإخوان ومن أهم أسباب نشأته :

أن الانجليز سيطروا على الجيش المصرى ومنعوا تطويره وتوجسوا خيفة من كل نظام يؤدى إلى القوة وحينما قامت الأحزاب السياسية بتكوين جماعات شبه عسكرية كجماعة القمصان الزرقاء للوفد ، وجماعة القمصان الخضراء لمصر الفتاة أصدرت الحكومة أوامرها بحل هذه الأجنحة العسكرية فى الأحزاب ولم يكن مسموحا بأى نشاط للشباب تشم منه رائحة الفتوة والشهامة سوى جمعية الكشافة وكان كبار الشباب يسمون الجوالة ولقد أنشأ الإمام البنا عام (١٩٣٨ م) فريقا سماه فريق الرحلات ولقد انضم رسميا إلى جمعية الكشافة الأهلية عام (١٩٤٠ م) وفى عام ١٩٤٩ م بدأ تشكيل عام للحركة الكشفية فى محيط الإخوان وبلغ تعداد المنضمين لهذا النظام قرابة الخمسة والأربعين ألفا عام (١٩٤٥ م) واستهدفوا من هذا النظام احتواء الشباب المسلم وتربيته بين ظلال الإسلام وهدى القرآن وتوجيهات الرسول ﷺ منذ نعومة أظفاره ولذلك حددوا الأهداف التالية[1] :

١ ـ تجديد نشاط الفكر والجسم بتنويع العمل وصقل حواس الإنسان وكسب العلم عن طريق الرحلات والمشاهدات .

٢ ـ خدمة البيئة وتقوية أواصر المودة .

٣ ـ محاربة الضعف والخنوثة وبعث العزة والرجولة فى كل شاب مسلم .

٤ ـ إعداد مجموعة من القادة يكونون نواة لقيادة وتدريب الشباب .

٥ ـ أن يصبغ المسلم بصبغة الإسلام .

ولكى ينتشر هذا الأسلوب من التربية العملية شكلت فى الشعب مجموعات كل منها عشرة أفراد وسمح بانضمام خمسة أفراد لكل مجموعة كل شهرين .

---

(١) الشيخ حسن البنا ومدرسته د . رءوف شلبى ص٣٣٧

ولإذكاء روح العاطفة الإسلامية الجياشة كان فتيان الكشافة والجوالة ينشدون نشيدها وهو من تأليف فضيلة الشيخ أحمد حسن الباقورى عضو مكتب الإرشاد العام وكلمات هذا النشيد هى [١] .

يا رسول الله هل يرضيك أنّا إخوة فى الله للإسلام قمنـا
ننفض اليوم غبار النوم عنـا لا نهاب الموت بـل نتمنـى
أن يرانا الله فى ساح الفدا
إن نفسا ترتضى الإسلام دينا ثم ترضى بعده أن تستكينـا
أو ترى الإسلام فى أرض مهينا ثم تهوى العيش نفس لن تكونا
فى عداد المسلمين العظما
آن للدنيـا بنـا أن تطهـرا نحن أسد الله لا أسد الثرى
قد قطعنـا العهـد ألا نـقبرا أو نرى القرآن دستور الورى

ولقد أدت الجوالة والكشافة خدمات جليلة للمجتمع المصرى ذكرها الأستاذ محمد شوقى فى رسالته : « الإخوان والمجتمع المصرى » .

٣ ـ **الكتائب :**

وهو نظام أعد للتكوين الفردى المركزى والتربية العملية العميقة ويوكل إلى أفرادها بعد صقلهم مهام القيادة والتوجيه والإعداد . وتكون كل كتيبة من أربعين فردا وتتسمى بأسماء إسلامية خاصة الرعيل الأول من الصحابة وأبطال الإسلام وتعد وتربى على الكيفية التالية :

١ ـ تقضى الكتيبة ليلة فى الأسبوع فى المركز العام ويبيت معهم الأستاذ المرشد .
٢ ـ يصلون مع المرشد المغرب والعشاء .
٣ ـ يتناولون طعام العشاء طعاما رمزيا .
٤ ـ يتذاكرون معا ويتسامرون .

---

(١) الإخوان المسلمون أحداث .... التاريخ جـ١ ص١٦٥

٥ – بعد صلاة العشاء بوقت قصير ينامون على الأرض فى حجرة واحدة وينام معهم المرشد على هذه الهيئة .
٦ – يستيقظون قبل الفجر بساعتين ويتوضئون ويتهجدون بعض ركعات فرادى .
٧ – تلاوة نحو جزء من القرآن الكريم .
٨ – الاستماع إلى درس من الأستاذ المرشد فى التكوين النفسى والروحى والعلمى للداعية مع عرض لتاريخ الدعوات .
٩ – تخصيص قبيل الفجر للاستغفار .
١٠ – أذان الفجر ثم الصلاة خلف المرشد العام .
١١ – توزيع الورد القرآنى على أعضاء الكتيبة وقيام الإمام بتفسيره تمهيدا لحفظه ، وهذا الورد يجمع الآيات فى موضوع واحد وهدف مشترك .. فورد للإيمان وورد للأمل ، وورد للجهاد وورد لـ ......الخ .
١٢ – إذا طلعت الشمس قرأ الجميع فى صوت خافض الوظيفة ، وهى أدعية من القرآن الكريم ومن السنة المطهرة كان يدعو بها النبى ﷺ حينما يصبح .
١٣ – إفطار بسيط ثم يتجه كل إلى عمله (١) .

ومن الوسائل التى اتبعت فى إعداد جيل مسلم المعسكرات الإسلامية التى كانت تقام بين الفينة والفينة والمؤتمرات التى تعقد وتضم الآلاف من الإخوان ، هذا بجانب المتابعة المستمرة وتوزيع جدول المحاسبة على الأعضاء ليحاسبوا أنفسهم أولا بأول وهذه التربية كما تتضح لم تكن مقصورة على دور العبادة كما يحدث الآن و لم تستأثر بها فئة من الفئات بل انتقلوا بالدعوة إلى عدة ميادين ، وحينما أبسط البحث فى هذا المجال إنما أهدف إلى وضع هذا النمط من التربية والإعداد أمام المعنيين بأمر الدعوة والدعاة ؛ إذ إن الدراسات فى أقسام الدعوة مازالت كما كان العهد بها رغم تطور وسائل الاعلام تطورا خطيرا ، حيث أحكمت سَيطرتها على عقل المجتمع وعواطفه وأصبحت توجهه كما تريد ، ويلاحظ أن وسائل الإعلام انتزعت من الدعاة الإسلاميين

---

(١) الإخوان المسلمون رؤية من الداخل جـ١ ص١٥١ محمود عبدالحليم .

زمام القيادة والريادة ودفعت بهم بعيدا وحالت بينهم وبين العناصر المؤثرة فى الأمة ولم يبق للكثير من الدعاة سوى المسجد والمنبر وهما على خطورتهما وعلوّ شأنهما وقوة تأثيرهما لم يصمدا أمام وسائل الإعلام الحديثة ؛ لأن بعض الدعاة يؤدون ماكلفوا به على أنه وظيفه لا رسالة . وغدا الكثير من المسلمين يؤدون شعائر الإسلام على أنها عادة لا عبادة هذا ولقد فطن الإخوان المسلمون لهذا مبكرا فأنشئوا بالمركز العام أقساما متعددة كل قسم يخطط وينفذ ويتابع ويخاطب كل فئة من مفهوم فكرها من خلال رؤية إسلامية صادقة ، وحدد قانون الإخوان مهام هذه الأقسام تحديدا دقيقا ومنها مايلى :

أولا: قسم نشر الدعوة :

تحدد المادة (٥٨) الغرض من إنشاء هذا القسم وهو تنظيم الدعاية لدعوة الإخوان تنظيما فنيا ، ونشر الدعوة بكل الوسائل التى لا تتنافى مع روح الإسلام ومن ذلك :

١ ــ إعداد الدعاة للخطابة والمحاضرات والكتائب على ألا يسمح لهؤلاء بأن يخطبوا فى المحافل العامة إلا بعد التأكد من صلاحيتهم .

٢ ــ إصدار ما تحتاج إليه الدعوة من وسائل ونشرات علمية وثقافية ورياضية .

٣ ــ تنظيم إصدار الرسائل والكتب التى يصدرها الإخوان ولها مساس بالدعوة بحيث لا تطبع رسالة إلا بعد عرضها على القسم وإقرار نشرها .

المادة (٥٩):تنشأ فى دائرة كل مكتب إدارى مدرسة للدعاة ويقوم قسم نشر الدعوة بوضع برنامج موحد لهذه الدراسة .

ثانيا : قسم العمال :

المادة (٦٣) توضح عمل هذا القسم وأهدافه الآتية :

١ ــ تنظيم نشر الدعوة فى محيط العمال وإيجاد جو إسلامى فى المصانع والشركات والنقابات العامة .

٢ ــ توجيه العمال إلى الاستفادة من النقابات والنشاط العمالى وإلى ما يحفظ حقوقهم .

٣ ــ تنظيم التعاون بين العمال والقيام على حاجاتهم ومطالبهم .

٤ ـ دراسة مشاكل العمال وإيجاد الوسائل الصالحة لحلها والعمل على التقريب بين العمال وأرباب العمل .

٥ ـ دراسة نظم العمل ومحاولة تصحيحها وردها إلى أصل إسلامى .

٦ ـ تثقيف العمال ثقافه إسلامية وتوجيههم إلى ما يرفع مستواهم التعليمى والخلقى والاجتماعى والصحى ، ولقد بدأ اهتمام المرحوم حسن البنا بالعمال منذ أن وطئت قدماه الإسماعيلية .

فأنشأ شعبة فى شركة جباسات البلاح وأسس بها مسجدا عهد بالإمامة والخطابة فيه إلى المرحوم الشيخ محمد فرغلى .

ثالثا: قسم الفلاحين :

هذا القسم يقوم بنفس ما يقوم به قسم العمال ونظم العمل به المواد (٦٦ و٦٧ و٧٨) من قانون الإخوان المسلمين .

رابعا: قسم المهن :

يقوم هذا القسم بالدعوة بين أرباب المهن المختلفة لتحقيق الأهداف التالية التى توضحها المادة (٧٨) .

١ ـ نشر الدعوة فى محيط أصحاب المهن وإيجاد جو إسلامى عام فى بيئاتهم .

٢ ـ حصر الإخوان فى كل مهنة والعمل على الاستفادة من المهنة بالنسبة للدعوة والأفراد من الإخوان .

٣ ـ الاستفادة من النقابات المهنية المختلفة والعمل على إيجاد جو إسلامى فيهم .

٤ ـ إعداد المناهج المختلفة فى شتى النواحى على أساس من الإسلام ، والعمل على تنفيذها بواسطة أصحاب المهن .

٥ ـ توجيه الحركات الإصلاحية فى العالم الإسلامى وصبغها بالصبغة الإسلامية .

خامسا : قسم الأخوات المسلمات :

أولت جماعة الإخوان المرأة عناية لا تقل عن عنايتها بالرجل بينما نجد معظم الجمعيات تناولت قضية المرأة من ناحية السفور والتبرج والاختلاط ووقفت منها موقف المهاجم فقط دون أن تتجه إلى التعليم والتربية وتثقيفها الثقافة الإسلامية التى

توضح مالها من حقوق وما عليها من واجبات ، ولقد فطن الإخوان إلى مدى خطورة تسلل الفكر الغربي إلى عقل المرأة وتجسم هذا فى محاولات التبشير والتنصير لبعض الفتيات المسلمات فى المنزلة عام (١٣٥١ هـ) التى قامت بها مدرسة السلام البروتستانتية فما كان من شعبة الإخوان فى هذه البلدة إلا أن أنشأت مشغلا للفتيات بجانب مدرسة التبشير ، وقبل هذا أسس الإمام حسن البنا معهد أمهات المؤمنين فى الإسماعيلية ، ووضع له منهجا إسلاميا يجمع بين أدب الإسلام وتوجيهه السامى للبنات والأمهات وبين مقتضيات العصر ومطالبه من العلوم النظرية والعملية (١) .

وفى عام (١٩٣٢م) تكونت أول لجنة للأخوات المسلمات بمدينة الإسماعيلية ، ووضع حسن البنا لائحتها ، واستمر نشاط الأخوات المسلمات حتى عام (١٩٤٤م) حيث تكونت لجنة تنفيذية واتخذت لها مقرا بالقاهرة ، ثم انتشر هذا القسم واتسع نشاطه حتى وصلت السيدات عام (١٩٤٨م) إلى خمسة واربعين ألف سيدة وفتاة ضمتهم ما يقرب من خمسين شعبة .

ولقد نيط بهذا القسم تحقيق الأهداف التالية(٢) :

١ ـ بعث الروح الدينية ونشر التعاليم الكفيلة بتكوين شخصيات من النساء مهذبات يستطعن الاضطلاع بما يناط بهن من أعمال وواجبات .
٢ ـ التعريف بالفضائل والآداب المزكية للنفس والموجهة للخير والكمال ، وتعريفها بما لها من حقوق وما عليها من واجبات .
٣ ـ إرشادهن إلى طرق التربية الإسلامية الصحيحة النافعة التى تضمن لأبنائهن النمو الجسمى والعقلى السليم والإسلامى .
٤ ـ العمل على صبغ البيت بالصبغة الإسلامية وبث تعاليم القرآن والسنة المطهرة وسيرة أمهات المؤمنين وفضليات النساء ممن حفل بهن التاريخ الإسلامى .
٥ ـ محاربة البدع والخرافات والأباطيل والترهات والأفكار الخاطئة والعادات السيئة التى تنتشر وتروج بينهن .

---

(١) مذكرات الدعوة والداعية ـ حسن البنا ص١٠٤

(٢) الإخوان المسلمون والمجتمع المصرى:الأستاذ محمد شوق زكى صفحة ٢٠٠

٦ ــ نشر الثقافة العامة والمعارف التى تنير عقولهن وتوسع مداركهن .
٧ ــ الاهتمام بالشئون المنزلية لتجعل من البيت مكانا سعيدا يضم أسرة هانئة على أساس فاضل سليم .
٨ ــ الإسهام فى المشروعات الاجتماعية النافعة بالقدر الذى يتناسب مع ظروفهن وجهدهن وفى محيطهن .

ولقد مارست جمعية الأخوات المسلمات أنشطتها فى الميادين التالية :

أ ــ عمل زى إسلامى للسيدات :

ولقد نجحن فى هذا رغم الصعوبة التى واجهتهن فى حقبة الأربعينيات حينما طغت موجات التبرج والاختلاط وخروج المرأة من حصنها عقب الحربين العالميتين الأولى والثانية كثمرة مرة من ثمرات الدعوة إلى تحرير المرأة فضلا عن غياب المرأة المسلمة عن ساحة التعليم الدينى فى الأزهر الشريف ولم يمد الأزهر يده للفتاة المسلمة خلال هذه الفترة ومن ثم تلقفتها ذئاب البشر من كتاب الجنس وأدباء التحلل وأجهزة الإعلام المرئية والمسموعة مما أفقد المرأة المسلمة شخصيتها وأعجزها عن تربية جيل مسلم ، بل كان نتاج المرأة خلال هذا الجيل أبناء استنعموا الحياة ورضوا بالهوان ولم يصمدوا فى ميادين الحياة مما جعل موجات المد الإسلامى تنحسر أمام ضربات الصهيونية العالمية والاستعمار الشرقى والغربى ورغم هذا كله فإن حقبة السبعينيات والثمانينيات شهدت عودة الفتاة المسلمة للإسلام فى صورة الحجاب الإسلامى لاسيما بين طالبات الجامعات رغم حملات الإعلام المسموعة ضد الزى الإسلامى فإن ما يرى من هذه الظاهرة الإسلامية لهو أثر طيب من آثار التربية الإسلامية فى قسم الأخوات المسلمات .

ب ــ التربية الدينية والثقافية للسيدات :

وذلك بإقامة دروس عامة فى كل حى من الأحياء يحاضر فيها الوعاظ أو أخ من الإخوان ولكى تتم الفائدة قسمت السيدات إلى مجموعات متقاربة فى السن والثقافة وأطلق عليهن الأسرة المسلمة ولقد سارت على منهج الأسرة فى المركز العام .

جـ ـ إنشاء دار التربية الإسلامية للفتاة :

وهدفها تربية الفتاة المسلمة تربية صحيحة .

د ـ نشر الثقافة الصحية :

قام المركز العام بالقاء محاضرات علمية وعملية فى وسائل الإسعافات المنزلية كتنظيف الجروح والحروق وتضميدها وتعليم المس وإعطاء الحقن .

هـ ـ إنشاء مدرسة للداعيات :

يخترن من بين صفوف الأخوات المسلمات ليقمن بالوعظ والتدريس للسيدات ولقد افتتحت بالاسكندرية مدرسة للداعيات كان نواتها خمس عشرة أختا من الإخوات المثقفات .

و ـ الدعاية للفكرة الإسلامية فى المحيط النسائى .

سادسا : قسم الطلبة :

امتد نشاط الإخوان المسلمين إلى الطلاب باعتبارهم أمل الغد ورجال المستقبل ولقد بدأ هذا الاهتمام مبكرا منذ فجر الدعوة ولقد حدد قانون الإخوان أغراض قسم الطلبة فى المادة السبعين كما يلى :

١ ـ نشر الدعوة الإسلامية فى محيط الطلاب وإيجاد جو اسلامى بصفة عامة فى المعاهد الدراسية .

٢ ـ تقديم الثقافة الإسلامية المناسبة للطلاب على اختلاف معاهدهم وأعمارهم .

٣ ـ القيام على حاجات الإخوان الطلاب وتنظيم التعاون المدروس بينهم .

٤ ـ تنظيم الاستفادة من الطلبة فى العطلة الصيفية .

٥ ـ توجيه الطلاب إلى الاستفادة من النشاط المدرسى ولقد نجح هذا الأسلوب فى تربية أجيال من الطلبة تفهموا الفكر الإسلامى إلا أن قلة نادرة جنحت بفكرها عن جادة الصواب نظرا للضغوط المستمرة على الدعوة والدعاة وفقدان المثالية ، مما أدى إلى ظهور الأفكار المتطرفة مما سأتناوله بالبحث والدراسة فى الباب الثالث إن شاء الله .

سابعا : قسم الاتصال بالعالم الإسلامى :

بينما نجد بعض الجمعيات لا يتجاوز نشاطها الحى الذى تقطن فيه أو إذا اتسع نشاطها يمتد إلى بعض المحافظات فى مصر باستثناء الجمعية الشرعية فإننا نجد الإخوان المسلمين يعبر نشاطها إلى العالم الإسلامى بل تشارك فى القضايا الإسلامية ، كحرب فلسطين ومؤازرة اليمن على الإمام يحيى عام (١٩٤٨م) كما سيأتى عن آثارها ومن ثم أنشأت قسم الاتصال بالعالم الإسلامى وتحدد المادة الثالثة والسبعون أغراض هذا القسم فيما يلى :

١ ـ العمل على ربط الأقطار الإسلامية بعضها ببعض وتوحيد السياسة العامة لها بتوحيد مناهج الثقافة الإسلامية وتوحيد القوانين والتشريعات ورفع الحواجز الجمركية وتسهيل إجراءات الوصول والإقامة فى هذه الأقطار .

٢ ـ تحرير الأوطان الإسلامية من كل سلطان أجنبى .

٣ ـ إقامة حكومات إسلامية دينا ودولة فى كل هذه البلاد وتكوين وحدة سياسية إسلامية ولقد أنشىء فى هذا القسم لجان تقوم على أوجه النشاط المختلفة التى تحددها المادة الرابعة والسبعون وهى :

لجنة الشرق الأدنى :

وتضم البلاد العربية وباقى الشعوب الإسلامية فى أفريقيا كما تضم تركيا وإيران .

لجنة الشرق الأقصى :

أفغانستان ـ تركستان ـ الصين ـ الهند ـ إندونسيا ـ اليابان .

لجنة الإسلام فى أوربا :

المادة (٧٥) يدرس القسم قضايا العالم الإسلامى ويعد لكل قضية ملفا خاصا كما يعد لكل قطر ملفا خاصا يشتمل على كل ماتهم معرفته عن هذا القطر مما يتصل بأغراض هذا القسم .

وإن الباحث يقارن بين قسم الاتصال بالعالم الإسلامى وبين إدراة البعوث بالأزهر الشريف ليجد البون شاسعا . فالأهداف تتباين والوسائل تختلف فإن الجمع الغفير من مبعوثى الأزهر يوفدون إلى بلدان لايعرفون عن عاداتها وقضاياها السياسية

والاجتماعية شيئا بل ولا حتى موقعها الجغرافى ولا تقام دراسات للمبعوثين للتعريف بتلك البدان . وبهذا تقل الفائدة وينحصر النفع فى حدود مايعود به المبعوث من كسب مادى أما التأثير فى مجالات الدعوة الإسلامية فهذا جهد ذاتى لمن لديه القدرة والاستعداد والتأثير وبجانب هذه الأقسام توجد أقسام أخرى منها:

١ – قسم الصحافة والترجمة .
٢ – قسم التربية البدنية .
٣ – لجان الزكاة والحج .

وهكذا يتضح من خلال هذا المبحث « الرابع » وسائل التربية الفكرية وأساليب الإعداد الجيد والتنظيم الدقيق والاستيعاب الشامل . وانضباطها من خلال الفكر الإسلامى المعتدل الذى يمثل الفطرة النقية التى عمل الإخوان من خلال التربية العلمية على إيقاظها فى وجدان المسلمين وهى أيضا لم تركز على قضية واحدة من قضايا الفكر الإسلامى ولم تعالج أمرا محددا كبعض الجامعات ولكن كانت رؤيتها للنهضة الإسلامية أعم وأوسع فشملت ميادين كثيرة اتضح بعضها من خلال هذا المبحث كما أن أسلوبها الفكرى والعملى قد اختط منهجا وسطا يمسك بالأجنحة المتصارعة فى الجماعات الإسلامية لاسيما من أنصار التصوف وخصومه وكانت كلمات المرحوم حسن البنا :

« نجتمع فيما اتفقنا عليه ويعذر كل منا الآخر فيما اختلف فيه » .

معياراً لعلاقة الاخوان بين الاتجاهات الإسلامية المتباينة وهذا الفكر ثمرة من ثمرات الإعداد الفكرى والعملى السابق الإشارة إليه .

ولعله يكون قد حان الوقت لتوضع مثل هذه الأساليب ضمن مناهج الدراسة فى أقسام الدعوة ليمكن بتوفيق الله إعداد جيل من الدعاة ينظر إلى الدعوة رسالة لا وظيفة وعبادة لا عادة وتشريف لا تكليف وإنه لمن الواجب على الهيئات المهتمة بشأن الدعوة لاسيما الأزهر الشريف أن يضع التجربة الإخوانية فى مجال التربية الفكرية والتطبيق العملى موضع الدراسة والتقويم ولا يكون هناك حرج فى استقاء المناهج والأسلوب من هذه الجمعية أو تلك مادام المقصد النهوض بالدعوة والدعاة

خاصة فى هذا العصر الذى يواجه الإسلام فيه التحدى من قوى الشرق والغرب ومن بعض أبنائه الذين تمردوا عليه وولوا وجوههم بعيدا عنه ، وحينما يستفاد من تلك التجارب والأخذ بالمحاسن وترك السلبيات – إن وجدت – فإن هذا بلا شك سيؤدى بالدعوة إلى أن تتعمق فى القلوب وتهفو إليها الأفئدة ويتدارك المسلمون مافاتهم من خير كثير فى غيبة الدعاة الصادقين ، وياحبذا لو كانت كليات الدعوة هى الرائدة فى هذا المضمار والمتنافسة فى تعميق تلك الأساليب التربوية والعملية للدعاة من أبنائها ولعل هذا – إن شاء الله – قريب وماذلك على الله ببعيد .

المبحث الخامس

أثر الإخوان المسلمين فى الدعوة الإسلامية

تركت دعوة الإخوان عبر تاريخها الممتد زهاء أربعة وخمسين عاما دلائل واضحة وعلامات بارزة ليس من الإنصاف تجاهلها أو إغماضها ، فلقد كان عطاؤها كبيرا وجهادها وتجاربها كثيرة وتحملت فى سبيل الدعوة مالم تتحمله جمعية دينية أو هيئة إسلامية وخلفت آثاراً إيجابية على مسيرة الدعوة مازالت تجنى ثمارها حتى الآن .

ويمكن إيجاز أثر الإخوان فى الدعوة الإسلامية فيما يلى :

١ ـ تكوين جيل من الدعاة :

آمن بالفكرة الإسلامية إيمانا صادقا ملك عليه عقله وقلبه فانطلق يدعو إلى الإسلام لا من خلال دائرة ضيقة أو معالجة لبعض القضايا ، ولم يؤثروا السلامة فى بحث أمور قتلت بحثا عبر مسيرة الفكر الإسلامى ، ولقد استطاع الرعيل الأول الذى تربى فى مدرسة الإمام البنا أن يصوغ الفكر الإسلامى صياغة تجمع بين السلفية ولغة العصر وأعطوا تصورا علميا للمجتمع المسلم فى الوقت الذى كانت بعض الجمعيات الإسلامية تفرغ جهدها فى الخلافيات وتمعن فى الجدل انتصارا لرأى تراه لا لحق تصل إليه ونجد أيضا الكتابات الإسلامية فى مطلع القرن الرابع عشر الهجرى محدودة ، والكتاب الإسلاميين يعدون على أصابع اليد فضلا على انكباب بعض علماء الأزهر على تراث السلف شرحا وتعليقا وحاشية دون أن يمتد هذا الجهد إلى معالجة القضايا الإسلامية السياسية والاقتصادية والاجتماعية التى طرقت أبواب الأزهر فوجدت باب الاجتهاد موصدا فولت وجهها شطر مدرسة العلمنة والتغريب وآراء المستشرقين

والملحدين فزيفوا الحق وزينوا الباطل فكان من أمر الدعوة ماكان من بعد عن واقع الحياة وحصرها فى كلمات تقال من كتاب مسجوع أو خطب مدونة تدور فى فلك الوعد والوعيد فحسب ، وسط هذا المناخ المضطرب برز الإخوان المسلمون إلى ساحة الدعوة فأعطت للفكر الإسلامى تراثا جليلا تناول الكثير من القضايا الإسلامية يلاحظ هذا من خلال كتاباتهم ومؤلفاتهم التى أثروا بها المكتبة الإسلامية وتربى عليها عقل القارىء المسلم وفيما يلى عناوين تلك القضايا والكتابات وكتابها :

أولا : القرآن وعلومه :

١ - فى ظلال القرآن للأستاذ سيد قطب .
٢ - مشاهد القيامة فى القرآن .
٣ - التصوير الفنى فى القرآن . للأستاذ سيد قطب .
٤ - تاريخ القرآن وآداب التلاوة . أحمد لطفى عبدالبديع .
٥ - القرآن والعلوم الحديثة . أحمد كامل حنو .
٦ - القرآن والذرة . د / محمود حامد .

ثانيا : السنة والسيرة النبوية :

١ - فهرس الجامع الصحيح .
٢ - فهرس الأحاديث المرفوعة .
٣ - فهرس الأحاديث المعلقة .
٤ - فهرس الآثار .
٥ - تسعة الآف حديث .
هذه المؤلفات للأستاذ رضوان محمد رضوان .
٦ - فقه السيرة للشيخ محمد الغزالى .

ثالثا : العقيـــدة :

١ - عقيدة المسلم للشيخ محمد الغزالى .
٢ - وحى العقيدة أحمد عبد الجليل .
٣ - إسلامنا للشيخ سيد سابق .

رابعا : **الفقه :**

١ ــ فقه السنة للشيخ سيد سابق .

٢ ــ ١٦٠٠٠ فتوى صحابي وتابعي « الأستاذ رضوان محمد رضوان » .

خامسا : **القانون والاقتصاد والقضايا الاجتماعية :**

١ ــ التشريع الجنائي في الإسلام الأستاذ عبد القادر عودة .

٢ ــ الإسلام وأوضاعنا القانونية الأستاذ عبد القادر عودة .

٣ ــ المال والحكم في الإسلام الأستاذ عبد القادر عودة .

٤ ــ الإسلام والأوضاع الاقتصادية للشيخ محمد الغزالي .

٥ ــ الإسلام والمناهج الاشتراكية للشيخ محمد الغزالي .

٦ ــ العدالة الاجتماعية في الإسلام للأستاذ سيد قطب .

٧ ــ الإسلام لا شيوعية ولا رأسمالية للأستاذ البهي الخولي .

٨ ــ الإسلام يحارب الفقر محمد فتحي عثمان .

٩ ــ الشيوعية والإسلام عمر هندى .

١٠ ــ المرأة بين البيت والمجتمع للأستاذ البهي الخولي .

سادسا : **تكوين الدعوة والدعاة :**

١ ــ رسائل الإمام حسن البنا .

٢ ــ تذكرة الدعاة للبهي الخولي .

٣ ــ كيف ندعو الناس عبد البديع صقر .

٤ ــ مع الله دراسات في الدعوة والدعاة للشيخ محمد الغزالي .

٥ ــ أثر الدعوة الإسلامية في الصحافة والأدب أنور الجندى .

وبجانب هذه المؤلفات العديدة نجد العديد من الصحف والمجلات التي كانت تفيض بالمقالات العديدة والآراء السديدة وتنمية الشعور الديني وإذكاء الحماس والغيرة على الإسلام .

ــ الآثار الاقتصادية :

غدا الاقتصاد المصرى خلال القرن الرابع عشر الهجرى خاضعا للاحتكارات

الأجنبية وأصبحت مصر سوقا رائجة لمصنوعات إنجلترا وخضع المصريون لنظام الإقطاع والتفاتيش حيث يعيش العامل والفلاح على الكفاف يعصف بهما الفقر والجهل والمرض ، واستشرى رأس المال الأجنبي تحت مظلة الامتيازات الأجنبية وبهذا ارتبط الاقتصاد المصرى بالنظام المالى العالمى الربوى الذى لم يلق مقاومة تذكر من علماء الإسلام . هذا ولقد فطن الاخوان المسلمون لذلك فنص قانونهم فى المادة (١٥٦) على [١] : « تنمية الثروة القومية وحمايتها وتحريرها » .

كما تنص واجبات الأخ على أن يزاول عملا اقتصاديا مهما كان غنيا وأن يقدم على العمل الحر مهما كان ضئيلا « وأن تخدم الثروة الإسلامية العامة بتشجيع الصناعات والمنشآت الاقتصادية الإسلامية ولا تأكل إلا من صنع وطنك الإسلامى » [٢]

ولقد أثمرت هذه التربية الآثار الاقتصادية التالية : [٣]

١) شركة المعاملات الإسلامية :
أسست عام (١٩٣٩ م) وقامت بإنشاء خطوط نقل وأنشأت مصنعا كبيرا للنحاس ينتج وابور الغاز .

٢) الشركة العربية للمناجم والمحاجر :
أسست عام (١٩٤٧ م) .

٣) شركة الإخوان المسلمين للغزل والنسيج :
وكانت تنتج الأقمشة القطنية والشعبية .

٤) شركة المطبعة الإسلامية والجريدة اليومية .

٥) شركة التجارة والأشكال الهندسية بالإسكندرية .

٦) شركة التوكيلات التجارية .

٧) شركة الإعلانات العربية .

---

(١) الإخوان المسلمون والمجتمع المصرى محمد شوق زكى ص٢٠٨

(٢) المادة (١٥٦) من قانون الإخوان المسلمين .

(٣) الإخوان المسلمون و المجتمع المصرى ص٢١٠ محمد شوق زكى .

وهذه الشركات التى برزت فى فترة وجيزة استطاعت أن تنافس الشركات الأجنبية وأن تصبغ الاقتصاد المصرى بصبغة إسلامية بعيدة عن الربا والاستغلال غير أن حل الإخوان عام (١٩٤٨م) واستيلاء الحكومة على هذه الشركات ومصادرة ممتلكاتها حال دون استمرار البناء الاقتصادى الإسلامى ولعل ما يرى الآن على الساحة الاقتصادية من البنوك الإسلامية لهو ثمرة من آثار فكر الإخوان الاقتصادى .

ثالثا : أثر الإخوان فى الدعوة إلى الجهاد :

حينما سقطت مصر والعالم الإسلامى فى براثن الاستعمار ومزقت الديار الإسلامية شر ممزق بسبب سريان الضعف والهوان فى كيان الأمة الإسلامية فأغمضت الحكومات والشعوب أجفانها وغطت فى نوم عميق وسيطر الاستعمار وعملاؤه فخبت روح الجهاد وانطفأ حماس المسلمين الذى كان يتوقد حمية وشوقا حينما يعلن خليفة المسلمين الجهاد فى سبيل الله وغدت الانتفاضات ضد الاستعمار تصطبغ بصبغة القومية أو الوطنية أو الدفاع عن تراب الأرض وسيطرت الروح العلمانية على الأحزاب المصرية باستثناء الحزب الوطنى إبان حياة الزعيم مصطفى كامل ، وحزب مصر الفتاة ومن ثم صمت صوت الجهاد فى سبيل الله وضنت الأمة بحياة ودماء أبنائها دفاعا عن دين الله وما سقط خلال الانتفاضات الشعبية كان تحت رايات الحزبية الوطنية .

وحينما ظهر الإخوان المسلمون وتبلورت أهدافهم أيقظوا فى الأمة روح الجهاد فى سبيل الله وكان من شعارهم : الجهاد سبيلنا والموت فى سبيل الله أسمى أمانينا ، ولقد ترجم هذا الشعار عمليا من خلال التربية والإعداد الجيد للجوالة والكشافة والكتائب كما سبق فى كتاباتهم عن الجهاد فى سبيل الله .

وترجم هذا الفكر عمليا من خلال المعارك التى خاضها الإخوان فى فلسطين من منطلق الجهاد والاستشهاد ، وضربوا أروع الأمثله فى التضحية والبذل مما لفت الأنظار إليهم وتوجس أعداء الإسلام منهم خيفة ، ولم يكن جهاد الإخوان فى فلسطين مقصورا على الجبهة المصرية فقط بل كان يشمل الجبهات العربية ففى الأردن كان الإخوان يجاهدون تحت قياده عبد اللطيف أبو قورة وفى سوريا بقيادة المرحوم مصطفى السباعى ولو ذهبنا نجلو حقيقة جهاد الإخوان فى فلسطين لطال بنا المقام

ولقد كتب الأستاذ إسماعيل الشريف كتابا بعنوان « الإخوان المسلمون وحرب فلسطين » سجل فيه جهاد هذه الجماعة التى انفردت به دون سائر الجمعيات ولقد كان للإخوان دور نضالى ضد الاستعمار الانجليزى بدأ منذ فجر الدعوة أثناء وجود الإمام حسن البنا فى الإسماعيلية ، ولقد وضع رحمه الله دعاء يتلى عقب الصلوات يبين مدى هذا العداء(١) :

« اللهم رب العالمين وأمان الخائفين ومذل المتكبرين وقاصم الجبارين تقبل دعاءنا وأجب نداءنا وأنلنا حقنا ورد علينا حريتنا واستقلالنا اللهم إن هؤلاء الغاصبين من البريطانيين قد احتلوا أرضنا وجحدوا حقنا فى البلاد وأكثروا فيها الفساد اللهم فرد عنا كيدهم وفرق جمعهم وخذهم ومن ناصرهم .. اللهم واجعل الدائرة عليهم وأذل دولتهم واذهب عن أرضك سلطانهم ولا تدع لهم سبيلا على أحد من المؤمنين » .

ولقد اقترن هذا الدعاء بالكفاح المسلح ومقاومة مدارس التبشير وتطور هذا الجهاد لاسيما إبان إلغاء معاهدة (١٩٣٦ عام ١٩٥١ م) .

واستطاع الإخوان أن يقلقوا مضاجع الانجليز فى القناة مما جعلهم يرصدون مكافآت ضخمة لمن يرشد عن قادة الفدائيين أمثال المرحوم الشيخ محمد فرغلى ويوسف طلعت اللذين أعدما عام (١٩٥٤م)

وبجانب الجهاد فى ميادين الوغى وساحات الاستشهاد فلقد كان لهم دور بارز فى الصدع بكلمة الحق وهذا أسمى أنواع الجهاد ونالوا بسببه ما لم تنله جمعية دينية أو هيئة إسلامية وقدموا فى ميادين الجهاد بالنفس والكلمة(٢) :

« مائتين وثلاثة وستين شهيداً فى فلسطين والقناة ، وأحكام الاعدام وواحداً وسبعين ألف معتقل فى أعوام (٤٨ ، ٥٤ ، ٦٥)

هذه آثار انفرد بها الإخوان دون سواهم من الجمعيات الإسلامية المعاصرة .

---

(١) الإخوان المسلمون والجماعات الإسلامية فى الحياة السياسية ص٢٠٦ د . زكريا .

(٢) الدعوة العدد ٤ سنة ٢٥ أكتوبر ١٩٧٩ ص٢٥

رابعا : أثر الإخوان على النهضة الإسلامية فى العالم العربى والإسلامى :

لم تكن دعوة الإخوان مقصورة على مصر فحسب بل تجاوز أثرها الى العالم العربى والإسلامى وأصبح لها فى كل قطر دعوة وفى كل بلد رجال ويرجع انتشار أمرها إلى رعاية المركز العام بالقاهرة للطلبة المسلمين الذين يدرسون بمصر فلقد مد الإخوان يد المعونة إلى هؤلاء الطلاب الذين كانوا نواة لفكر الإخوان فى بلادهم فضلا عن اتصالات الإمام البنا بزعماء العالم الإسلامى ورجالات الفكر والنهضة فى هذه الأمصار [1]

فلقد اتصل رحمه الله بالسنوسيين فى ليبيا بواسطة المرحوم عبد الرحمن عزام أول أمين للجامعة العربية

كما قامت مراسلات بين الإخوان والمفكر والمجاهد الجزائرى عبد الحميد بن باديس الذى كان يتزعم مقاومة الاحتلال الفرنسى .

كذلك اتصلوا بالمجاهد المغربى علال الفاسى فضلا عن اتصالاتهم بمفتى فلسطين المرحوم الشيخ أمين الحسينى .

وفى عام (١٣٤٨ هـ) جاء إلى القاهرة السيد/ محمد زيادة العالم اليمنى والتقى والمرحوم البنا واستمرت بينهما المراسلات كما كان للإخوان مساهمة فعالة فى ثورة ابن الوزير على الإمام يحيى حميد الدين باليمن عام (١٩٤٨م) حيث سافر المرحوم عبد الحكم عابدين والفضيل الوردانى إلى اليمن خلال قيام الثورة وحينما فشلت الثورة كرا راجعين إلى مصر .

كما انتقلت الدعوة إلى العراق عام (١٩٤١م) حينما انتدب للعمل بالعراق الأستاذ محمد عبد الحميد أول طالب جامعى انضم للإخوان المسلمين واستطاع هذا الرجل أن ينقل فكر الإخوان للعراق .

وفى سوريا والأردن تكونت شعب للإخوان بقيادة الأستاذ مصطفى السباعى فى سوريا والحاج عبد اللطيف قورة بالأردن .

وامتد نشاط الجماعة إلى السودان فأسس أول فرع بها عام (١٩٤٦م) إثر تنصير

---

(١) الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ جـ١ ص١٤٣ محمود عبدالحليم .

فتاة مسلمة على يد الإرسالية الانجليزية بأم درمان ، ثم توالى إيفاد مندوبين من قبل المركز العام للسودان حتى أصبح فى السودان خمس وعشرون شعبة .

ولقد كان لأداء المرحوم البنا فريضة الحج عام (١٩٤٦م) والتقائه ووفود المسلمين من أنحاء العالم الإسلامى أثر مهم فى نشر دعوة الإخوان عبر العالم الإسلامى ومازالت الدعوة تعيش فى وجدان الكثير من الشعوب العربية والإسلامية وكلما ضيق عليها الخناق فى مكان تنفست الصعداء فى مكان آخر وجمعت من حولها الأنصار والأعوان فعلى الرغم مما نزل وينزل بهم فى كل قطر فإنهم مازالوا يتصدرون العمل الإسلامى ويقودون حركة الإصلاح الدينى والاجتماعى بخلاف الجمعيات الإسلامية المعاصرة والتى لايتجاوز أثرها خارج مصر إلا قليلا .

خامسا : أثر الإخوان فى الحياة الأدبية :

اتصف الأدب خلال القرن الرابع عشر بصفات انحرفت بالكثير منه إلى الإباحية والانحلال وراج الأدب الساقط وغدا النثر والشعر والكتابات الأدبية تثير الغرائز وتشجع على الانحراف ، يزكى هذا أجهزة إعلام تنمى الأدب الهابط والفن الرخيص تحت عناوين الحرية والانطلاق والتقدم ، واستشرى هذا المستنقع الآسن اللهم إلا من ومضات مشرقة أضاء بصيصها الأزهر الشريف بعلمائه وأدبائه الذين ذادوا عن حياض اللغة العربية وأمسكوا بتلابيب الفصحى لكى لا تنحدر إلى العامية الركيكة ، ونموا الإحساس المرهف وترفعوا عن الأدب الساقط ولكن هذا الجهد لم يصمد أمام أدب الجنس وعوامل الإغراء فى الأجهزة المرئية والمسموعة والمقروءة .

ولقد نزل الإخوان إلى الساحة الأدبية بمفهوم إسلامى يجمع بين قوة الإيمان وفصاحة البيان وعفة اللسان فاتسم دعاتها بالأسلوب الأدبى الرفيع والتعبيرات اللغوية العالية فكان منهم الخطيب المصقع والمتحدث البارع والأديب الأريب وطوعوا الأدب بفنونه المختلفة ليخدم القضايا الإسلامية ففى مجال الشعر والشعراء نجد ينبوعا فياضا من الشعر الإسلامى لاسيما ما قيل خلال فترات المحن ومن ذلك قصيدة الدكتور

يوسف القرضاوى عقب خروج الإخوان من معتقل الطور عام (١٩٥٠م) وما جاء فيها [١] :

قالوا إلى السجن قلنا : شعبة فتحت ... ليجمعونا بها فى الله إخوانا
قالوا : إلى الطور قلنا جاء مؤتمر ... فيه نقرر ما يخشاه أعدانا
فهو المصلى نربى فيه أنفسنا ... وهو المصيف نقوى فيه أبدانا
حرموا التجمع منا فوق أربعة ... ضموا الألوف بغاب الطور أسدانا

ومن الشعر الذى يصور اللحظات الأخيرة فى حياة شهيد لفظ أنفاسه تحت وطأة التعذيب يقول الشاعر صلاح الصاوى :

لهفى عليه وقد أريق على الثرى ... دمه الزكى يضوع منه شذاه
لهفى على الجسد الطهور وقد هوى ... مترنحا وتثاقلت جفناه
وتجمدت فى حلقه الكلمات دا ... مية وتاهت فى الفضاء رؤاه
وسؤله والموت فى أوصاله يسـ ... رى وتغتال المنون قواه
رباه دينك أنت إن لم ترعه ... فمن الذى بين الورى يرعاه

وللأستاذ المرحوم سيد قطب ديوان الشاطىء المجهول ، وللأستاذ عبد الحكيم عابدين رحمه الله ديوان بعنوان « البواكير » وفى مجال القصة نجد مؤلفيهم يترفعون بالقصة عن الإسفاف وإثارة الغرائز واتجهوا بها اتجاها إسلاميا يحرك المشاعر ويوقظ الوجدان ويعمق الإيمان ولقد نشر العديد من القصص ومن ذلك قصة (القابضون على الجمر) لمحمد أنور رياض ، وللمرحوم الأستاذ سيد قطب عدد من القصص الهادف مثل (المدينة المسحورة) ، و (طفل من القرية) ، و (أشواك) ، فضلا عن نشر مجموعات من القصة القصيرة من خلال حياة الصحابة رضوان الله عليهم ومواقف الجهاد عبر مسيرة التاريخ الإسلامى .

كما نجد من أهم الآثار سيطرة الروح الأدبية فى الكتابات الدينية ، يلاحظ هذا فى كتابات المرحوم سيد قطب لاسيما الظلال وكتابات الشيخ محمد الغزالي ومن

(١) التربية الإسلامية ومدرسة حسن البنا ويوسف القرضاوى ص٧٤

خلال رسائل الإمام حسن البنا كذلك لا ينكر أثرهم على فن الخطابة حيث كان منهم الخطباء الموهوبون الذين ملكوا نواصى القلوب ، مما سبق يتضح أثر الإخوان على النهضة الأدبية .

سادسا : أثر الإخوان فى وضع تصور للمجتمع المسلم :

كاد المجتمع المسلم يفقد معالمه منذ الحملة الفرنسية على مصر وإحلال القانون الفرنسى محل الشريعة الإسلامية فى عهد الخديو إسماعيل وسيطرة صنائع الاستعمار والاستشراق على مقاليد الأمور ، ولم يسمع فى مصر صوت جمال الدين الأفغانى والإمام محمد عبده ولم يعط أحد من المفكرين الإسلاميين صورة للمجتمع المسلم سياسيا واجتماعيا واقتصاديا فأبعد الإسلام عن واقع الحياة ومازالت فئة حتى الآن تزعم أنه ليس لدى علماء الإسلام تصور واقعى يعيد صياغة المجتمع المسلم وفق أسس الإسلام وهذا ما نطق به أحد زعماء اليسار فى مصر بحيث قال(١) :

« نحن الآن عام (١٩٨٢م) فى الساحة المصرية هل هناك برنامج سياسى مطروح اسمه البرنامج الإسلامى تتبناه الجماهير ويدافعون عنه ويقاتلون من أجله هل هذا موجود وطرح على الناس ؟ »

وهذا من المغالطات التى يستهدف منها نشر أفكار الإلحاد بحجة عدم وجود تصور محدد للمجتمع المسلم وللرد على هذا الزعم ونظائره . نقول :

إن من أبرز آثار الإخوان المسلمين أنهم وضعوا تصورا فكريا ومنهجا عمليا وتربويا لتكوين الأمة الإسلامية يتضح هذا من خلال فكر الإخوان ورسائل الإمام البنا إلى الملوك والرؤساء العرب ورؤساء الوزارات .

ومن ذلك رسالته التى بعنوان .. « مشكلاتنا فى ضوء النظام الإسلامى » ورسالته الشهيرة عام (١٣٦٦ هـ) إلى الملك فاروق ودولة مصطفى النحاس بعنوان « نحو النور » التى أوضح فيها معالم المجتمع المسلم سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وكان هذا هدفا من أهداف الإخوان المسلمين مما خلق رأيا عاما إسلاميا يطالب بتطبيق الشريعة

---

(١) اللواء الإسلامى السنة الأولى العدد ٤٣ ٢٨نوفمبر١٩٨٢ .

الإسلامية وإن الإسلام هو المصدر الرئيسى للقوانين ، ولا يجحد أن الكثير من المد الإسلامى المتدفق والشعور الدينى الفياض هو ثمرة من ثمرات غرس الإخوان . مما سبق تتضح الآثار الإيجابية لحركة الإخوان المسلمين على مسيرة الدعوة والدعاة خلال القرن الرابع عشر الهجرى .

المبحث السادس

الإخوان فى الميزان

من خلال موضوعات هذا الفصل الرابع اتضح فكر الإخوان المسلمين وتبلورت أهدافهم وبرزت أسس تكوين الدعاة من الوجهة التربوية ثم انتهى المطاف فى المبحث قبل الأخير عن الآثار الإيجابية لدعوة الإخوان المسلمين وحينما يتعرض الكاتب لجماعة الإخوان بالتقييم الموضوعى فإنه يجد نفسه فى خضم مترامى الأطراف بين كتابات المغالين فى تقديرها والمفرطين فى الحقد عليها والحقائق دائما تحجب بين هؤلاء وهؤلاء .

ولهذا ضربت عن آرائهم صفحا خاصة تلك الكتابات المغرضة التى لم تشرح الحقيقة وكان الدافع وراء هذه الكتابات مرضا فى القلوب وهوى فى النفوس وتزلفا لذوى السلطان ، ومن ثم فإن التقييم يحتاج إلى التجرد والحيدة ، والأناةوألا يقصد بالنقد ذم ولا مدح ولا انتقاص ولكن يقصد به وجه الله تعالى وأن تستقيم به مسيرة الدعوة ويرتفع لواؤها فى العالمين .

ونستطيع أن نوجز الملاحظات التالية :

أولا : الانشقاق بين صفوف الإخوان :

كانت الدعوة فى بداية أمرها متحدة الصف متفقة فى الأسلوب والهدف تسير بخطى حثيثة نحو الإصلاح الدينى والنهوض بالمسلمين ، ولكن ما لبث أن دب إليها الداء الوبيل والمرض العضال ... إنه التفرق والاختلاف وظهر هذا واضحا فى عنفوان مجدها وازدهار أمرها وكاد هذا الاختلاف يصدع البناء الداخلى للجماعة وكان

تمهيدا للانقضاض عليها من الخارج ودون الخوض فى التفاصيل فقد بدأ الخلاف بين الرعيل الأول وذلك حينما نشب خلاف بين بعض الإخوان فى الإسماعيلية قبيل انتقال الإمام البنا للقاهرة بسبب اختياره نائبا عنه وكان يعمل نجارا فتصدى لهذا أحد الشيوخ الذى رأى نفسه أحق بهذا وحدث خلاف نقل إلى ساحة القضاء(١)

وفى القاهرة نشبت على مدار تاريخ الجماعة عدة خلافات ومن ذلك ما يلى :

١ ـ انشقاق الأستاذ أحمد رفعت بسبب النقاط التالية :

أ ـ يرى أن الإخوان تجامل الحكومة وتتبع معها سياسية اللف والدوران ويجب أن يواجهوا الحكومة بالحقيقة التى أقرها القرآن فى قوله تعالى :

﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾ .

ب ـ موضوع المرأة : ويعترض على إبداء النصح فقط ويرى أن يوزع الإخوان أنفسهم على شوارع القاهرة والتصدى لكل امرأة متبرجة .

جـ ـ قضية فلسطين : يرى عدم الاكتفاء بالمساعدة الفعلية بل يجب الجهاد فى سبيل الله (٢)

ورغم الشطط والغلو فى بعض هذه الآراء فإن هذا كان بداية التصدع ، حتى إن المركز العام توقف النشاط به وانقطع جميع الإخوان عنه .

٢ ـ فى عام (١٩٣٩م) حدث انشقاق آخر لجماعة تعجلت الحوادث وسمت نفسها « جماعة شباب سيدنا محمد» ﷺ والتى بدأت تكيل الاتهامات للجمعية الأم وللمرشد العام .

٣ ـ انشقاق الأستاذ أحمد السكرى وكيل الإخوان المسلمين والصديق الحميم للإمام البنا وانضمامه لحزب الوفد ومهاجمته للإخوان والمرشد العام فى جريدة صوت الأمة ، مثل هذه الانشقاقات انحرفت بالدعوة عن هدفها الأسمى وغاياتها المحمودة ودفعت بها إلى مزالق الأهواء الشخصية والمنافع الذاتية واستنفدت الكثير من جهد الإخوان وطاقاتهم وتركت صدعا فى البناء عملت الأحزاب

(١) مذكرات الدعوة والداعية البنا ص١١٤

(٢) الإخوان المسلمون حـ١ ص٢٠٥ الأستاذ محمود عبدالحليم

والقوى المعادية على توسعته فنشرت صحف الوفد تحت عناوين (هذه الجماعة تسقط) ، (هذه الجماعة تهوى) مما مهد للانقضاض عليها بقرار الحل عام (١٩٤٨م) واغتيال البنا عام (١٩٤٩م) .

٤ ــ وفى أوائل الخمسينيات انشقت جماعة أخرى منها الشيخ محمد الغزالى والشيخ سيد سابق للاختلاف حول أسباب الدعوة حينذاك .

٥ ــ وأخيرا عام (١٩٦٥م) حدث انقسام داخل المعتقل تزعمه شكرى مصطفى بآرائه المتطرفة وكان هذا نواة لتلك الجماعات التى اشتطت فى تفكيرها وغالت فى آرائها مما سنعرض له فى الباب الثالث إن شاء الله .

ثانيا : الجنوح بالدعوة إلى المعترك السياسى والحزبى :

اتسمت الدعوة إبان بدايتها عام (١٣٤٧ هـ ــ ١٩٢٨ م) بالإصلاح الدينى والاجتماعى ثم مالبث الإخوان المسلمون أن نزلوا إلى المعترك السياسى ومزاحمة الأحزاب وذلك منذ عام (١٩٣٨م) وإن كان هذا الفكر لااعتراض عليه فمن بديهيات الإسلام أنه دين ودولة وعقيدة وشريعة ولكن ما يعترض عليه :

نزول الإخوان إلى مستوى المهاترات والخصومات بينهم وبين الأحزاب تارة والقصر تارة أخرى .. مرة يطلب القصر ودها ويستقبل الملك مرشدها وأحيانا الوفد يبسط لها جناح الود لتساعده فى مواجهة الملك والإنجليز .

ثم اتسعت دائرة الصراع السياسى فشملت معظم الأحزاب ونزل الإخوان إلى مستوى من الهجوم مما ينأى عنه أدب الدعوة والدعاة ، ومن ذلك ما نشر فى مجلة النذير فى (٢٥ سبتمبر ١٩٣٨ م) تهجو حزب الوفد بما لا يليق ومثال ذلك :

قوم إذا صفع النعال وجوههم   شكت النعال لأى ذنب تصفع

ولم يسلم حزب من الأحزاب من مناوأة الإخوان له فضلا عن تسيير المظاهرات التى يندس فى وسطها الغوغاء وتضع الإخوان موضع الاتهام والمساءلة واشتد الصراع حينما أخفق مرشحو الإخوان فى الانتخابات العامة ولقد تناول هذا بالتفصيل الدكتور زكى البيومى فى رسالته « الإخوان المسلمون والجماعات الإسلامية فى السياسة المصرية » .

هذا وإن الخوض فى المناحرات الحزبية ابتعد بهم بعض الشيء عن الاتجاه الدينى والاجتماعى واتخذ هذا ذريعة لإلقاء التهم بهم واللوم عليهم وتوجس الكثير منهم خيفة ومن ثم كان حل الجماعة فى عام (١٩٤٨م) واغتيال البنا عام (١٩٤٩م) ومحنة (١٩٥٤ ، ١٩٦٥ م) .

ولقد فطن المرحوم حسن البنا إلى مغبة الزج بالدعوة فى ساحة الأحزاب المصرية المتطاحنة فكتب رسالة له بعنوان « دعوتنا فى طور جديد » أبرز فيها الجانب الروحى والأخلاق إبرازا قويا وأشار إلى الجانب السياسى إشارة عارضة ونستطيع أن نقول : إن الإخوان قد جانبهم الصواب فى الإصلاح السياسى واعتراهم ما أعترى جمال الدين الأفغانى من الإخفاق .

ثالثا : الدعوة لتحقيق الأهداف بالقوة :

إن المنطلق الذى تنطلق منه الدعوة الإسلامية قوله تعالى :(١)

﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن ﴾ .

والدعوات فى إبان عهدها ينبغى أن تبتعد عن التلويح بالقوة والعنف حتى يؤمن جانبها ولا يظن بها الظنون لاسيما فى هذا العصر الذى غدا فيه الدعاة كالأيتام على مائدة اللئام وكان الأحرى بالإخوان أن يبتعدوا عن كل ما يشتم منه اللجوء للعنف لكيلا يكون هذا ذريعة للانقضاض عليهم ولكن ما حدث خلاف هذا .

فما كادت دعوتهم ينتشر أمرها والشُّعَب تكاد تغطى القطر المصرى بل تجاوزته كما سبق حتى بدأ التلويح بالعنف والوعيد بالقوة فأوجس أولو الأمر منهم خيفة ، قال حسن البنا :(٢)

« إن الإخوان المسلمون سيستخدمون القوة العملية حيث لا يجدى غيرها وحيث يثقون أنهم قد استكملوا عدة الإيمان وهم حين يستخدمون القوة سيكونون شرفاء صرحاء وسيتذرون أولا وينتظرون بعد ذلك ثم يقدمون فى كرامة وعزة ويحتملون

---

(١) سورة النحل آية ١٢٥

(٢) مذكرات الدعوة والداعية ص١٧٠

كل نتائج موقفهم هذا بكل رضا وارتياح » ولقد وصل الأمر بالتلويح باستعمال القوة إلى تحديد الوقت الذى يمكن فيه استخدامها فقال حسن البنا رحمه الله :

« وفى الوقت الذى يكون فيه منكم معشر الإخوان المسلمين ثلاثمائة كتيبة قد جهزت كل منها نفسيا روحيا بالإيمان والعقيدة وفكريا بالعلم والثقافة وجسميا بالتدريب والرياضة فى هذا الوقت طالبونى بأن أخوض بكم لجج البحار وأقتحم بكم عنان السماء وأغزو بكم كل عنيد جبار فإنى فاعل إن شاء الله[١]

قد يقال . إن هذا الكلام ونظائرة من باب إذكاء الحماس وإيقاد العواطف والغيرة نحو الإسلام وربما كان هذا الكلام صحيحا ، ولكن اقتران هذا القول بالعمل فى الكشافة والجوالة والكتائب ثم تكوين الجهاز السرى بقيادة عبد الرحمن السندى وبروزه على رأس هذا الجهاز كقوة تناوىء الإمام البنا وتفرده ببعض الأعمال التى لم يقر البنا الكثير منها ، كذلك مما نمى الشعور باستعمال القوة تلك الاستعراضات بشباب الإخوان فى الميادين العامة وخلال المظاهرات فضلا عن تورط عدد من الإخوان فى بعض حوادث الاغتيالات والعنف مما ساعد على تنمية الشعور بأن الإخوان يعملون لقلب نظام الحكم ، رغم إصرار الإمام البنا فى رسائله على نفى هذا – مما كان سببا لما حل بهم خلال تاريخ الجماعة وكان من المفروض على جماعة الإخوان أن تستفيد من جراء الإشارة باستخدام القوة من بعد المواجهة الأولى عام (١٩٤٨) غير أنهم لم يعوا الدرس جيدا فما يكاد يسمح لهم بمزاولة نشاطهم إلا عادوا بنفس الأسلوب مما جعلهم عرضة للاتهامات وكما قيل : « إن كل بيت من الشعر قيل فى مدح الخمر نسب إلى أبى نواس وإن لم يكن هو قائله وكل نادرة تنسب إلى جحا وإن لم ترو عنه » وكذلك فإن جل ما ألصق بالإخوان من اتهامات مرده إلى التوسل بالقوة والوعيد باستخدام العنف .

رابعا : التسرع لتحقيق الأهداف :

بعد أمد طويل من الضعف والانحلال والتدهور الذى أصاب الأمة الإسلامية خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر حتى أطلق على الخلافة الإسلامية « الرجل

---

(١) مذكرات الدعوة والداعية ص١٦٢

المريض » سارعت قوى الاستعمار تجهز على هذا الجسد الواهن لتتقاسم ميراثه وارتفعت صيحات تحذر وتنذر بالخطر ولكنها ذهبت أدراج الرياح . حتى جاء الإخوان المسلمون فوضعوا المنهاج التربوى الفكرى والعملى مما سبق ذكره . وكان توفيق الله يصاحبها فى خطواتها كما وكيفا فى مجال الدعوة الإسلامية ومنهج التربية الذى وضع غرسه الإمام البنا ، ولكى يؤتى ثماره يحتاج إلى جيلين أو ثلاثه أجيال لتعميق الفكرة فى وجدان الأمة ولتوجيه الرأى العام لتطبيق شرع الله خاصة أن أعداء الإسلام منذ الحروب الصليبية هم يخططون لإضعاف الإسلام واحتلال دياره واحتواء شعوبه ، ولقد نجحوا فى هذا حتى غدا الفكر الإسلامى غريبا عن أهله وشرع الله وحدوده يكاد لايعرف عنهما شىء مما جعل النظر لكل نهضة إسلامية أو حركة دينية تقوم على التوجس والخفية منها ووأدها فى مهدها .

وكان يجب على الإخوان المسلمين السير بخطى حثيثة وفى هدوء وأن ينأوا بجماعتهم عن التيارات المتصارعة ولكنهم لم يفعلوا كما سبق بل تعجلوا النتائج وتسرعوا فى اقتطاف الثمرة وسط جو مكفهر بالاستعمار وعملائه والحكم وجبروته فأسقطت الثمرة قبل أوان نضجها ثم جرت محاولات غرس الفكرة حينما سمح لها رسميا بهذا إلا إنها غرست بنفس الأساليب السابقة ولم يع الإخوان درس التجارب فى حقبة الأربعينيات فكان الإجهاض فى أعوام (١٩٥٤ ، ١٩٦٥ ، ١٩٨١م) مما كان سببا لتصدع الجماعة واتخذ هذا ذريعة لضرب التيار الإسلامى وإزهاقه ؛ هذه الملاحظات التى ذكرت فى مجال النقد البناء لجماعة الإخوان والتى كانت سببا لفرض الرقابة على الجمعيات الدينية عموما وذلك من خلال القانون رقم (٤٩ لسنة ١٩٤٥م) والقانون رقم (٦٦ لسنة ١٩٥١م) ، والقانون رقم (٨٣٤ لسنة ١٩٥٦م) ، ثم القانون رقم (٣٢ لسنة ١٩٦٤م) ولكى يأمن من يتوجسون خيفة من التيار الإسلامى فلقد أسندت رئاسة بعض الجمعيات والهيئات الإسلامية لأناس ليسوا من أرباب الدعوة مما حدا ببعض الشباب لتكوين جمعيات سرية بعيدة عن هيمنة هؤلاء مما سأوضحه إن شاء الله فى الباب الثالث والله أعلم .

الباب الثالث

الفكر المتطرف
أسبابه - آثاره - واجب الدعاة نحوه

ويشمل الفصول التالية:

١ - نشأة التطرف وأسبابه وظواهره .

٢ - الأمور التى تطرف فيها بعض الشباب

٣ - كيفية احتواء هذا الفكر وعلاجه .

الباب الثالث
الفكر المتطرف

لقد اتضح خلال الباب الثانى فكر بعض الجمعيات الإسلامية التى كانت لها صفة رسمية زهاء نصف قرن أو يزيد وأبرزت آثارها إيجابا وسلبا على مسيرة الدعوة ، وإنه لمن موجبات البحث أن نتعرض لبعض الأفكار التى اتسمت بالغلو والتطرف لاسيما بين الشباب المثقف فإن هذه القضية من أهم القضايا التى تواجه الدعوة وترجع خطورة هذه القضية إلى الأبعاد الخطيرة التى تنجم عنها والتى حددها بعض الباحثين فيما يلى [1] :

١ ـ البعد الأول :

ما يصيب المجتمع وأبناءه ونظمه ومؤسساته من تعرض لآثار العنف الذى يصل فى حده الأقصى إلى درجة الهدم والتخريب الجماعى ومايصاحب هذا من هزات نفسيه فى ضياع الأمن واهتزاز الاستقرار وانفتاح الباب لما لا يعلمه إلا الله من احتمالات الفوضى ومخاطر المجهول .

٢ ـ البعد الثانى :

ما يصيب الشباب نفسه من محنة تزهق فيها أنفس وتراق دماء ويفجع فيها آباء وأمهات وتختلط على الآلاف فيها معالم الطريق وتصاب حولهم ملايين أخرى بالحيرة واضطراب الرؤية والضياع .

---

(١) الأهرام عدد ١٩٨٣/١/١٥ ص٣ مقال للدكتور أحمد كمال أبوالمجد .

٣ ـ البعد الثالث :

ما يصيب الدين فى كثير من النفوس من اهتزاز وما يؤدى إليه هذا العنف والصدام المتكرر بين فريق من المتدينين والدولة من الاعتقاد بوجود نوع من الحتمية بين الدخول فى طريق التدين والدعوة إلى الإسلام وبين الوصول للنهايات المحزنة . وهو اعتقاد من شأنه أن يلقى ظلالا مؤسفة من الشك وسوء الظن بالمتدينين عموما وأن يضعهم فى موضع نفسى واجتماعى شاذ فهم متهمون حتى يثبتوا براءتهم .

ورغم هذا فإن الكتاب والباحثين لا يتعرضون لهذا الفكر إلا إذا تعرض المجتمع لبعض مظاهر العنف فيناقشون أصحابه بين أقبية السجون والمعتقلات حينا وفى الندوات العامة حينا أخر ، ثم تطوى صفحات التطرف والمتطرفين دون علاج حاسم ورأى سديد ، ولا تفتح ملفات هذا الفكر إلا على أصوات عنف جديد فيشارك فى الإدلاء بالرأى من يعى مشاكل الدعوة والشباب ومن لا يعيها ومن له بالإسلام صلة ونسب ومن لا صلة له بالإسلام سوى الاسم فقط ، لذا رأيت أن أفرد هذا الباب لتلك الدراسة الموضوعية التى تحتوى على الفصول التالية :

الفصل الأول
أسباب التطرف ومظاهره

هذا الفصل يتضمن موضوعات ثلاثة هى ما يأتى :

اليقظة الإسلامية بين الشباب :

إذا ما أريد للأمة الإسلامية أن تتبوأ أزمة القيادة والريادة كما أراد الله لها وكما جاهد الرسول ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم من أجلها فلا بـد أن تعتمد على قاعدتين أساسيتين .

القاعدة الأولى :

عقيدة تؤمن بها وإسلام تحافظ عليه وشرع الله تطبقه .

القاعدة الثانية :

شباب يصون هذه العقيدة ويحييها ويرفع لواءها ويسترخص المهج والأرواح فى سبيلها .

فالعقيدة والشباب بينهما ترابط وثيق وازدواج كامل ولا يمكن الفصل بينهما . والعقيدة بلا شباب نصوص تردد وتراث يحفظ وكلمات تلوكها الألسنة ليس لها فى دنيا الناس حياة ، والشباب بلا عقيدة قوة طائشة وكيان متآكل ومتهدم لايعرف له وجهة وليس له ولاء للدين أو الوطن . هذا ولقد أتى على الشباب حين من الدهر خلال العقدين الخامس والسادس من القرن الرابع عشر الهجرى فضل الطريق وتنازعته الأهواء وتلقفته أيد خبيثه وعقول ماكرة من شيوعية ملحدة وصهيونية غادرة وقادرة وصليبية حاقدة ، فضلا عن أجهزة إعلام لم تحسن الرعاية والتوجيه

الإسلامى . فأفرغت عقول الشباب من الدين فأصبح التدين رجعية والإسلام جمودا والإلحاد تحررا والعبث بالمقدسات انطلاقا والانغماس فى الرذيلة مدنية وتطورا ، وأريد لهذا الشباب أن ينضوى تحت شعارات جديدة وبراقة وكان يدفع به ليهتف « شباب جيل جديد – حرية – اشتراكية وحدة ولكن مالبث هؤلاء الشباب أن استيقظوا على الحقيقة المؤلمة وهى :

أن ما ألقى فى روعهم كان سرابا خادعا لم يسفر عما يجيش فى صدروهم من آمال عراض فها هى ذى الأوطان تحتل والهزائم تتوالى ، والحرية تسجى والوحدة العربية تنفصم عراها والأزمات الاقتصادية تشتد وطأتها ولم يحصد الشباب سوى الندامة وخيبة الأمل ومن ثم استيقظ من داخلة داعى الإسلام يأخذ بيده وسط الركام والحطام وكان الشباب بين الأمواج الهادرة المتلاطمة يمد يده لمن ينشله قبل أن يغرق ولكنه لم يجد اليد الحانية التى تنشله من وهدة الانحراف وتضعه بين ظلال الإسلام وهدى القرآن وسنة محمد ﷺ ولم يعثر على الدعاة الصادقين المخلصين ليضيئوا له غياهب الظلمات فلم يجد بدا من تكوين جماعات إسلامية بين أروقة الجامعات ومن أوائل هذه الجماعات .

جماعة شباب الإسلام بكلية الهندسة جامعة القاهرة :

أسست فى نوفمبر عام (١٩٧٢ م) ثم انتشر التيار الإسلامى فى معظم الجامعات المصرية فأصبح لكل كلية جماعة إسلامية نشطة ، ولقد نجحت تلك الجماعات فى الميادين التالية :

١ – الالتزام بالسنة والتأدب بأدب النبوة فى السلوك والمظهر .

٢ – إحياء سنن إسلامية كادت تندثر كصلاة العيد فى العراء وسنة الاعتكاف ، والسواك واقتفاء السنة فى العبادات وتجنب البدع والخرافات .

٣ – تطويع الأنشطة الطلابية فى الجامعات للخير العام ومن ذلك طبع الكتب والمذكرات الجامعية وإقراض الطلاب الفقراء وطباعة سلسلة من الكتيبات الإسلامية بسعر فى متناول أيدى الطلبة والطالبات .

٤ – إنشاء المعسكرات الإسلامية التى تختلف عن المعسكرات الترفيهية التى كانت تبتعد عن الخلق الإسلامى .

٥ ـ إقامة أسابيع إسلامية يحاضر فيها الدعاة ، وتعرض فيها الكتب الإسلامية .
٦ ـ انتشار الحجاب حيث استجابت الفتاة الإسلامية لداعى الإسلام فتركت التبذل والسفور بعد طول عهد به وترويج له منذ مطلع القرن الرابع عشر الهجرى .
٧ ـ استطاعت الجماعات الإسلامية أن تتصدى للفكر الشيوعى ولدعاة العلمنة والتغريب الذين تربوا على موائد الاستشراق والتبشير .
٨ ـ نجحت تلك الجماعات فى تنمية الشعور الإسلامى وخلق رأى عام إسلامى مستنير بين أروقة الجامعات فى فترة وجيزة لم تحققه العديد من الجمعيات الإسلامية التى طال عمرها وعملها فى حقل الدعوة .

غير أن هذه الجماعات كان ينقصها القيادة الواعية والخبرة والتريث ، وكان الواجب على دعاة الأزهر وأجهزة الإعلام أن يسارعوا إلى الشباب ليوجهوهم إلى الخير ولكنهم تركوا الشباب يندفع بقوة وتهور فاتجهوا إلى النقد اللاذع والتهكم الصارخ والتطاول على السلطة فضلا عن بعض الأعمال التى اتسمت بالتسرع والاندفاع مما أدى إلى تقييد أنشطتها ، ثم وصل الأمر إلى إلغائها مما دفع بعض الشباب إلى الانتماء لجمعيات سرية كانت تباشر نشاطها خفية واستتارا .

ومن أشهر تلك الجماعات جماعة أطلق عليها « جماعة التكفير والهجرة » وأطلقت على نفسها الجماعة المؤمنة أو جماعة المؤمنين ثم وُجِدَ على ساحة الدعوة جماعات كثيرة كجماعة الجهاد والتبليغ ، القطبيين ، الفرماوية مما يعجز عنه الحصر .

بعد هذا العرض الموجز لنشأة الجماعات الإسلامية بين أروقة الجامعات فإن من موجبات هذه الرسالة أن نقف على أسباب التطرف الذى يؤدى إلى ظاهرة العنف وإراقة الدماء لاسيما أن هذه الظاهرة فى نمو واطراد فبينما كان المشتركون من الشباب فى قضية الفنية العسكرية عام (١٩٧٤م) عددا قليلا يتضاعف هذا العدد فى قضية التكفير والهجرة عام (١٩٧٧م ثم يصل فى عام ١٩٨١م) إلى ما يربو على الألفين ممن انطبق عليهم قرار التحفظ والاعتقال .

وهذا نذير للدعاة لكى يتحركوا (لاسيما كليات الدعوة) لدراسة تلك الظواهر وأسبابها وطرق احتوائها . وإننى إذ أتجه لهذا بتوفيق الله فإنما أضع اللبنة الأولى فى

مضمار الدراسات العليا لهذه الدراسة أملا أن يتجه الباحثون إلى هذا الميدان الذى مازال بكرا رغم أهميته وخطورته .

أسباب التطرف :

قبل أن نذكر أسباب التطرف تبرز الأسئلة التالية :

١ - لماذا يتجه الشباب لتكوين جماعات سرية رغم وجود جماعات رسمية فى ساحة الدعوة كالجمعية الشرعية وأنصار السنة ، والشبان المسلمين ؟

٢ - لماذا لا يتحرك الشباب المتدين فى ساحة تلك الجمعيات ؟

٣ - لماذا تنصرف جموع الشباب عنها بل ويضطر البعض للتورط فى جماعات سرية ؟

أجاب عن هذا الأستاذ فهمى هويدى المحرر بجريدة الأهرام فقال :

« إن استعراض قائمة المؤسسات الدينية فى مصر يكشف عن حقيقة بالغة التأثير فى فاعليتها وهى أنها فى مجموعها تحولت إلى مؤسسات قطاع عام كلها تتبع الدولة بصورة أو بأخرى بل إن بعضها يتولى قيادتها ضباط سابقون،كلها صارت أجهزة رسمية أو شبه رسمية بينما نشاطها الأساسى فى الشارع وسط الجماهير ، ترتب على ذلك أن هذه المؤسسات تبنت دون أتفاق فكرا واحدا وشغلت نفسها بمخاطبة السلطة أكثر مما شغلت نفسها بالتحرك وسط الشباب بوجه خاص حتى أولئك الذين اتجهوا إلى الشباب فإن بعضهم كان يستهدف استخدام هؤلاء الشباب لأدوار معينة لهذه الأسباب عجزت تلك المؤسسات أن تتحول إلى ساحة حوار يتضح بالفكر الدينى يشد الشباب المثقف الذى يرفض السلبيات . ثم يستطرد قائلا :

لنصحح وضع المؤسسات الدينية ونعاملها بصورة تختلف عن معاملة المجمعات الاستهلاكية »

وبجانب ما ذكره الأستاذ فهمى هويدى بجريدة الأهرام فإن هناك أسبابا عديدة تحول بين الكثير من الشباب وبين تلك الجمعيات الرسمية ومنها :

١ - أن كل جمعية اهتمت ببعض الأمور دون أن تأخذ بعين الاعتبار كل القضايا الإسلامية .

٢ ـ الخلافات بين تلك الجماعات حتى إن كل جمعية تعتقد أن رأيها صواب ورأى غيرها خطأ .

هذا وإن التطرف فى الفكر والغلو فى الرأى قد اختلف الباحثون فى توضيح أسبابه ، فالبعض يرجعه إلى أمور اقتصادية كأزمة الإسكان وارتفاع أعباء المعيشة وعدم قدرة الشباب على الزواج . وهذا السبب سطحى يبتعد عن لب المشكلة وجوهرها ، فالشباب المتدين لا يأبه بمظاهر الحياة بل إن الكثير منهم لا يتكلف شططا فى ملبسه أو مسكنه حتى اقترانه بالزوجة لا يرهقه ماديا ولا نفسيا ، والبعض يرجعه إلى العقد النفسية والانطواء . يقول الدكتور جمال أبو العزايم : هناك مظهران من مظاهر الشخصية :انطواء وانطلاق والظاهرتان مرضيتان .(١)

ويذهب إلى هذا الرأى الشيخ محمد زكى رائد العشيرة المحمدية فيقول : (١)

« بالبحث والتجربة ثبت أن الأكثرية الغالبة من أصحاب هذه الدعوة والمنضمين إليها مصابون بعقد نفسية وأزمات عصبية ، وأنهم يجدون فى التشدد ومخالفة المجتمع والحقد عليه ما تطمئن إليه أزماتهم وعقدهم »(٢)

وهذا الرأى وسابقه يجانبهما الصواب فإن الشخص المعقد نفسيا والمنطوى لا يؤثر فى الآخرين ولقد نجح هؤلاء الشباب فى التأثير على الكثير وأصبح لهم اتباع ورواد عديدون .

ومن الآراء التى تبعد أسباب التطرف عن حقيقتها وواقعها ما يذكره الدكتور إبراهيم العدوى حيث يقول :

« إن التطرف وافد علينا » (٣)

وهذا السبب والأسباب السابقة مجتمعة أسباب واهية فالمشكلة أعمق من هذا وأجل خطرا وإننى أرجع التطرف فى الفكر والغلو فى الرأى والجنوح عن حد

---

(١) اللواء الإسلامى ١٩٨٢/٧/٢٧

(٢) الأهرام العدد ٣٣٠٨٢ الجمعة يوليو١٩٧٧

(٣) اللواء الإسلامى ١٩٨٢/٧/٢٧

الاعتدال واللجوء إلى العنف إلى الأسباب التالية :

أولا : التباطؤ والتسويف فى تقنين الشريعة الإسلامية وتطبيقها :

منذ الغزو الفكرى والاحتلال الأجنبى والشريعة الإسلامية بعيدة عن مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والتربوية ولقد أفلس الفكر الغربى والشيوعى فى تحقيق العدالة والأمن والرخاء ، وباء دعاتهما فى البلاد الإسلامية بالفشل الذريع وخرجت الشعوب من التبعية للشرق أو الغرب خاوية الوفاض صفر اليدين ، ومن ثم أصبحت الشريعة الإسلامية محط آمال المسلمين أفرادا أو جماعات ومؤسسات ومع إلحاح الأمة فى المطالبة بتطبيق الشريعة الإسلامية غير أننا نجد التسويف والمراوغة والتعلل بأعذار واهية والتذرع بأسباب مختلفة للحيلولة دون التطبيق الفورى ، أو حتى على مراحل واكتفى فى هذا المجال باللجان تعقد والتوصيات تتخذ والقرارات تعلن والوعود والآمال حول تطبيق الشريعة تعلن بين كل آونة وأخرى ولكن مع وقف التنفيذ مما يثير حماس الشباب وغيرتهم وإذكاء عواطفهم لتطبيق الشريعة الإسلامية فيؤدى هذا إلى ثورة الشباب ويلجئهم إلى الثورة والعنف والتطرف بدعوى عدم جدية مايقال عن تطبيق الشريعة الإسلامية .

ثانيا : الفرق الشاسع بين مثالية الإسلام وأوضاع المسلمين :

حينما يطالع الشباب المسلم تاريخ الإسلام لاسيما إبان حياة الرسول ﷺ وخلال تاريخ الصحابة وعبر التراث الإسلامى العظيم يجد البون شاسعا والاختلاف كبيرا بين هذا التاريخ المتألق فى عظمة وشموخ وواقع المسلمين المزرى ، حيث تنتشر المحرمات وتهتز القيم وتسوء العلاقات بين أبناء الأمة ويضرب الفساد أطنابه وتعمق جذوره فضلا عما نزل بالمسلمين من هزائم متوالية واقتطاع أجزاء من ديار الإسلام فى فلسطين ولبنان وأفغانستان وغيرها حتى غدا المسلمون كالأيتام على مائدة اللئام

ويتلفت الشباب فيجد دعاة العلمانية والإلحاد وأجهزة الإعلام نعابهم يصك الأذان وتبارك الانحراف من خلال قصص الحب وأفلام الهوى ومسلسلات الرعب ، ومما يزيد الأمر سوءاً استشراء الظلم الاجتماعى والتفاوت الطبقى وظهور أصحاب الملايين من المغامرين وسماسرة السوق السوداء ويقارن هذا كله بما يقرؤه ويعرفه عن الإسلام

فيصطدم وجدانه وتتمزق نفسه بين مثالية الإسلام وواقع المسلمين فيضيق ذرعا بهذا الواقع ويتبرم به ويثور عليه وقد يدفعه الحماس إلى العنف مستندا إلى بعض النصوص التى يساء فهمها والأدلة الشرعية التى لا يحسن فهمها فمن ثم يلجأ إلى التطرف والعنف .

ثالثا : تضييق الخناق على الدعوة والدعاة :

إن المتتبع لمسيرة الدعوة الإسلامية خلال القرن الرابع عشر الهجرى يجد محاولات إجهاض اليقظة الإسلامية كلما اشتد ساعدها وصلب عمودها ومن أشهر تلك المحاولات ضرب التيار الإسلامى النشط فى أعوام (١٩٤٨ ، ١٩٥٤ ، ١٩٦٥م) ثم التحفظ على معظم العاملين فى الحقل الإسلامى عام (١٩٨١م) وحظر الجماعات الإسلامية فى الجامعات المصرية ، فضلا عما شهده بعض الدعاة من ألوان التعذيب فى غياهب السجون والمعتقلات وإن النواة الأولى للتطرف نشأت بين أقبية السجون عام (١٩٦٥م) حينما زج بالآلاف بمجرد الشبهة والمظنة وكان من بين هؤلاء شكرى مصطفى الذى عانى مما نزل به ومن معه من ألوان القهر والتعذيب فتطرف هو وجماعة معه وأعلنوا كفر الدولة لأنها سامتهم العذاب ، وكفر الأمة لرضائها بهذا ولقد تمكن شكرى مصطفى من أن يستقطب مجموعة من الشباب مما أدى إلى أحداث عام (١٩٧٧ م) الدامية وتم إعدام هذا الشاب وبعض رفاقه ، وبين كل آونة وأخرى يصدر من القرارات ما يوغر صدر الدعاة ومن ذلك المادة (٢٠١ عقوبات من القانون ٢٩ لسنة ١٩٨٢م) والذى ينص على ما يلى :

« كل شخص ولو كان من رجال الدين أثناء تأديته وظيفته ألقى فى بعض أماكن العبادة أو فى محفل دينى مقالة تضمنت مدحا أو ذما فى الحكومة أو فى قانون أو فى مرسوم أو قرار جمهورى أو فى عمل من أعمال جهات الإدارة العمومية ، أو أذاع أو نشر بعض نصائح أو تعليمات دينية أو رسالة مشتملة على شىء من ذلك يعاقب بالحبس وبغرامة لا تقل عن مائة جنيه ولا تزيد على خمسمائة جنيه أو بإحدى العقوبتين » .

فمثل هذا القانون يكمم أفواه الدعاة فلا يبدون نصحا ولا يقاومون منكرا

بألسنتهم فتفتقر ساحة الدعوة من الدعاة ولن يبقى إلا من يتخذ الدعوة وسيلة للارتزاق .

وفى نفس الوقت الذى يضيق فيه على الدعاة نجد دعاة العلمانية والإلحاد ورجالات الفن الهابط والأدب الرخيص وبائعات الهوى يصولون فسادا ويجولون عبثا دون رقيب أو حسيب بل ينظر إليهم على أنهم القدوة حيث تحوطهم أجهزة الاعلام بهالة كاذبة من النفاق مما يوغر صدور الشباب ويثير حفيظتهم إلى التطرف .

والعنف لا يولد إلا العنف ، وإن توجس الحذر والخيفة من التيار الإسلامى لهو من أهم أسباب العنف والتطرف وستتكرر ظاهرة الغلو والجموح كلما نظر إلى المد الإسلامى نظرة شك وريب . ومما يزيد الخوف لدى الشباب ما ينشر فى بعض الكتب والمجلات من وثائق خطيرة ضد الدعوة والدعاة ، هذه الوثائق حينما يقرؤها المسلم حتى لو كان لايحمل من الإسلام سوى اسمه فقط فإن الدم يغلى فى عروقه والغيظ يتملكه ويستيقظ فى الصدور غريزة البقاء وكوامن الفطرة « فطرة الإسلام » فتنتابه عوامل كثيرة تدفع به إلى التطرف والعنف ومن هذه الوثائق :

١ ــ ما نشر فى مجلة الدعوة العدد الثانى والثلاثين صفر ١٣٩١ هـ عن تقرير للمخابرات الأمريكية يفصح بخطة جديدة لتصفية الحركات الإسلامية .

٢ ــ ما نشر فى كتاب الشيخ محمد الغزالى « قذائف الحق » عن وسائل غسل مخ الإخوان المسلمين عام (١٩٦٥ م) .

٣ ــ ما نشر فى كتاب المستشار على أبو جريشة « دعاه لابغاة » وأخطرها الوثيقة المؤرخة فى عام (١٩٧٨م) بعنوان مكافحة تسيس الدين أو تدين السياسة ، ومع احتمال أن مثل هذه الوثائق مزيفة أو مبالغ فيها غير أن نشرها فى أكثر من كتاب على لسان علماء أجلاء وطبعها ونشرها والتزام الصمت حيالها وعدم إنكارها رسمياً يوحى بأن لها نصيبا من الحقيقة يرشح هذا ما أعقب نشر تلك الوثائق من أحداث أكدت ما ذكرته هذه الوثائق ومنها :

ا ــ دعوة لا سياسة فى الدين ولا دين فى السياسة .

ب ــ ملاحقة ظاهرة التدين بين الطلاب ومهاجمتها والسخرية منها .

جـ ــ قرارات التحفظ على كثير من الدعاة عام (١٩٨١م) هذه الأمور مجتمعة

تتفاعل داخل كيان الشباب فتجنح به إلى الغلو والتطرف ومن ثم يتجه إلى العنف .

رابعا : التحرك الصليبى ضد الإسلام :

لقد عاش غير المسلمين فى كنف الإسلام عيشة وارفة الظلال ينعمون بالحرية الدينية لا ينقض لهم عهد ولا تخفر لهم ذمة وحينما يقارن بين الأقليات الإسلامية فى ديار الكفر وما يتعرضون له من إبادة جماعية وبين ما يهنأ به غير المسلمين فى ديار الإسلام من منزلة كريمة وعيش آمن يحمد القوم الله لما هم فيه من نعمة يغبطون عليها غير أن الصراع بين الإسلام وأعوانه لا ينطفىء لهيبه ولا تخمد جذوته فالحقد المرير والغل الدفين ينفثان سمومهما بين كل حين وآخر ، والمسلمون بين ظلال الإسلام السمح الكريم يتقبلون هذا بصدر رحب أحيانا ، وقد يضيقون به حينا ويصل الأمر إلى التآمر والفتنة بين طبقات الأمة وأن تنتزع الأقلية من الأكثرية المسلمة حقوقها بل وتعدها غريبة عن ديارها .

وبلغت الإثارة لدى الشباب المسلم منتهاها حينما نشر أمر المؤتمر المسيحى الذى عقد فى الإسكندرية فى (٥ / ٣ ١٩٧٣ م) ولقد ذاع أمر هذا المؤتمر وما اتخذ فيه من قرارات وتوصيات لتنصير الأمة المصرية ولقد سرى أمر هذا المؤتمر سريان النار فى الهشيم لحوادث الفتن الطائفية وجنوح الشباب للعنف والتطرف .

خامسا : الفراغ الدينى لدى الشباب :

سبق أن ذكرت فى التمهيد لهذا الفصل أنه ما من نهضة تؤسس إلا على قاعدتين :

العقيدة ، الشباب . يرى هذا واضحا فى رسالات الأنبياء والمرسلين ومن خلال التربية الإسلامية للشباب ، ولكن ما حدث ويحدث لأبناء هذا الجيل أنه ينشأ على مناهج تعليمية صلتها بالدين صلة مقطوعة منذ بدء المرحلة الابتدائية وحتى انتهاء الحياة الجامعية لا أدل على ذلك من أن مادة التربية الدينية ينظر إليها بعدم الاهتمام والاكتراث وتوضع فى ذيل قائمة المناهج المقررة فتتساوى مع مادتى التربية الموسيقية والتدبير المنزلى يضاف إلى ذلك ما تقوم به بعض أجهزة الإعلام من وضع المسرحيات الهزلية التى تسخر من المدرس خاصة مدرس اللغة العربية فينهزم من داخله فيضعف تأثيره فى طلابه ، وليت المدرسة فحسب كانت من أسباب الفراغ الدينى لدى

الشباب ولكن هناك أمور كثيرة أحدثت هذا الانفصام بين الشباب والتدين منها :
١ – الأسرة وعدم رعاية أبنائها دينيا .
٢ – أجهزة الإعلام التى ساعدت بنصيب أوفر فى خلق هذا الفراغ الدينى حيث نجحت فى احتواء الشباب واستقطابه نحو متابعة الأفلام والمسلسلات مما يدفع الشباب إما إلى الانحلال الخلقى أو إلى التطرف الفكرى .

سادسا : خلو الميدان من الدعاة :

يعانى حقل الدعوة نقصا خطيرا فى عدد الدعاة نظرا لانصراف الناس عن الدراسات الدينية لعوامل كثيرة أهمها :

١ – طول الدراسة فى الأزهر وازدواج التعليم فيه .
٢ – انقراض حفظة القرآن الكريم .
٣ – عدم الاهتمام بالدعاة ماديا وأدبيا .
٤ – تناول أجهزة الإعلام رجل الدين بالتهكم والسخرية وذلك من خلال المسرحيات كمسرحية (الشيخ متلوف) ، (حلمك يا شيخ علام) وغير هذا كثير وكثير ....

هذه العوامل دفعت بالشباب بعيدا عن الأزهر وكاد يغلق أبوابه لولا أنه فتح الباب على مصراعيه للطلاب الذين أوصدت فى وجوههم أبواب التربية والتعليم لضعف المستوى وقلة المجموع فيتحملون أعباء الدعوة مرغمين ، ومن ثم أصبحت الدعوة وظيفة لا رسالة بل إن العديد من العاملين فى ميدان الدعوة لا يوسعون معارفهم بالاطلاع وذلك بسبب أعباء الحياة المرهقة وارتفاع سعر الكتاب ارتفاعا يجعله ليس فى متناول الدعاة والشباب ، فضلا عن عدم إجادة الكثير لحفظ القرآن الكريم . هذه العوامل مجتمعة أحدثت فجوة بين الدعاة والشباب فعزف الشباب عن الدعاة ورضى العلماء بهذا العزوف واستراحوا له ومن ثم جنح الشباب إلى الغلو والتطرف .

سابعا : عدم فقه الأدلة الشرعية :

كذلك من أسباب التطرف عدم الفهم الصحيح للأدلة الشرعية والأخذ بظاهر النص دون التعمق فى أسبابه ومقاصده ، وتغير ظروفه أو أن يعكف الشباب على قراءة بعض كتب السلف قراءة سطحية بدون معلم أو مرشد فيفهمون النص الشرعى من غير تعمق بل ويقطعونه عن سابقه ولا حقه لتبرير تطرفهم . وبجانب الأسباب السابقة فهناك أسباب أخرى تزيد من حدة التطرف ومنها على سبيل المثال لا الحصر :

١ ـ عدم فهم أسرار اللغة العربية والوقوف على أوجه البلاغة وأسرار البيان .

٢ ـ استنفاد الجهد فى القضايا الفرعية فكم من جدل ينشب وخلاف يشتد حول حلق اللحية أو الأخذ منها أو إسبال الثياب أو تحرك الأصبع فى التشهد أو مصافحة المرأة الأجنبية وعدم مصافحتها ـ واقتناء الصور الفوتوغرافية ، فى الوقت الذى يواجه فيه الإسلام بتكالب الأعداء عليه من كل حدب وصوب .

٣ ـ الإسراف فى التحريم . يقول الدكتور يوسف القرضاوى(١) :

« كان السلف لا يطلقون الحرام إلا على ما علم تحريمه جزما فإذا لم يجزم بتحريمه قالوا نكره كذا أولا نراه أو نحو ذلك من العبارات ولا يصرحون بالتحريم . أما الميالون إلى الغلو فهم يسارعون إلى التحريم دون تحفظ .. هم دائما مع شدائد ابن عمر ولم يقفوا يوما مع رخص ابن عباس » .

هذه الأسباب تضافرت جميعها على نشأة التطرف ودفعت بالشباب إلى أحضان الغلو والعنف .

جـ ـ مظاهر التطرف :

إن للتطرف مظاهر سلوكية تبرز من خلال تصرفات الإنسان وعلاقته بالآخرين ولقد عدد الدكتور يوسف القرضاوى مظاهر التطرف فى النقاط التى أوجزها فيما يلى :(٢)

١ ـ التعصب للرأى وعدم الاعتراف بالرأى الآخر .

---

(١) الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف د . يوسف القرضاوى ص٧٤

(٢) المرجع السابق ص ٣٩

٢ – إلزام جمهور الناس بما لم يلزمهم الله به .
٣ – التشدد فى غير محله .
٤ – الغلظة والخشونة .
٥ – سوء الظن بالناس .
٦ – السقوط فى هاوية التكفير .

هذه المظاهر جعلت البعض يتوجس خيفة وحذرا من التدين والمتدينين وكانت سببا رئيسيا فى الإحجام عن التطبيق العملى للإسلام ولقد كان أهم أثر من آثار التطرف وظواهره أنه اتخذ ذريعة لإحباط وتطويق التيار الإسلامى عامة المعتدل منه وغير المعتدل وهذا انتكاس لليقظة الإسلامية المعاصرة وتعويق للدعوة والدعاة فلقد حرم ميدان الدعوة من آلاف من الشباب الذين التزموا الإسلام التزاما عمليا طيبا وكانوا طلائع النهضة الإسلامية الحديثة ومحط آمال الإسلام والمسلمين ، ولكن هذه الآمال تبددت بسبب فئة تطرفت وتعسفت فى عدد من القضايا الفكرية التى سنتناولها بالبحث والدراسة فى الفصل التالى .

الفصل الثانى

القضايا الفكرية التى تطرف فيها الشباب

قبل أن نلقى الضوء على القضايا الفكرية التى دفعت الشباب إلى الغلو والتطرف فإنه مما تجدر الإشارة إليه أن هذا الفكر ليس وليد اليوم ولا الأمس القريب ولكنه ضارب فى أغوار الزمن وممتد فى أعماق التاريخ منذ فجر الإسلام ، ويكاد المؤرخون والباحثون يجمعون على أن الخوارج هم اللبنة الأولى لصرح المغالاة وذلك منذ خروجهم على الإمام على كرم الله وجهه بعد قضية التحكيم حيث قالوا قولتهم المشهورة : « لا حكم إلا لله » .

ورتبوا على هذا القول كفر الإمام على كرم الله وجهه والحكمين أصحاب الجمل وكل من رضى بالتحكيم كما أفرزت ساحة الصراع رد فعل لأعمال الخوارج وهو ظهور فئة تشيعت لآل البيت وتغالوا فى هذا غلوا أبعد الكثير منهم عن ساحة الإسلام الحق ، ولقد انقسم الخوارج إلى نحو عشرين فرقة يجمعهم مذهب واحد وهو تكفير أصحاب الذنوب وشذ عن ذلك الأباضية : (١) .

(حيث قالوا : إن العمل شرط لتمام الإسلام ولا يرون كفر العصاة من المسلمين ومن سماهم كفارا فإنما أراد كفر النعمة المرادف عند غيرهم لكلمة الفسق والمعصية) .

وعلى مدار التاريخ الإسلامى تظهر بين حين و آخر جماعة تشتط فى فكرها

---

(١) الحكم وقضية تكفير المسلم ــ سالم البهنساوى ص٤

وتغلو فى آرائها ومن ذلك ما ظهر فى عصر المأمون من جماعة القرامطة والباطنية الذين تأولوا فى الدين تأويلات أسقطت الفرائض وأباحت المنكرات كذلك ظهرت فرق وجماعات كثيرة يطول المقال إذا ما تعرضنا لها بالبحث .

وعلى هذا فالفكر المتطرف روافده فكر الخوارج والأفكار الأخرى برزت خلال مسيرة الدعوة والدعاة عبر التاريخ الإسلامى وهو فكر متداخل ومتفرع تفريعات عديدة يصعب تناولها فى فصل واحد خلال ثنايا هذه الرسالة ولهذا فقد حصرت ذلك الفكر فى أمهات القضايا الرئيسية قبل أن أتناولها بالبحث والدراسة فإنه يجدر التعريف لغويا بالكلمات التالية :

١ ـ الغلو　　　　٢ ـ التطرف　　　　٣ ـ التشدد

الغلو جاء فى لسان العرب[1] .

غلى الشيء غلولا وانغل وتغلل دخل فيه ، يكون فى الجواهر والأعراض وغل بصر فلان حاد عن الصواب .

وجاء فى المصباح المنير[2] غلا فى الدين غلوا من باب قعد تصلب وتشدد حتى جاوز الحد وفى التنزيل « لا تغلوا فى دينكم »

٢ ـ التشدد جاء فى لسان العرب « الشدة الصلابة وهى نقيض اللين وكل ما أحكم فقد شد وشدد والمشادة المغالبة . والمشادة فى الشيء التشدد فيه » .

٣ ـ التطرف :

« الطرف بالتحريك الناحية من النواحى وتطرف الشيء صار طرفا وطرف كل شيء منتهاه » وأصله فى الحسيات كالتطرف فى الوقوف والجلوس ثم انتقل إلى المعنويات كالتطرف فى الدين أو الفكر أو السلوك .

وعلى هذا فالغلو والتشدد مجاوزة حد الاعتدال والنأى عن التوسط فى الأمور والأدلة الشرعية من القرآن والسنة تنهى عنه وتحذر من مغبته هذا ومما تجدر ملاحظته

---

(١) لسان العرب ص٣٢٨٩

(٢) المصباح المنير ص٥٤٣

أن التطرف والتشدد تختلف النظرة إليهما والحكم عليهما باختلاف البيئات فمن نشأ فى بيئة متدينة فإنه يعتبر أقل تقصيرا وذنبا عظيما وجرما كبيرا ، وأن حرصه الشديد على استكمال أعمال الإسلام فى نفسه ليس تطرفا بل هو الحق الذى يلتزم به ويدعو الآخرين إليه .

ومن نشأ فى بيئة صلتها بالدين شبه منقطعة فإنه يعتبر أى تمسك بالدين تطرفا حتى إنه يعد من يلتزم بالسنة فى المأكل أو الملبس أو إطلاق اللحية أو ارتداء الفتاة المسلمة للحجاب تطرفا ومن يطالب بتطبيق الشريعة مغاليا ومتشددا ، وهذا خلط للأمور ومزج بين الخطأ والصواب . هذا ومن المسائل التى تطرف فيها الشباب ما يلى :

أولا : الإعراض عن العلماء وعدم الأخذ عنهم .
ثانيا : عدم العذر بالجهل .
ثالثا : تكفير المجتمع واعتزاله والهجرة منه .
رابعا : الخروج على الحاكم وقتاله .

هذا ولقد راعيت فى الترتيب السابق التسلسل الفكرى ، فإن كل مسألة تأخذ بسابقتها وتمهد لما بعدها . فهذا الفكر يبدأ بالنأى عن العلماء وينتهى إلى الخروج على الحاكم وقتاله وسوف أستعرض كل قضية من هذه القضايا فى ضوء الأدلة الشرعية متوخيا الحقيقة العلمية المجردة والانتصار للحق أيا كان وجهته فى إيجاز غير مخل إن شاء الله تعالى .

أولا : الإعراض عن العلماء :

وهو أولى خطوات التطرف حيث لا يأبه الشباب برأى عالم أو يسترشدون بأقوال فقيه بل يقرأون النص من الكتاب والسنة يعملون فيه رأيهم دون أخذ أو مناقشة أو مراجعة للعلماء بل إنهم أسقطوا جهود الفقهاء عبر العصور المتتالية مع ملاحظة أن علماء السلف والخلف رضوان الله عليهم لم يتركوا مسألة فى العقيدة أو التشريع إلا أدلوا فيها برأيهم . فيكف استساغ أحداث السن أن يدلوا بدلوهم فى أمور خطيرة تمس العقيدة دون الرجوع إلى هؤلاء الأعلام ؟

يقول قائلهم :[1]

« إن الله سبحانه أنزل لنا كتابه وأوحى إلى النبي ﷺ ما أوحى فأصبح القرآن والسنة هما الحجة على العالمين وأنه لا رأى لفقيه أو لعالم أو لهيئة فوق كلام الله سبحانه وكلام الرسول ﷺ » .

وهذا كلام ونظائره من أقوالهم مقبول بل ومجمع عليه فيما فيه نص وفق القاعدة الأصولية .

« لا اجتهاد مع النص » وكما اشتهر عن أئمة المذاهب يقول كل منهم إذا صح الحديث فهو مذهبى .... إلخ . ولكن مالا نوافق عليه ولا نقبله إغفال آراء العلماء عبر التاريخ الإسلامى فهذا يلغى عقل الأمة وفكرها وقد قال تعالى:[2]

﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾ .

ومن عوامل حفظه أن الله قيض له العلماء والفقهاء العاملين بعلمهم بحيث لا يخلو قرن من القرون من عالم حجة أو فقيه مجدد أو داعية مرشد ، والقرآن الكريم يأمر بتخصيص جماعة يرجع إليها فى العلم والمشورة والفتوى : قال الله تعالى:[3]

« فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون » .

ويحث القرآن على الفهم والاستنباط قال تعالى :[4]

﴿ **وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم** ﴾ .

وإن لهؤلاء المعرضين عن العلماء والمتأففين منهم فى رسول الله ﷺ أسوة حسنة فلقد كان فى الإمكان أن يتلقى مباشرة من الله سبحانه ، ولكن جبريل عليه السلام

---

(١) اللواء الإسلامى ـ السنة الأولى العدد ١٦ رجب ١٤٠٠هـ

(٢) سورة الحجر آية ٩

(٣) سورة التوبة آية ١٢٢

(٤) سورة النساء آية ٨٣

كُلّف ليكون المبلغ والمعلم عن الله لرسوله ﷺ :

ولقد أشاد القرآن بفضل جبريل وعلمه فقال تعالى : ﴿ **علّمه شديد القوى** ﴾ (١) .

وإن مجيء جبريل وجلوسه بين يدى الرسول ﷺ على الهيئة التى روى بها حديث عمر بن الخطاب « الإسلام والإيمان والإحسان » مما يشير إلى وجوب التزام المتعلم بالمعلم والخضوع له والتأدب معه . وموسى عليه السلام رغم نبوته وأنه كليم الله تلقى العلم من رجل يصفه القرآن الكريم بقوله تعالى (٢)

﴿ **فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما** ﴾ .

ويلازمه موسى عليه السلام ويتشدد العبد الصالح فى إلقاء الأوامر مما يرشد بجواز تلقى الفاضل من المفضول .

ثم هناك قدرات خاصة لمن يريد أن يأخذ من الأدلة الشرعية مباشرة دون الرجوع للعلماء ومن هذه القدرات :

أن يكون على إلمام باللغة العربية وأسرارها ويميز بين الألفاظ الحقيقية والكنايات وأن يفرق بين العام والخاص والمطلق والمقيد والمجمل والمفصل ، وأن يقف على حقيقة الواجب والمندوب ، وهذا كله لا يمكن للشباب أن يحصله بدون معلم أو أن يسبر أغواره من غير موجه ويقف على أسرار البيان فى معانى القرآن .

هذا وإن النأى عن العلماء لهو غرور بين وانحراف واضح لاسيما وأننا فى عصر التخصص والمتخصصين وإذا كان القانون والعرف يدينان من يزاول مهنة وهو ليس من أهلها فكيف يترك الدين لكل شارد ووارد من أحداث السن الذين يضيقون ذرعا بالعلماء وينهون عن التلقى منهم وينأون عنهم بل وينالون منهم ولقد كان السلف والخلف يفخرون بأنهم لم يأخذوا العلم من الصحف وإنما أخذوه عن أساتذة لهم وكلما كثر هؤلاء الأساتذة عد الآخذ عنهم أنه أصبح مأمون الخطأ مقبول القول لدى الآخرين فكانت توجد الإجازات العلمية بحيث لا يسمح للعالم بأن يجلس

---

(١) سورة النجم آية ٥

(٦) سورة الكهف آية ٦٥

للتدريس أو أن يتصدى للفتوى إلا إذا أجيز من شيوخه وما الاجازات العلمية الموجودة الآن إلا نماذج للأخذ عن العلماء ولهذا قالوا :[1]

« لا يؤخذ القرآن من مصحفى ولا العلم من صحفى » .

يعنون بالمصحفى الذى حفظ القرآن من المصحف دون أن يتلقاه بالرواية والمشافهة من شيوخه وقرائه المتقنين ويعنون بالصحفى الذى أخذ العلم من الصحف وحدها من غير أن يتتلمذ على أهل العلم ويتخرج على أيديهم . مما سبق يتضح أن البعد عن العلماء كان أولى خطوات التطرف ومن أهم الأسباب التى دفعت الشباب إلى المسائل التى سأتناولها فى الأبحاث التالية إن شاء الله .

ثانيا : عدم العذر بالجهل :

اتضح من خلال العرض السابق أن الإعراض عن العلماء كان سببا فى انحدار الشباب إلى متاهات الغلو والتطرف والخوض فى أمور جنحت بهم بعيدا عن الفهم الصحيح للإسلام ومن هذه الأمور :

عدم العذر بالجهل الذى اتخذ ذريعة لتكفير المسلمين والانعزال عنهم واستباحة دمائهم وهذه القضية تبارت فيها عقول مفكرى الإسلام قديما غير أنها برزت على ساحة الفكر فى الآونة الأخيرة ، فيثور الجدل ويحتدم النقاش كلما برز هذا السؤال .

ما حكم من أتى ذنبا وهو جاهل بأحكام الشرع ؟ هل يأثم أم يعذر بجهله ؟

لقد تعددت الآراء وتضاربت وكثرت الاستدلالات والرد عليها . وقبل أن نستعرض أدلة القائلين بعدم العذر بالجهل وتوضيح مدى خطورة هذا الفكر فمما يجدر ملاحظته أن توجد عوارض تعترى الإنسان تسقط عنه التكليف سواء بصورة كلية أو جزئية وهى تنقسم إلى قسمين :

القسم الأول : عوارض ليست من قبل المكلفين أنفسهم مثل :

١ - الجنون ٢ - العته ٣ - النسيان ٤ - الإغماء

٥ - النوم

وهذا القسم يرفع الحرج والتكليف عمن أصيب به

---

(١) الصحوة الإسلامية . يوسف القرضاوى ص٩٠

القسم الثانى : عوارض تأتى من قبل المكلفين أنفسهم مثل :
١ - السفه ٢ - السُّكْر ٣ - الإكراه ٤ - الخطأ .
٥ - الجهل وهو موضوع بحثنا :

ولقد استدل القائلون بعدم العذر بالجهل بأدلة نذكر منها ما يلى :
١ - قول الله تعالى : (١) .

﴿ وإذ أخـذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون ﴾ .

فاستدلوا بهذا على عدم العذر بالجهل وفق هذا الميثاق . قال الشيخ رشيد رضا : (٢)

« الآيات تدل على أن من لم تبلغه بعثة الرسول لا يعذرهم يوم القيامة بالشركة بالله تعالى ولا بفعل الفواحش والمنكرات التى تنفر منها الفطرة السليمة وتدرك ضررها وفسادها العقول المستقلة وإنما يعذرون بمخالفة هداية الرسل فيما شأنه ألا يعرف إلا منهم وهو أكثر العبادات التفصيلية ، وبهذا لا يقبل من الخلق الاعتذار بالجهل وبمثل هذا التفسير ونظائره استمدوا آراءهم وبالغوا فيها »

٢ - روى مسلم فى صحيحه عن عائشة رضى الله عنها قالت : (٣)

« قلت: يا رسول الله، ابن جدعان كان فى الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين فهل ذلك نافعه ؟ قال: لا ينفعه إنه لم يقل يوما رب اغفر لى خطيئتى يوم الدين » .

---

(١) الأعراف آيتا ١٧٢ ، ١٧٣

(٢) تفسير المنار - الشيخ محمد رشيد رضا جزء٩ ص٣٨٨

(٣) صحيح مسلم شرح النووى جـ٣ ص٧٩

٣ - روى الإمام أحمد عن طريق ابن شهاب أن رسول الله ﷺ قال : (١)
«دخل الجنة رجل فى ذباب ودخل النار رجل فى ذباب قالوا: وكيف ذلك يارسول الله ؟ قال : مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجوزه أحد حتى يقرب له شيئا فقالوا لأحدهما :
قرب قال : ليس عندى شيء أقرب قالوا : قرب ولو ذبابا فخلوا سبيله فدخل النار . وقالوا : للآخر فقال : ما كنت لأقرب لأحد شيئا دون الله عز وجل فضربوا عنقه فدخل الجنه » .

فاستدلوا بهذا الحديث بكفر من أتى شيئا على سبيل الإكراه والجهل .
فاستنتجوا من ظواهر هذه الأدلة ونظائرها-واستندوا أيضا إلى ما يراه المعتزلة القائلون بالتحسين والتقبيح العقليين- أن الإنسان جبل على معرفة الخير من الشر وأنه لا يعذر لجهله ولقد ترتب على هذا القول عدم نجاة أهل الفطرة ، وكذلك من لم تبلغهم الدعوة و لم يعذروا عوام المسلمين الواقعين بين براثن الأمية والجهل فأعلنوا أن المسلمين فى هذا الزمن فسدت عقيدتهم وخرجوا عن دين الله لجهلهم جل أحكام الإسلام .

وهذا الفكر جد خطير فهو يؤدى إلى إخراج الجم الغفير من المسلمين من حظيرة الإسلام وهو مخالف لفكر جمهور أهل السنة والجماعة الذين يقررون ما يلى :
« أن من ثبت له عقد الإسلام بالشهادتين أو كونه ولد لأبوين مسلمين فإنه لايزول عنه الإسلام وإن خالف الشرع فى أمر من أمور الدين إلا أمرا حكم الشرع بكفر فاعله ويكون عامدا عالما بالتحريم » أما من خالف الشرع مع الجهل فإما أن يكون بدار الإسلام حيث تتوافر مظنة العلم ويسهل طلبه ، أو ليس بدار الإسلام بحيث لا تتوافر مصادر العلم والمعرفة .

فإن كان الجاهل فى دار الإسلام بحيث يتمكن من السؤال والمعرفة فإنه يكون

(١) صحيح مسلم شرح النووى جـ٣ ص٧٩

عاصيا ولا عذر بجهله ولكن هذا العصيان لا يخرجه من حظيرة الإسلام ويعذر على تقصيره .

وإن كان الجاهل ليس فى دار الإسلام أو نشأ ببادية أو مكان منعزل أو شوه له الإسلام بحيث لا يعرف عنه شيئا إلا ما يلقى من أباطيل وأكاذيب ينشرها أعداؤه ولم تتوافر مصادر المعرفة فإنه يعذر بجهله حتى تقام عليه الحجة فإن أقيمت الحجة فأنكر كفر بذلك .

وهذا الرأى أرجحه وأختاره للأدلة الكثيرة التى أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلى :

١ ـ قال الله تعالى (١)

﴿ **وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا** ﴾ .

قال ابن كثير فى تفسيرها : (٢)

« إخبار عن عدل الله وأنه لا يعذب أحدا إلا بعد قيام الحجة عليه بإرسال الرسل إليه».

وقال القرطبى : (٣)

« وفى هذا دليل واضح على أنه لا يجب شىء من ناحية العقل » .

٢ ـ قال تعالى : (٤)

﴿ **رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما** ﴾ .

يقول الإمام الشنقيطى : (٥)

« إن الله جل وعلا لا يعذب أحدا من خلقه لا فى الدنيا ولا فى الآخرة

---

(١) سورة الإسراء آية ١٥
(٢) ابن كثير مجلد ٥ ص٥٠
(٣) تفسير القرطبى ص٢٠١٤
(٤) سورة النساء آية ١٦٥
(٥) أضواء البيان: للإمام الشنقيطى جـ٣ ص٤٢٩

حتى يبعث رسولا فينذره ويحذره فيعصى ذلك الرسول ويستمر على الكفر والمعصية بعد الإنذار والإعذار » .

٣ ـ قال تعالى : (١)

﴿ وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون ، ذكرى وما كنا ظالمين ﴾ .

فعد الله من يعذب بدون إرسال الرسل ظلما ونفاه عن ذاته عز وجل ثم هناك آيات كثيرة يضيق المقال عن ذكرها .

ومن السنة الشريفة يستدل على العذر بالجهل بأدلة كثيرة نذكر منها :

١ ـ ما روى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :

« قال رجل لم يعمل حسنة قط لأهله إذا أنا مت فأحرقونى ثم اسحقونى ثم ذرونى فى اليم فوالله لأن قدر الله على ليعذبنى عذابا ما عذبه أحداً من العالمين ففعلوا به ذلك فقال الله له ما حملك على ما فعلت قال خشيتك ـ فغفر له » .

فهذا الرجل شك فى قدرة الله وفى إعادته إذا ما ذرى جسده وهذا كفر باتفاق المسلمين لكن كان الرجل جاهلا لا يعلم ذلك .

٢ ـ روى قتادة عن عبد الأسود بن سريع عن النبى ﷺ أنه قال : (٢)

« يعرض على الله سبحانه وتعالى الأصم الذى لا يسمع شيئا والأحمق والهرم ورجل مات فى الفطرة فيقول الأصم : رب جاء الإسلام وما أسمع شيئا ، ويقول الأحمق : رب جاء الإسلام وما أعقل شيئا، ويقول الذى مات فى الفطرة : رب ما أتانى لك من رسول فيأخذ الله مواثيقهم لَيُطيعُنَّه فيرسل الله تعالى إليهم:ادخلوا النار.فوالذى نفسى بيده لو دخلوها لكانت عليهم بردا وسلاما » .

فيؤخذ من هذا الحديث أن الله تعالى لا يكلف أحدا بما ليس فى طاقته .

---

(١) الشعراء آيتا ٢٠٨ ، ٢٠٩

(٢) الإحكام فى أصول الأحكام لابن حزم حـ١ ص٦٠

قال تعالى :

﴿ لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ﴾[1]

كذلك ممن يرى العذر بالجهل الإمام ابن تيمية فلقد جاء فى كتاب الفتاوى مايلى :

« هذا مع أنى دائما ومن جالسنى يعلم ذلك منى أنى من أعظم الناس نهيا عن أن ينسب إلى معين تكفير وتفسيق ومعصية إلا إذا قامت عليه الحجة الرسالية التى من خالفها كان كافرا تارة وفاسقا أخرى ، وعاصيا أخرى وإنى أقرر أن الله قد غفر لهذه الأمة خطأها وذلك يعم الخطأ فى المسائل الخبرية والقولية والمسائل العملية ومازال السلف يتنازعون فى كثير من هذه المسائل و لم يشهد أحد منهم على أحد لا بكفر ولا بفسق ولا معصية »[2]

ويزيد ابن تيمية الأمر إيضاحا لتنقطع حجج المتأولين والمفترين عليه الذين ينسبون إليه أصول آرائهم وتطرفهم الفكرى فيقول رحمه الله :

« وحقيقة الأمر فى ذلك أن القول قد يكون كفرا فيطلق القول بتكفير صاحبه ويقال : من قال كذا فهو كافر لكن الشخص المعين الذى قاله لا يحكم بكفره حتى تقوم عليه الحجة التى يكفر قائلها .

ويستطرد رحمه الله قائلا :

ثم الشخص المعين ينتفى حكم الوعيد فيه بتوبة أو حسنات ماضية أو مصائب مكفرة أو شفاعة مقبولة .

فإنه وإن كان القول تكذيبا لما قاله الرسول ﷺ لكن قد يكون الرجل حديث عهد بالإسلام أو نشأ ببادية بعيدة وقيل هذا لايكفر بجحد ما يجحده حتى تقوم عليه الحجة وقد يكون الرجل لا يسمع تلك النصوص أو سمعها ولم تثبت عنده أو عارضها عنده معارض آخر أوجب تأويلها وإن كان مخطئا »[3]

مما سبق عرضه من كلام الإمام ابن تيمية يتضح أيما إيضاح أنه من القائلين بالعذر

---

(١) سورة البقرة .

(٢) مجموعة فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية جـ٣ ص٢٢٩

(٣) المرجع السابق جـ٣ ص٢٣١

بالجهل خلافا لما ألصق به . هذا ومما يقطع حجج القائلين بعدم العذر بالجهل أن الرسول ﷺ تقبل أعذار بعض المسلمين الذين ارتكبوا أعمالا عن عمد فلم يكفرهم بهذه الأعمال ولم يطلب منهم إعادة النطق بالشهادتين والأمثله عديدة غير أننى أسوق بعضا منها فيما يلى :

أولا : عن عبد الله بن أبى أوفى قال :

« لما قدم معاذ من الشام سجد للنبى ﷺ فقال: ما هذا يا معاذ ؟ قال : أتيت الشام فوجدتهم يسجدون لأساقفتهم وبطارقتهم فوددت فى نفسى أن أفعل ذلك لك فقال رسول الله ﷺ فلا تفعلوا فلو كنت آمرا أحدا أن يسجد لغير الله لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها »(١)

ولقد استدل الإمام محمد بن على الشوكانى بهذا الحديث فى أن من سجد جاهلا لغير الله لم يكفر(٢)

فما أقدم عليه معاذ رضى الله عنه أمر يمس أهم شىء فى الإسلام وهو التوحيد .

ثانيا : ما رواه البخارى عن أبى واقد الليثى قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ قبل خيبر ونحن حديثو عهد بكفر وللمشركين سدرة يلتفون حولها وينوطون بها أسلحتهم فقالوا :

يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط فقال : الله أكبر قلتم كما قالت بنو إسرائيل لموسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة .... الخ الحديث فلم يعلن الرسول ﷺ كفرهم ولم يطلب منهم إسلاما جديدا .

ثالثا : روى الإمام مسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما :(٣)

« أن رجلا أهدى لرسول الله راوية خمر فقال النبى ﷺ : هل علمت أن الله حرمها ؟

فقال : لا فسار الرجل رجل آخر قال ﷺ فبم ساررته ؟

---

(١) رواه أحمد وابن ماجة

(٢) نيل الأوطار للشوكانى جـ٦ ص٢٣٦

(٣) الراوية : القربة

قال : أمرته ببيعها

فقال النبى ﷺ إن الذى حرم شربها حرم بيعها ففتح الرجل المزادة « القربة » حتى أذهب ما فيها (١)

فيستدل بهذا الحديث على أن رسول الله ﷺ قبل عذر الرجل لأنه جهل تحريم الخمر وبين له الحكم بدون تعنيف أو تكفير .

مما سبق يتضح أن العذر بالجهل مبدأ من مبادىء الإسلام اتفق عليه جمهور العلماء من أهل السنة ، وإذا كان الأمر كذلك فإن من موجبات البحث تصحيح فكر القائلين بعدم العذر بالجهل وأن نرد على ما ساقوه من أدلة لم يحسنوا فهمها . فمن هذه الأدلة :

أولا : قول الله تعالى :

﴿ وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ﴾ ...إلخ الآية فيستدلون بهذه الآية على مذهبهم بالعهد المأخوذ على بنى آدم منذ الأزل وعلى هذا فتوحيد الله والإيمان به ومعرفة الفضائل والرذائل تدرك بالعقل وفق هذا الميثاق ولا عذر بالجهل سواء وجدت مظنة العلم كدار الإسلام أم لم تثبت وهذا شطط فى القول وغلو فى الفكر ، إذ إن العهد المأخوذ على بنى آدم ليس عهد تكليف وقطع أعذار ولكنه عهد الفطرة التى فطر الله الناس عليها ، وميثاق مودع فى كيان الإنسان بحيث لو استنطقت كل خلية لنطقت بالخالق الله سبحانه وتعالى .

غير أن العهد المأخوذ على البشر لا يتذكرونه ولا يعرفون عنه شيئا إلا عن طريق الوحى بدليل قول الله تعالى (٢)

﴿ والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا ﴾ .

قال القرطبى فيها ثلاثة أقاويل :

أحدها : لا تعلمون شيئا مما أخذ عليكم من الميثاق فى أصلاب آبائكم .

---

(١) القرطبى جـ٦ ص٢٨٩

(٢) سورة النحل آية ٧٨

الثانـى : لا تعلمون شيئا مما قضى عليكم من السعادة والشقاء .

الثالث : لا تعلمون شيئا من منافعكم »(١)

ولقد نفى الله سبحانه وتعالى المؤاخذة والتعذيب إلا بعد إقامة الحجة بإرسال الرسل قال تعالى (٢) ﴿ **وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا** ﴾ .

جاء فى أضواء البيان :(٣)

« الآيات القرآنية مصرحة بكثرة بأن الله تعالى لا يعذب أحدا حتى يقيم عليه الحجة بإنذار الرسل وهو دليل على عدم الاكتفاء بما نصب من الأدلة وما ركز فى الفطرة وقد قال الله « نبعث رسولا » ولم يقل نخلق عقولا وننصب أدلة ونركز فطرة » .

فالذى تقوم عليه الحجة وينقطع به العذر هو إرسال الرسل هذا ولقد أوضح الله سبحانه وتعالى أن جميع من فى النار قد قطع عذرهم فى الدنيا بإرسال الرسل ولم يكتف بالعهد أو الأدلة المبثوثة فى الكون على وجود الخالق قال تعالى :(٥)

﴿ **كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا** ﴾ .

وبهذا تسقط دعاوى من يستدل بآية الأعراف على عدم العذر بالجهل .

ثانيا : استدل أصحاب هذا الرأى بما روى عن السيدة عائشة رضى الله عنها قالت :

« يا رسول الله إن ابن جدعان كان فى الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين فهل ذلك نافعه قال لاينفعه ...»الخ الحديث .

فليس فى هذا الحديث دليل على ما ذهبوا إليه من عدم العذر بالجهل فإن الرسول

---

(٢) القرطبى ص٣٧٦٧ مطبعة الشعب

(٢) سورة الاسراء الآية (١٥) .

(٣) أضواء البيان للإمام الشقيطى جـ٢ ص٢٠١

(٤) سورة الملك آيتا ٨ ، ٩

ﷺ لم يخبر أن ابن جدعان فى النار ولكنه ﷺ أخبر أن ما قدمه من عمل لا يفيده ولا يثاب عليه قال تعالى :

﴿ **وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا** ﴾(1) .

ثالثاً : ما رواه الإمام أحمد عن طريق ابن شهاب من حديث دخل الجنة رجل فى ذباب ودخل النار رجل فى ذباب إلى آخر الحديث فيجاب عن ذلك الحديث بأمرين :

الأول : أن العذر بالإكراه من خصائص هذه الأمة وأن هذا من الإصر الذى رفع عن أمة الإسلام يشهد بهذا دليل المخالفة فى قوله ﷺ :

« إن الله تجاوز عن أمتى الخطأ والنسيان وما أكرهوا عليه » .

فإنه يفهم من قول الرسول ﷺ « تجاوز عن أمتى » أن غير أمته لايتجاوز عنه الإكراه .

هذا ولقد استثنى الله الإكراه من المؤاخذة قال تعالى :

﴿ **إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان** ﴾(2) .

وبهذا يحمل الحديث على أنه من خصائص الأمم السابقة .

الأمر الثانى : يرد عليهم بأنه يفهم من الحديث أن الأول رفض تقديم شىء لأنه لا يملك وحينما دل على ما يقربه ولو ذبابا قدمه مطمئنة بها نفسه .

والثانى رفض التقديم بحجة أنه لا يقدم لغير الله فصارت له الجنة . وعلى هذا فلا يستدل بهذا الحديث على عدم العذر بالجهل أو الإكراه .

ومما يقطع حجج القائلين بعدم العذر بالجهل أن الصحابة رضوان الله عليهم لم يقيموا الحد على من ارتكب كبيرة على سبيل الجهل والأدلة فى هذا كثيرة غير أننى

---

(١) سورة الفرقان :آية ٢٣

(٢) سورة النحل:آية ١٠٦

أسوق الدليل التالى لكيلا تبقى أدنى شبهة فى موضوع العذر بالجهل :

حدث هشام بن عروة عن أبيه عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب قال : (١)

(توفى عبد الرحمن بن حاطب وأعتق من خلى من رقيقه ، وكانت له نوبية قد صلت وصامت وهى أعجمية لم تفقه فلم يرعه إلا حبلها وكانت ثيبا فذهب إلى عمر بن الخطاب فحدثه فأرسل إليها عمر فسألها فقال :

« إن الله وضع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه » .

وبهذا يتهاوى أهم صرح من صروح التطرف وأخطره وهو عدم العذر بالجهل الذى بنوا عليه جل مسائلهم ومنها تكفير المجتمع واعتزاله الذى سنتناوله إن شاء الله فى المبحث التالى .

ثالثا : تكفير المجتمع واعتزاله :

من المسائل التى تطرف فيها بعض الشباب مسألة تكفير المسلم وما ترتب على هذا من مقاطعة المسلمين واعتزالهم وهذه القصة قديمة ترجع إلى صدر الإسلام حينما ظهر الخوارج على ساحة الدعوة وقالوا بتكفير مرتكب الكبيرة مخالفين فى ذلك أهل السنة والجماعة مما حدا بالمعتزلة على أن يقولوا : إن مرتكب الكبيرة فى منزلة بين المنزلتين ولقد كان يظن أن مثل هذه الآراء طويت واندثرت ولكن برز هذا الفكر من جديد وجاء من يعتقد أن المجتمع كافر وأنه قد رجع القهقرى إلى الجاهلية التى كانت سائدة قبيل بعثة الرسول ﷺ ومن ثم فالمسلمون كافرون وإن صاموا وصلوا ووجد من يضيف إلى ذلك الفكر بدعة المفاصلة الشعورية وهى :

« مجاراة المسلمين فى عباداتهم ومعاملاتهم مع الاعتقاد بكفرهم وتأولوا ذلك بأنهم فى عصر الاستضعاف » .

هـذا وقبل أن نأتى على هذا الفكر فنجلو ظلمته ونبدد شبهته فينبغى أن نقف على معنى الكفر فى اللغة العربية فلقد جاء فى لسان العرب مايلى : (٢)

« أصل الكفر لغة تغطية الشىء تغطية تستره » قال الليث :

« إنما سمى الكافر كافرا لأنه غطى قلبه كله وكل من ستر شيئا فقد كفره وكفره

---

(١) الإحكام فى أصول الأحكام لابن حزم جـ٤ ص١٨١

(٢) لسان العرب ص٣٨٩٨

والكافر الزارع لستره البذر فى التراب » .

الكفر شرعا :

جحد ما ثبت من الدين بالضرورة .

أنواع الكفر : [1] :

الكفر صنفان أحدهما الكفر بأصل الإيمان وهو أربعة أنواع :

١ - كفر إنكار :

وهو أن يكفر بقلبه ولسانه ولا يعرف ما يذكر له من التوحيد .

٢ - كفر جحود :

أن يعترف بقلبه ولا يقر بلسانه ككفر ابليس وأمية بن أبى الصلت ومنه قوله تعالى :

﴿ **فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به** ﴾ يعنى كفر جحود .

٣ - كفر معاندة :

وهو أن يعرف الله بقلبه ويقر بلسانه ولا يدين به حسدا وبغيا ككفر أبى جهل وأضرابه .

٤ - كفر نفاق :

وهو أن يقر بلسانة ويكفر بقلبه فمن لقى الله سبحانه وتعالى بشىء من هذه الأنواع لن يغفر الله له قال تعالى :

﴿ **إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** ﴾ .[2]

ثانيهما : ما يطلق عليه كلمة الكفر مجازا فقد وردت بعض النصوص ظاهرها يفيد الكفر أو الشرك بقصد الزجر والتخويف من الوقوع فى المعاصى ولا يقصد من تلك النصوص الخروج على الإسلام وذلك لورود أدلة عديدة لا تنفى الإسلام عمن ارتكب ذنبا من الذنوب التى أطلق لفظ الكفر على من اقترفها فمن الأحاديث

---

(١) الحكم وقضية تكفير المسلم البهنساوى ص٦

(٢) سورة النساء الآية ٤٨ .

النبوية التى تصف بعض الذنوب بالكفر على سبيل المجاز مايلى :

١ ـ جاء فى الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال :

« من حلف بغير الله فقد أشرك وفى رواية فقد كفر » .

٢ ـ قال ﷺ : « سباب المسلم فسوق وقتاله كفر » رواه البخارى ومسلم .

٣ ـ قال عليه الصلاة والسلام « من أتى حائضا فقد كفر » .

٤ ـ قال ﷺ عن النساء :

« فرأيت أكثر أهلها « النار » النساء لكفرهن قيل أيكفرن بالله ؟ قال ﷺ : لا ولكن يكفرن الإحسان ويكفرن العشير » .

فهذه الأحاديث أطلقت كلمة كفر والشرك وقصد بهذا الزجر والوعيد الشديدين .

القواعد التى يبنى عليها تكفير المجتمع :

هذا الفكر المتطرف يرتكز على قواعد منها مايلى :

١ ـ الحاكمية ومعناها : الخضوع لحاكمية الله وحده ؛ لأن المسلمين فى عصرنا لا يدركون معنى شهادة أن لا إله إلا الله وبالتالى لم يدخلوا الإسلام وهى نفس الكلمة التى ترددت إبان الفتن بين الإمام على ومعاوية حينما صاح الخوارج بكلمة « الحكم لله » .

٢ ـ لا إيمان بلا عمل .

٣ ـ من لم يكفر الكافر فهو كافر .

٤ ـ الفهم المباشر للأدلة الشرعية دون الرجوع لعلماء السلف أو الخلف .

٥ ـ عدم العذر بالجهل والذى بحث فى فصل سابق .

٦ ـ البيعة لإمام الجماعة[١] وهى شرط أى جماعة إسلامية بل الجماعة التى ينتسبون إليها فقط .

---

(١) الحكم وقضية تكفير المسلم ص٣١

ومن لم يبايع إمامهم وينخرط فى جماعتهم فهو كافر ، وإن صلى وصام وكان فى جماعة أخرى وذلك اعتقادا منهم بأن جماعتهم هى جماعة المسلمين أما غيرها فهى تساعد على استمرار الجاهلية بسبب عدم مفاصلة المجتمع وإعلان كفره .

تحديد أصحاب هذا الفكر :

إن من المتعذر حصر هذا الفكر فى جماعة إذ إنهم جماعات شتى ولكل جماعة أمير يبايعونه ومنهج يلتزمون به ، ومما يزيد البحث صعوبة ووعورة أن هذا الفكر لا ينتشر فى كتب تطبع وتوزع ولكن يتناقله الأعضاء فحسب بمذكرات بخط اليد توزع على أفراد الجماعة أو بواسطة أشرطة تسجيل أو من خلال ندواتهم واجتماعاتهم التى ينأون بها بعيدا عن الأعين ، والكثير من أعضاء تلك الجماعات يتخذون مبدأ الكمون والتستر هذا وإن الجهة الوحيدة التى تقف على مبادئهم وتعرف الكثير عن تلك الجماعات هى أجهزة الأمن وهى بدورها تشارك فى هذا الغموض فلا تطلع علماء الأزهر ورجالات الفكر على مطبوعاتهم وآرائهم وأدلتهم التى يعتقدونها ليتمكن العلماء من مناقشتهم والأخذ بيدهم إلى الصواب .

ولهذا سأرجع إلى التقسيم الذى قسمه المستشار البهنساوى فلقد قال :(١)

« انقسم اصحاب هذا الفكر إلى طائفتين :

١ ـ طائفة أظهرت أنها لاتقول بكفر من خالفهم وبالتالى فإن الذين لايؤمنون بهذا الفكر ليسوا كفارا وتجوز الصلاة خلفهم وأيضا زوجات أصحاب هذا الفكر لسن كافرات ولا ضرورة لفسخ عقود زواجهن .

٢ ـ طائفة تمسكت بالمفاصلة الصريحة ، وأعلنت كفر إخوانهم الذين لايقولون بكفر من خالفهم ولو كانوا من الآباء والأمهات .

ولقد قسموا المسلمين إلى عدة أقسام :

١ ـ من آمن بالفكر واتبعه فهو المسلم الذى له الولاء الكامل .

٢ ـ من آمن بالحاكمية فقط ولم يؤمن بالجماعة أو لم ينخرط فيها لسبب ما فلا ولاء له وحكمه حكم الكافر .

---

(١) الحكم وقضية تكفير المسلم ص٣٧

٣ ـ من لم يؤمن بالعقيدة و لم يحاربها ووقف منها موقفا سلبيا تبلغ إليه الدعوة فإن التزم بمفهومها الكامل فهو المسلم له الولاء الكامل وإن آمن بالمفهوم دون الالتزم فلا ولاء له وحكمه حكم الكافر .

٤ ـ كل من حارب الفكر فهو كافر والعداء له صريح .

وبهذا القسم الشاذ أخرجوا المسلمين من ربقة الإسلام بأدلة أساءوا فهمها و لم يحسنوا تأويلها .

أدلة القائلين بتكفير المسلم :

استدلت تلك الجماعات على فكرها بأدلة نذكر منها ما يلى :

١ ـ أن إبليس ـ أعاذنا الله منه ـ لم يجحد الله عز وجل وإنما هو عصى وأصر على المعصية فحكم الله بكفره وعلى هذا يقاس المسلم غير الجاحد لله المرتكب للمعاصى .

٢ ـ قال تعالى : (١)

﴿ ومن يقتل مؤمنا متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابًا عظيما ﴾ .

فقالو : إن قاتل النفس عمدا لم ينكر وجود الله تعالى وإنما ارتكب كبيرة فحكم الله بخلوده فى النار ولا يخلد إلا الكافر .

٣ ـ قال ﷺ : (٢)

« لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ولا ينتهب نهيبة يرفع الناس فيها أبصارهم وهو حين ينتهبها مؤمن » .

قالوا : لقد نفى الرسول ﷺ الإيمان عمن ارتكب الكبائر ومن انتفى إيمانه فهو كافر .

---

(١) سورة النساء آية ٩٣

(٢) المحلى لابن حزم جـ١١ ص١١٩

هذه النصوص بعض ما ساقوه من أدلة لإثبات نفى الإيمان عمن ارتكب معصية من الكبائر وترتب على هذا القول تكفير المجتمع .

ويرد على هذه الأدلة بما يلى :

١ – القول بأن إبليس لم يجحد الله عز وجل هو خطأ واضح لأن إبليس جادل فى صواب حكم الله فقال معترضا على أمره بالسجود كما أخبر الله تعالى :(١)

﴿ **لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون** ﴾ فاعتراض إبليس اللعين على أمر الله له بالسجود هو جحُد لصواب حكم الله ومن توهم الخطأ فى جانب الله عز وجل فقد نفى عن الله الكمال وجعل من نفسه ندا لله عز وجل يصوب ويخطىء أحكام الله تعالى وهذا هو الكفر بعينه ، أما آدم عليه السلام فيختلف عن ذلك تماما فلم يجادل فى صواب حكم الله ولكنه سارع إلى الإقرار بخطئه حينما نسى فقال كما أخبر الله تعالى :

﴿ **قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين** ﴾ سورة الأعراف آية (٢٣) .

وهذا هو الفرق الذى يجب أن يلاحظ بين من يأتى المعصية وهو مقر بحكم الله معترف بتقصيره ومن يستحل مخالفة أمر الله تعالى والخروج على شرعه ، ولاخلاف بين المسلمين على أن من استحل المعاصى فقد جحد أمر الله ومن يجادل فى أمر الله فهو كافر .

وبهذا يسقط الاستدلال الذى استدلوا به على جواز تكفير المسلم بالمعصية .

٢ – أما الاحتجاج بخلود قاتل النفس المؤمنة عمدا فى النار فهو احتجاج مردود بأمرين .

الأمر الأول : أن هذا النص خاص بقتل النفس المؤمنه عمدا وليس عاما يشمل كل المعاصى حتى يحتج به دعاة التطرف على أن مرتكب الكبيرة كافر .

الأمر الثانى : أن الخلود ليس خلودا كخلود الكافرين ولكنه كناية عن المكث

---

(١) سورة الحجر آية ٣٣

(٢) مكتبة الإمام عدد ١٢ صـ٢٤ وزارة الأوقاف

الطويل بدليل ورود الكثير من الأدلة التى تؤكد خروج كل من يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله من النار قال ابن كثير :

« والذى عليه الجمهور من سلف الأمة وخلفها أن القاتل له توبة فيما بينه وبين ربه عز وجل فإن تاب وأناب وخشع وخضع وعمل عملا صالحا بدل الله سيئاته حسنات وعوض المقتول عن ظلامته وأرضاه » (١)

قال تعالى :﴿ **إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء** ﴾ فلقد أوضحت هذه الآية أن الله يغفر كل الذنوب إلا الشرك بالله .

٣ – أما قول الرسول ﷺ : « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ... إلخ فإن الايمان المنتفى إيمان المستحل لهذا الفعل جاحدا لأمر الله عامدا عالما بالتحريم .

أما من يعلم بحرمة هذا الفعل غير أن ضعف الوازع الدينى فى نفسه وانعدام المسئولية الدينية لديه فهذا مؤمن عاص ، إما أن يقام الحد عليه فى الدنيا أو يحاسبه الله على ذنبه يوم القيامة ولا يخرجه الذنب من حظيرة الإسلام ولا يحكم عليه بالارتداد عن الدين بدليل أن رسول الله ﷺ أقام حد الزنا على ماعز والغامدية وحد السرقة على المرأة المخزومية ولم يعتبرهم كفارا ولم يقم عليهم حد الردة بل إن الرسول ﷺ نهى عن سبهم وقال عن الغامدية « والله لقد تابت توبة لو وزعت على أهل المدينة لشملتهم » .

وبعد سوق هذه الأدلة التى تزيل ما علق بذهن البعض عن تكفير المسلم فيبرز سؤال هام :

هل يجوز تكفير المسلم ؟

لقد اتضح خلال المباحث السابقة جواز العذر بالجهل وأن مرتكب الكبيرة ليس بكافر ومن ثم بداهة لا يجوز أن ينسب إلى مسلم كفر وفسوق ، غير أننى أسوق

---

(١) ابن كثير ص٣٢٥

بعض النصوص التي تحذر من التشكيك فى إيمان المسلم وتنهى عن تكفيره ومن ذلك ما يلى :

١ - روى أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : (١)

« ثلاث من أصل الإيمان الكف عمن قال لا إله إلا الله ولا نكفره بذنب ولا نخرجه من الإسلام بعمل » .

٢ - عن أبى ذر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (٢)

« لا يرمى رجل رجلا بالفسق أو يرميه بالكفر إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك » .

٣ - عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال : (٣)

« أيما رجل قال لأخيه ياكافر فقد باء بها أحدهما » .

٤ - عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : (٤)

قال رسول الله ﷺ « سباب المسلم فسوق وقتاله كفر وحرمة ماله كحرمة دمه » .

اعتزال المجتمع والهجرة منه :

من أخطر مظاهر التطرف اعتزال المجتمع والهجرة منه ، ولقد اتخذ هذا الفكر عدة أنماط من السلوك الشاذ منها :

١ - عدم الترشيح للانتخابات العامة ، لأن المجالس النيابية تشرع من دون الله والإسهام فى ذلك كفر بواح لأنه اتباع للكفر أو رضاء به .

٢ - مقاطعة المساجد لأن الصلاة فيها خلف أئمتها تتضمن الشهادة لهم بالإيمان وهم كافرون .

---

(١) الفتح الربانى بترتيب مسند الإمام أحمد جـ١٨ ص٣٣٠ أحمد البنا

(٢) التاج الجامع للأصول فى أحاديث الرسول . منصور ناصف حـ١ ص٢٩

(٣) الفتح الربانى بترتيب مسند الإمام أحمد جـ١٨ ص٣٤٩ أحمد البنا

(٤) سنن الترمذى جـ١٠ ص١٠٣

٣ ـ الهجرة إلى الصحراء أو الكهوف والجبال لأن ذلك هو السبيل الذى سلكه الرسول لإقامة دولة الإسلام .
٤ ـ التوقف عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ؛ لأن المجتمعات كافرة وليس بعد الكفر ذنب ، وعدم المساهمة فى أى إنتاج لأن ذلك يؤدى إلى تماسك المجتمع الجاهلى .
٥ ـ مقاطعة المدارس والجامعات وإخراج الأبناء منها .
٦ ـ ترك الوظائف بالحكومة والشركات وممارسة أعمال التجارة والزراعة . (١)

وهذا النمط من السلوك تدمير للمجتمع المسلم وهزيمة وجدانية وعقلية للشباب ويتيح لأعداء الإسلام من مختلف التيارات والاتجاهات أن يتملكوا أزمة الأمور ويتحكموا فى مقاليد الأمة بينما الشباب المسلم يعيش فى الصحراء غارقا فى متاهات الجدل والسفسطة وهذا فرار من ساحة الدعوة وهروب من مواجهة قوى التحدى للإسلام وانطواء على النفس ، ولقد غاب عن عقول هؤلاء أن الرسول ﷺ خلال مراحل الدعوة فى مكة والمدينة لم يعتزل الناس بل كان يرتاد أنديتهم ويتجول فى أسواقهم ويبتاع ويشترى منهم وإبان العهد المدنى لم ينعزل ﷺ عن القبائل غير المسلمة أو اليهود بل عقد معاهدة لتنظيم حياة المسلمين مع غيرهم فهل بعد هذا يأتى من يوجب الهجرة ويدعو للاعتزال مستدلا بهجرة الرسول ﷺ من مكة إلى المدينة ويرد عليهم :

بأن الهجرة فى صدر الإسلام كانت فرضا على المسلمين لتأمين الدعوة والانطلاق حتى انتهت دوافع الهجرة . فلقد روى أن مجاشع بن مسعود قد جاء بأخيه مجالد ابن مسعود إلى النبى ﷺ فقال :

هذا مجالد جاء يبايعك على الهجرة فقال النبى ﷺ : « لا هجرة بعد فتح مكة ولكن أبايعك على الإسلام والجهاد » ، كما روى البخارى أن السيدة عائشه رضى الله عنها سئلت عن الهجرة فقالت :

« لا هجرة اليوم كان المؤمن يفر بدينه إلى الله ورسوله مخافة أن يفتن فأما اليوم فقد أظهر الله الإسلام والمؤمن يعبد ربه حيث يشاء » .

---

(١) الحكم وقضية تكفير المسلم ص٢٣٩ البهساوى .

إذن فدوافع الهجرة الآن من المجتمع الإسلامى غير موجودة والاعتزال ضرب من العبث الفكرى والسلوك الشاذ وتقطيع لأواصر المودة والقربى وترك ساحة الدعوة شاغرة ينعق فيها دعاة الإلحاد والعلمانية وإذا كانت المجتمعات الإسلامية الآن قد انحرفت فى بعض أمورها وانتشرت بين ربوعها البدع واقترفت الآثام والمحرمات جهارا فإن هذا ليس مبررا للاعتزال والهجرة ، لأنها رغم هذا كله فإنها تسمى دار الإسلام .

هذا وقد يحتج دعاة الهجرة والاعتزال بقول الله تعالى : (١)

﴿ إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا ﴾ .

ويجاب عن هذا الاستدلال بأن هذه الآية نزلت فى شأن بعض المسلمين الذين أسلموا خفية فى مكة وأخرجهم المشركون يوم بدر لتكثير سوادهم .

قال الإمام ابن كثير : (٢)

« هذه الآية الكريمة عامة فى كل من أقام بين ظهرانى المشركين وهو قادر على الهجرة وليس متمكنا من إقامة الدين فهو ظالم لنفسه مرتكب حراما بالإجماع » .

ويرد أيضا على الذين يعتزلون أهلهم ويهجرون بيوتهم بحجة أنهم مرتكبون لبعض الآثام بأنه ما من صحابى من صحابة رسول الله أسلم إلا وكان معه فى منزله أب أو أم أو أخ يناصبه العداء ويذيقه ألوان العذاب فما هجر أحد أسرته ولا ترك بيته بل جاء القرآن يوضح أن اختلاف العقيدة لا يمنع من صلة الأهل والإنفاق عليهم ومصاحبتهم بالمعروف قال تعالى : (٣)

﴿ وإن جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا ﴾ .

مما سبق يتضح أن تكفير المجتمع واعتزاله والهجرة منه فكر بعيد عن الفهم الصحيح

---

(١) سورة النساء آية ٩٧

(٢) تفسير ابن كثير لسورة النساء ص٣٤٣

(٣) سورة لقمان آية ١٥

للإسلام وانحراف بالدعوة الإسلامية إلى العزلة والانطواء ويوقع المجتمع المسلم فى فتن لا يعلم مداها إلا الله حيث يتخذ هذا الفكر ذريعة لضرب التيار الإسلامى عامة وتقييد حركة الدعوة والدعاة .

رابعا : الخروج على الحاكم وقتاله :

من المسائل التى تطرف فيها بعض الشباب جواز الخروج على الحاكم وقتاله . وهذه القضية من أخطر قضايا التطرف فهى تفتح باب الفتن التى لا تبقى ولا تذر . ويتذرع أعداء الإسلام بهذا الفكر لضرب الحركة الإسلامية والحيلولة دون تقنين الشريعة وتطبيقها .

ومسألة الخلافة والإمامة والعلاقة بين الراعى والرعية تحظى من الإسلام والمسلمين باهتمام كبير ، ولا أدل على أهميتها وخطورتها من أن الصحابة رضوان الله عليهم حينما انتقل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى ورغم الذهول وفداحة الخطب الجلل والحزن العميق الذى انتاب المسلمين جميعا لوفاة الرسول ﷺ وانقطاع الوحى فإن هذا كله لم يشغل بال المسلمين عن التفكير فى أمر الخلافة والبيعة فحسم هذا الأمر فى سقيفة بنى ساعدة قبل مواراة جثمان الرسول ﷺ وكذلك فعل أبو بكر الصديق وهو يجود بأنفاسة حينما عهد إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه بتولى أمر المسلمين وحينما طعن أبو لؤلؤة المجوسى عمر بن الخطاب فلم يمنعه تمزق أوصاله من تدبير أمر إمارة المسلمين فكلف ستة من الصحابة وضم إليهم ابنه عبد الله وظل يتابع أمر الخلافة وهو يعالج سكرات الموت حتى انتقل إلى الرفيق الأعلى ، ومن ثم اختير عثمان ابن عفان رضى الله عنه .

« فالإمامة موضوعة لخلافة النبوة (١)

وحراسة الدين وسياسة الدنيا وعقدها لمن يقوم بها واجب بالإجماع » .

هذا وإن تنظيم الإسلام للعلاقة بين الحاكم والمحكوم يحتاج إلى رسالة خاصة وليس موضوع بحثى غير أنى سأجتزئ من قضية الحكم فى الإسلام ما يثيره البعض من

---

(١) الأحكام السلطانية للماوردى ص٦

الاعتقاد بجواز الخروج على الحاكم وقتاله وقبل مناقشة هذا الفكر فما تجدر ملاحظته :

أن الإسلام يوجب طاعة الإمام ما دام لا ينهى عن معروف ولم يأمر بمنكر ويستدل على ذلك بما يلي :

١ – قال تعالى : (١)

﴿ **يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم** ﴾ .

٢ – عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : (٢)

قال رسول الله ﷺ : « من أطاعنى فقد أطاع الله ومن عصانى فقد عصى الله ومن يطع الأمير فقد أطاعنى ومن يعص الأمير فقد عصانى » .

٣ – وعن أم الحصين الأحمسية أنها سمعت النبى ﷺ يقول : (٣)

« اسمعوا وأطيعوا وإن أمر عليكم عبد حبشى ما أقام فيكم كتاب الله عز وجل » .

٤ – عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال : (٤)

« على المرء السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية فإذا أمر بمعصية فلا طاعة» فهذه الأدلة الشرعية توجب طاعة الإمام .

أدلة القائلين بكفر الحاكم والخروج عليه :

استدل القائلون بجواز كفر الحاكم والخروج عليه الذى لم يلتزم بشرع الله ولم يطبقه بأدلة أهمها تلك الآيات الكريمات من سورة المائدة والتى تختتم بقوله تعالى :

أ – ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون** ﴾ « الآية ٤٤ » ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون** ﴾ « الآية ٤٥ » ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون** ﴾ « الآية ٤٧ » .

فاستدلوا بهذه الآيات على أن من لم يحكم بما أنزل الله فهو إما كافر أو ظالم

---

(١) سورة النساء الآية ٥٩

(٢) حديث متفق عليه:رياض الصالحين ص٢٩٧

(٣) رواه الجماعة إلا البخارى وأبوداود:نيل الأوطار جـ٨ صـ٣٨٤

(٤) رياض الصالحين ص٢٩٢

أو فاسق مما يستوجب ردته عن الإسلام ووجوب قتاله .

ب ـ استدلوا بفتوى ابن تيمية حينما سئل عن قرية « ماردين » التى كانت تحكم بالإسلام ثم تولى أمرها أناس أقاموا فيها حكم الكفر .

جـ ـ ماجاء فى تفسير ابن كثير فى قوله تعالى :

﴿ أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون ﴾ .

قال ابن كثير رحمه الله : (١)

« ينكر الله تعالى على من خرج عن حكم الله المحكم المشتمل على كل خير الناهى عن كل شر وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والمصطلحات التى وضعها رجال بلا مستند من شريعة الله ، كما كان أهل الجاهلية يحكمون من الضلالات والجهالات مما يضعونها بآرائهم وأهوائهم .

د ـ كذلك استدلوا بكتابات المرحوم أبى الأعلى المودودى والمرحوم الأستاذ سيد قطب عن الحاكمية والجاهلية فاستنتجوا من هذه الأدلة القول بكفر حكام المسلمين فلقد جاء فى كتاب الفريضة الغائبة تأليف المرحوم محمد عبد السلام عن الحاكم مايلى :

« وحكام هذا العصر قد تعددت أبواب الكفر التى خرجوا بها عن ملة الإسلام بحيث أصبح الأمر لا يشتبه على كل من تابع سيرتهم هذا بالإضافة إلى قضية الحكم » ويقول فى فقرة أخرى: فحكام هذا العصر فى ردة عن الإسلام تربوا على موائد الاستعمار وقد استقرت السنة بأن عقوبة المرتد أعظم من عقوبة الكافر الأصلى .

ثم يعدد مؤلف هذا الكتاب صفات التتار من خلال فتوى ابن تيمية ويعقب على فتواه بقوله :

« أليست هذه الصفات هى نفس صفات حكام العصر هم وحاشيتهم الموالية لهم الذين عظموا أمر الحكام أكثر من تعظيمهم لخالقهم » .

ثم يستطرد فى كتابه حتى يقول : (٣)

« فلا شك فى أن ميزان الجهاد الأول هو اقتلاع تلك القيادات الكافرة واستبدال

---

(١) تفسير ابن كثير ص١٢٣

(٢) الفريضة الغائبة ص٣

(٣) الفريضة الغائبة .

نظام إسلامى بها استبدالا كاملا ومن هنا تكون الانطلاقة » وهذا الفكر جد خطير إذ هو يفتح باب الفتن على مصراعيه وقد تسبب فى وقوع أحداث دامية روعت فيها الأمة وأزهقت فيها أرواح وزج بالآلاف إلى غياهب السجون والمعتقلات وتوجس الكثير خيفة من اليقظة الإسلامية .

الرد على من يرى قتال الحاكم :

الحاكم فى الإسلام متى انعقدت له البيعة من أهل الحل والعقد المعبرين عن رأى جموع المسلمين أو بعهد له من الحاكم الذى قبله وجبت طاعته . هذا ويرد على ما استدلوا به من قوله تعالى : ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون** ﴾ .

فإن ملخص ما قيل فى تفسير تلك الآية مايلى : (١) .

« إذا رجعنا إلى المأثور فى تفسير الآيات نراهم نقلوا عن ابن عباس رضى الله عنه أقوالا منها قوله : كفر دون كفر وظلم ودون ظلم وفسق دون فسق ، ومنها أن الآيات الثلاث فى اليهود خاصة ليس فى أهل الإسلام منها شىء وروى الشعبى أن الأولى والثانية فى اليهود والثالثة فى النصارى وهذا هو الظاهر ولكنه ينبغى أن ينال هذا الوعيد كل من كان منا مثلهم وأعرض عن كتابه إعراضهم عن كتبهم » .

وما فعله صاحب المنار هو ما نطمئن إليه ونعتقد أنه الصواب لقول على بنى أبى ظلمة عن ابن عباس : (٢)

« من جحد ما أنزل الله فقد كفر ومن أقر به ولم يحكم فهو ظالم فاسق » .

وعلى هذا فإذا جار الحاكم فى حكمه وضاعت الحقوق ولم يأمن الناس على حياتهم ولم يأخذ بمبدأ الشورى فيجب على الهيئة التى اختارته أن تقدم له النصح وتقومه فإن أبى تقيله وليس يحق لفرد من الأمة أو لمجموعة من الأفراد أن يخلعوه من الحكم وإلا انقلبت الأمور إلى فوضى اجتماعية وثورات دامية ، لهذا جاءت السنة المطهرة بالصبر على هنات الحاكم درءاً للفساد وخشية الفتن .

---

(١) تفسير ابن كثير لسورة المائدة ص١٢٣

(٢) تفسير المنار جـ٦ ص٤٠٣ الشيخ رشيد رضا .

١ ـ فعن عرفجة قال : قال رسول الله ﷺ :

« ستكون بعدى هنات وهنات [١] من أراد أن يفرق أمر المسلمين وهم جميع فاضربوه بالسيف كائنا من كان » [٢]

٢ ـ وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : [٣]

« من رأى من أميره شيئا يكرهه فليصبر فإن من مات مفارقا الجماعة شبرا مات ميتة جاهلية » .

٣ ـ وعن عرفجة أيضا قال : سمعت رسول الله ﷺ : يقول

« من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه » .

٤ ـ بل إن الإسلام لا يجيز بحال من الأحوال أن تمتد يد لقتل الحاكم ، لأن الرسول ﷺ حدد قتل المسلم في أمور ثلاثة فقال :

« لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله إلا بإحدى ثلاث : الثيب الزانى ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة». فإذا ما أقام الحاكم الصلاة ولم ينكر ما علم من الدين بالضرورة فلا نحكم بكفره قال ﷺ : « إنه يستعمل عليكم أمراء فمن كره فقد برئ ، ومن أنكر فقد سلم ولكن من رضى وتابع قالوا يا رسول الله ألا نقاتلهم ؟ قال لا ما أقاموا فيكم الصلاة » [٤]

وإذا كان الظالم والفاسق تجوز إمامته فى الصلاة فقد سبق عند البحث فى الجمعية الشرعية فى الباب الثانى ـ الفصل الأول أن أفردت بحثا عن جواز إمامة الفاسق والمبتدع مستدلا بما جاء فى صحيح البخارى تحت باب (إمامة المفتون والمبتدع) وما ذكره ابن حزم فى كتابه الفصل فى الأهواء والملل « تحت عنوان (الكلام فى صلاة الفاسق) .

---

(١) جاء فى لسان العرب الهنات / الشرور والفساد مفردها هنة وقد تجمع على هنوات جـ٣ ص٣٦٦

(٢) رواه أبوداود والنسائى والحاكم .

(٣) نيل الأوطار للشوكانى جـ٧ ص٧١١

(٤) التابع الجامع للأصول من أحاديث الرسول ـ منصور ناصف ـ جـ٣ ص٤٤

فإذا كان العلماء قد ارتضوا إمامة الفاسق والمبتدع فى الصلاة أفلا يرتضى بالحكام المتكاسلين العاصين عن تطبيق شرع الله مغبة الوقوع فى الفتن ؟

٥ ـ روى أحمد وأبو يعلى عن رسول الله ﷺ قال :

« يكون عليكم أمراء تطمئن لهم القلوب وتلين لهم الجلود ثم يكون عليكم أمراء تشمئز منهم القلوب وتقشعر منهم الجلود فقال رجل : أنقاتلهم يا رسول الله ؟ قال ﷺ : لا ما أقاموا فيكم الصلاة » (١)

مما سبق يتضح ـ والله أعلم ـ أنه لايجوز الخروج على الحاكم المسلم إلا إذا أنكر ما علم من الدين بالضرورة . فعن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال :

« بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة فى العسر واليسر والمنشط والمكره وعلى أثرة علينا وألا ننازع الأمر أهله،إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان وعلى أن نقول الحق لا نخاف فى الله لومة لائم » . (٢)

وعن ابن عمر رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال :

« من خلع يدا من طاعة لقى الله يوم القيامة لا حجة لهومن مات وليس فى عنقه بيعة مات ميتة جاهلية » . (٣)

هذا وإذا كانت الأدلة الشرعية توجب على الرعية طاعة الإمام وعدم الخروج عليه فإن الكثير من نصوص القرآن والسنة تلزم الحاكم أن يطبق شرع الله ويعدل بين الرعية وألا يجنح إلى الظلم والبطش والاستبداد بالرأى واتباع الهوى وأن يلتزم الشورى وبهذا تستقيم الأمور وتجتمع القلوب على هدى وبصيرة من شرع الله قال تعالى :

﴿ ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون ﴾.(٤)

---

(١) رواه الإمام مسلم

(٢) رواه البخارى ومسلم

(٣) التابع الجامع للأصول من أحاديث الرسول ـ منصور ناصف ـ جـ٣ ص٤٤

(٤) سورة المائدة آية ٥٠

وبعد : فلقد اتضح من خلال موضوعات هذا الفصل المسائل التى تطرف فيها بعض الشباب ، وظهر عبر الدراسة لفكرهم ومناقشة آرائهم أنهم اشتطوا فى القول وتغالوا فى الرأى وجانبهم الصواب فى تأويل بعض النصوص التى ساقوها تأييدا لما ذهبوا إليه وهذه الأمور التى بحثت تعتبر أهم قضايا هذا الفكر ، وهناك مسائل أخرى لجماعات إسلامية كثيرة عرفت بعض أفكارها وخفى الكثير منها ولكن هذه القضايا المتنوعة والمتفرعة تفريعات عديدة ترجع جميعا إلى تلك الأمور التى أثيرت على بساط العرض والدراسة السابقة .

لهذا أكتفى بذلك دون الاستطراد فى باقى مسائل التطرف والمتطرفين ونختتم هذا الباب بالفصل التالى إن شاء الله .

الفصل الثالث

كيفية احتواء هذا الفكر وعلاجه

إن احتواء هذا الفكر وعلاجه يحتاج إلى دراسة متأنية وأبحاث هادئة وهادفة وسوف أحاول جاهدا بتوفيق الله أن أضع بعض الوسائل لعلاج تلك الظاهرة والأمر ليس أمر وضع حلول وطرح مقترحات عل بساط العرض فما أكثر تلك المقترحات وما أكثر من تعرضوا لهذا الفكر موضحين أبعاده ومشخصين مواطن الداء وما أسهل هذا لدى الباحثين والمفكرين غير أن الأمر الصعب الذى ليس فى وسع الكاتب هو أمر التنفيذ وإبراز هذه الآراء وتلك المقترحات إلى ميادين الحياة العملية بحيث لا تبقى حبيسة القلم والقرطاس .

وأنى للكاتب تحقيق مايتمناه من رؤية أفكاره تحيا مع دنيا الناس ؟

وسوف أحاول جاهدا — بتوفيق الله — فى ايجاز أن أوضح أسلوب الاحتواء والعلاج واضعا هذه المقترحات نصب أعين المسئولين خاصة علماء الأزهر الشريف لعل هذه الأفكار تجد بصيصا من النور يبدد ظلام التطرف ويأخذ بالشباب إلى ظلال الإسلام وهدى القرآن .

وقبل أن استطرد فى بيان كيفية احتواء هذا الفكر فمما يجب ملاحظته أن هناك عدة أخطاء ارتكبت لعلاج تلك الظاهرة ، وكانت سببا فى تفاقم أمر التطرف وبروز بعض الأعمال الطائشة والتى تسببت فى تعويق اليقظة الإسلامية المعاصرة ومن هذه الأخطاء ما يلى :

أولا : خلق شعور عام بانعدام الثقة بين الشباب المتدين والدولة وكذلك بين

الشباب وعلماء الأزهر مما أدى إلى نفور كل فريق من الآخر وإنشاء هؤلاء الشباب لأنفسهم دولة داخل الدولة وأسقطوا عن أتباعهم بفتوى من أنفسهم واجب الالتزام بالمجتمع والقانون ؛ لأنه فى نظرهم مجتمع جاهلى وكافر وانتقل حق الأمر والطاعة داخل هذه الجماعات من سلطان أولى الأمر فى الدعاة إلى سلطان الأمراء الذين نصبوهم على أنفسهم »(١)

ثانيا : محاولة استئصال هذا الفكر بالعنف وقوة القانون وبطش السلطان وكلما ازدادت الدولة فى وسائل العنف والقهر تولد لدى أصحاب هذا الفكر شعور عميق بأنهم أصحاب رسالة يلاقون المحن فى سبيلها كالأنبياء والمرسلين . ومعالجة الفكر بهذا الأسلوب جعله يتوارى ويكمن ويترقب لحظة يبرز فيها من جديد وهو أقوى عنفا وأشد شراسة .

ثالثا : معالجة هذا الفكر بين أقبية السجون .

إن هذا الفكر يتوارى ويستتر خشية البطش به ولا يعرف الدعاة عنه شيئا وبعض الدعاة لا يقوى على مواجهة هذه الأفكار حينما يفاجأ بالمناقشة بدون اطلاع على أصول هذا الفكر ، وأجهزة الأمن بدورها لا تنسق بينها وبين الدعاة فتطلعهم على ما لديها من كتب ودراسات حول هذا الفكر وحينما يتفاقم الأمر وتحدث المواجهة المريرة والدامية بين الشباب والسلطة تقام ندوات ومحاضرات بين أقبية السجون وغياهب المعتقلات . ومثل هذه الندوات تعطى نتائج سلبية إذ كيف يناقش إنسان وهو مكبل بالقيود والأغلال ؟ ثم إن هذا الأسلوب يزيد الجفاء وانعدام الثقة بين بعض الشباب وعلماء الأزهر ، إذ يشعرون من خلال تلك المحاضرات أن العلماء قد دفعوا باسم السلطة لمحاكمة أفكارهم وتمهيدا للأحكام التى ستصدر عليهم وتشويه صورتهم أمام الأمة . ولقد ثبت خطأ هذا الأسلوب فعقب اعتقال الكثير من جماعة الإخوان المسلمين عام (١٩٦٥م) أقيمت محاضرات وندوات ولم تثمر شيئا سوى مزيد من التطرف والعنف فى أعوام (٧٤ ، ٧٧ ، ١٩٨١ م) .

---

(١) الأهرام ١٩٨٢/١/٢٢ د . أحمد كمال أبو المجد ص٣

رابعا : المبالغة والتهويل والخوف من المتطرفين : فمن أخطاء معالجة هذا الفكر المبالغة فى شأنه وإبراز بعض الشباب فى صورة أناس فقدوا كل معالم البشرية وأن حياتهم تآمر وتخريب وأسلحة ومفرقعات وخطط ووثائق وعمالة لهذه الدولة أو تلك وتسلط أجهزة الإعلام لتشويه سيرتهم والتنديد بسلوكهم وإذا كان البعض القليل انحرف فى فكره وأقدم على عمل طائش فما جريرة القاعدة الشبابية لكى تأخذ بجرم هؤلاء بينما نجد المتطرفين نحو الرذيلة ينغمسون فى مستنقعات الفاحشة ولا يتعرض لهم أحد فيلحق بهم أدنى أذى بل ينظر اليهم على أنهم دعاة التقدم والتحرر وهم نجوم المجتمع وقدوته المثلى .

يقول الدكتور القرضاوى :[1]

« هل من الإنصاف أن ننحى باللائمة ونصب جام غضبنا على الشباب الذى يعيش للإسلام وبه محافظا على الصلوات هاجرا للمنكرات محصنا فرجه غاضا بصره حافظا لسانه يتحرى الحلال ويتوقى الحرام حريصا كل الحرص على ما يعتقد أنه أدب الإسلام ننكر على هذا الشباب الناشىء فى طاعة الله مهما يكن متشددا أو متزمتا على حين نسكت عن الشباب الذين أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات من المائعين الذائبين الذين لا يكاد يميز الفتى فيهم من الفتاة ؟

هل من الإنصاف أن ننكر على الفتاة التى تلبس النقاب على وجهها ونسخر من زيها وهى لم تفعل ذلك إلا إرضاء لربها واتباعا لدينها حسبما فهمت أو أفهمت ، على حين نرى الصنف الآخر من الفتيات المميلات المائلات الكاسيات العاريات فى الشوارع والشواطىء ولا يحرك أحد ساكنا ولا ينبس ببنت شفة ؟ هل من الإنصاف أن يتعالى الصراخ ويشتد النكير على ما سمى بالتطرف الدينى وأن يلوذ الجميع بالصمت تجاه التطرف اللادينى » .

خامسا : المزج والخلط بين التطرف كظاهرة بين بعض الشباب وبين اتجاه الشباب عموما نحو الإسلام فما تكاد تنحرف جماعة وتقدم على عمل طائش إلا ويتحمل التيار الإسلامى عامة تبعة هذا العمل و توضع الصحوة الإسلامية فى قفص الاتهام

---

(١) الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف د . يوسف القرضاوى ص٣٣٩

فتجمد أنشطة الجمعيات وتصادر مجلاتها وتلغى الأنشطة الدينية بين أروقة الجامعات ويزج بالآلاف إلى السجون بمجرد الظن والشبهة ويشعر كل شاب متدين أنه قد يؤخذ بين لحظة وأخرى مما يولد شعورا بالمقاومة والعنف والإقدام على أعمال غير مسئولة ويائسة ولقد تعددت تلك الظاهرة فى فترات زمنية متلاحقة ، حدث هذا كما سبق فى أعوام (٤٨ ، ٥٤ ، ٦٥ ، ٧٧ ، ١٩٨١م) مما أشاع جوا من انعدام الثقة بين الشباب والدولة .

سادسا : استمرار إثارة الشباب :

من أخطاء التصدى للفكر المتطرف دوام إثارة الشباب واستعداء السلطة عليهم فحينما تبرز بعض الأفكار الخاطئة إذا بأقلام النفاق وألسنة كل حاكم تغمس أقلامها فى لحوم هؤلاء الشباب وسلوكهم وتنظم المسيرات تؤيد حملات التحفظ والإجهاز وتنشر الكتب بعنوان « رأى الدين فى إخوان الشياطين » ، ومعالم على طريق الخيانه والرجعية ، ودعوة لا سياسة فى الدين ولا دين فى السياسة ، والمحاولات المستمرة فى الاعتداء على قانون الأحوال الشخصية وفصل الدين عن الدولة وتتبارى ألسنة وأقلام فى هذا الهراء الفكرى الذى لا صدى له إلا عند أصحابه ومن الكتب التى نفثت سمومها كتاب الدكتور فرج على فودة بعنوان « الوفد والمستقبل » هذا الكتاب يوضح موقف الأحزاب عموما وحزب الوفد خاصة نحو التيار الإسلامى فيقول فى ص ٧٥ :

« إننا نؤمن بالمبادىء التالية :

أولا : نرفض رفضا تاما أى دعوة لإنشاء دولة دينية تحت أى شعار . إن بلادنا ليست فى حاجة إلى تكرار تجربتها مع الحكم المستتر خلف شعار الدين لأكثر من ألف عام .

ثانيا : إن الولاء للوطن يسبق الولاء لأى عقيدة .

ثالثا : إن رفع الشعارات الدينية هو المدخل السهل لأى جذب لاجتذاب مشاعر البسطاء وهذا يمثل مدخلا سهلا إلى تفكك الوحدة الوطنية للبلاد والإرهاب الفكرى للمواطنين .

رابعا : إذا كنا نرفض تدخل الدين فى السياسة فإننا ندين تدخل السياسة فى

الدين . إن تسييس الدين أو تدين السياسة وجهان لعملة واحدة هى انهيار للوحدة الوطنية فى مصر .

خامسا : لا تأثير لديانة الفرد أو معتقداته على موقفه الحزبى أو السياسى أو الوظيفى فى الدولة وثبوت عكس ذلك جريمة يجب أن تقنن ويعاقب من يرتكبها . لقد شهدت بلادنا دوائر انتخابية أغلبيتها مسلمة ويفوز فيها مرشح قبطى أو يهودى بإرادة شعبية حقيقية ، وشهدت بلادنا منصب رئاسة بل ورئاسة المجلس النيابى يتولاها قبطى دون أن يثير حرجا أو جرحا لمشاعر المواطنين وكان شعار الحزب الدين لله والوطن للجميع (١)

هذا الهراء الفكرى المسموم والخبيث ينشر بدون استحياء أو خجل ولست فى مقام الرد عليه ، لأنه فكر هش وضحل لا يقوى على مواجهة أو يصمد أمام دليل ولكن أعرض صورة لاستعداء التيار الإسلامى وإثارته وعدم احترام مشاعر الأمة فى أعز مقدساتها وهو الإسلام ديناً ودولة ثم بعد هذا نملأ الدنيا صياحا من التطرف والمتطرفين .

ثم تتحدث بعض فقرات هذا الكتاب المطبوع طباعة أنيقة ويوزع مجانا عن الصراع الحتمى بين حزب الوفد واليقظة الإسلامية فيقول :

« سوف يكون الصراع حتى نهاية القرن فى مصر بين الوفد والاتجاه السياسى الدينى المتطرف .. يجب أن يتبين للجميع وأن يدركوا أن الحزب الوحيد المؤهل لقيادة هذا الصراع لمصلحة التقدم هو الوفد بكل قواعده » .

كان هذا هو اتجاه من يتطلعون لحكم مصر وليت العداء الأحمق لليقظة الإسلامية مقصور على أمثال هذا الدكتور فحسب ولكن هناك الشيوعيون الذين يضمهم حزب التقدم الوحدوى وهناك الكتاب الملحدون وهم ضروب شتى وأهواء متنازعه لا يجمعهم سوى الحقد والكيد للإسلام وهذا يخلق رد فعل لدى الشباب المسلم أشد عنفا وأكثر تحديا .

---

(١) هذه مغالطات تاريخية يقصد بها تضليل هذا الجيل فلم يحدث أن تولى رئاسة الوزراء غير مسلم سوى تلك الفترة التى تولاها بطرس غالى صنيعة الاحتلال والذى حاول مد امتياز قناة السويس ولكنه لقى جزاء خيانته على يد الشاب المسلم إبراهيم الوردانى .

هذه بعض الأخطاء فى معالجة الفكر المتطرف .

اراء ومقترحات لاحتواء الفكر المتطرف وعلاجه :

قبل أن نعرض ما نراه علاجا لقضايا التطرف فإنه مما يجدر ملاحظته ولا يخفى عن عين الكاتب وعقل المفكر أنه ما دام هناك انفصال تام بين الإسلام كدين ينظم العلاقة بين أفراد المجتمع فى كل شئونه وبين واقع المسلمين اليوم الغارق فى دياجير الظلام ويترنح تحت وطأة المشاكل السياسية والاقتصادية والاجتماعية واستجداء الحلول من نظم الشرق والغرب فإن التطرف لن تغرب شمسه ولن يتوارى مهما اشتدت الضراوة به بل سوف يزداد ويلاحظ هذا من خلال تتبع هذا الفكر وأنه فى نمو واطراد رغم كل وسائل قمعه أو معالجة أفكاره هذا وإننى أضع فى إيجاز وسائل العلاج فيما يلى :

أولا : القضاء على كل أسباب التطرف :

سبق فى الفصل الأول من هذا الباب ذكر أسباب التطرف وأن أولى خطوات العلاج تكمن فى القضاء على تلك الأسباب السابق ذكرها ، لأنه إذا ما انتهت تلك الدوافع فلن يجنح أحد إلى الغلو والتطرف .

ثانيا : المعالجة الفكرية والسياسية والاجتماعية .

يلاحظ أن ظاهرة التطرف تبدو مركبة ومتداخله وكذلك يجب أن يكون العلاج مركبا ويشمل ميادين ثلاثة حددها الدكتور أحمد كمال أبو المجد وهى :

أ ـ الجانب الفكرى (١)

« يحتاج الجانب الفكرى إلى علاج فى المدى القريب وعلاج على المدى البعيد ففى المدى القريب يحتاج الأمر إلى الكشف عن الأخطاء العلمية التى يقع فيها أكثر هؤلاء المتطرفين فلا بد من مناقشة المسائل التالية :

١ ــ أسلوب الأخذ من المصادر الإسلامية وقواعد الاستدلال والترجيح بين الأدلة

---

(١) جريدة الأهرام فى ١٩٨٢/١/٢٢ د . أحمد كمال أبوالمجد ص٣

وقضية الأولويات فى عرض الإسلام على المسلمين وتوحيد الجهد الفكرى والحركى لخدمة الإسلام .

٢ - تصحيح الفكر فى قضية الإيمان والكفر والجاهلية ومعناها وحاكمية الله وما يقصد بها ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من يملكه ؟ وما وسائله ؟ وأين تنتهى حدود الممارسة ؟ وقضية جماعة المسلمين التى أمرت الأحاديث النبوية بلزومها وعدم مفارقتها من هى ؟ وما شروطها ؟ وهل تصدق على كل تجمع صغير أو كبير ؟ وما علاقة المسلم بالآخرين ؟ ومسألة اعتزال المجتمع ومؤسساته : هل تجوز ؟ وهل لهذا الجواز حدود ؟

وتصويب هذا الفكر وتصحيحه ووضعه فى إطار الفهم الصحيح للأدلة الشرعية يحتاج إلى جهد علمى كبير وليس سوى الأزهر الشريف هو الذى يستطيع أن يقوم بأعباء هذا الجهد لهذا أقترح ما يلى :

أن يضم منهج كلية أصول الدين - خاصة قسم الدعوة - دراسة عن هذه الموضوعات لاتقتصر على الطلاب فحسب ولكن تطبع على الشباب مجانا والعلاج على المدى البعيد هو :

١ - يجب إعادة النظر فى قضية التعليم فى مصر خاصة التربية الإسلامية فى مختلف المراحل .
٢ - تعميق دور الأزهر وعلمائه وتوضيح علاقة الدعاة بالدولة والأمة .
٣ - وضع أجهزة الإعلام فى القالب الإسلامى الصحيح وأن تخضع كل البرامج للتوجيه الأخلاق للمسلمين وأن يتم التنسيق بين تلك الأجهزة والأزهر والقائمين على أمر الشباب بحيث يعمل الجميع فى تناسق وتعاون بهدف وضع المسلم على الطريق الموصل لسعادة الدارين .

كما يجب إعداد دعاة متخصصين يعينون فى المدارس والجامعات والمصانع وكل موقع فيه تجمعات كثيرة خاصة القوات المسلحة ويتولى هؤلاء الدعاة الإشراف الدينى ويعطون من الصلاحيات ما يجعل رأيهم محل احترام كالمحتسب فى صدر الإسلام .

هذا خير من أن يتحرك جهاز الدعوة فى الأزهر والأوقاف صوب المساجد فقط حيث لايقصدها سوى العجزة وكبار السن وبهذا الأسلوب يتم احتواء هذه الظاهرة فكريا

ب ـ الجانب السياسى :

يجب على الأجهزة الرسمية والقيادات الشعبية أن تكف عن القطيعة بينها وبين الجامعات الإسلامية وألا تتوجس الدولة خيفة من أصحاب هذا الفكر وهذا يتحقق بأمرين :

الأول : الانفتاح الفكرى والسياسى الذى يتيح الفرص للتعبير عن هذه الأفكار التى تتفاعل فى كيان الإنسان ومشاعره وإذا لم يجد لها متنفسا فى التعبير عنها فإنه يتحول إلى طاقة حقد وغضب على المجتمع فالانفتاح الفكرى هو العاصم الحقيقى للشباب من حمى التعصب .

يقول د . أبو المجد : (١)

« إن غياب لغة الحوار وغياب الشباب عن ممارسته منذ الصغر ، وإغلاق منافذ التعبير عن الآراء والمواقف المخالفة كل ذلك هو الذى يغرى باللجوء إلى الوسائل الانقلابية » .

الثانى : تحقيق قدر من الثقة المتبادلة بين الأفراد والدولة ووضع حد لأزمة التصديق والثقة التى عانت منها الحياة السياسية وذلك بسبب الشعارات البراقة والوعود الكاذبة الفارغة مما يدفع الشباب إلى اليأس من كل إصلاح والجنوح إلى التغيرات بوسائل بعيدة عن أعين الدولة ومؤسساتها وحينما تعطى الثقة للمتدين وتوكل إليه بعض الأمور ويتقلد بعض المناصب ليس على سبيل الإغراء أو الاحتواء ولكن ثقة فى تدينه واطمئنانا إلى مسلكه الملتزم بآداب الإسلام فلا ريب أن هذا سيعود بالخير على الأمة ، فإن الانحراف فى الجهاز الحكومى وانتشار الرشوة والسرقة والإهمال واللامبالاة هو بسبب

---

(١) الأهرام فى ١٩٨٢/١/٢٢ ص٣

إسناد الأمر لأناس ماتت ضمائرهم وضعف إسلامهم ولله در الشاعر الإسلامى إقبال حينما قال :

إذا الإيمان ضاع فلا أمان ... ولا دنيا لمن لم يحى دينا

جـ - الجانب الاجتماعى :

لا يمكن فصل التطرف عن الظواهر الاجتماعية والأحوال الاقتصاديه ولقد مرت الأمة خلال النصف الثانى من القرن العشرين بمرحلتين اقتصاديتين نتج عنهما الكثير من الآثار على السلوك الاجتماعى .

المرحلة الأولى :

الانغلاق الاقتصادى واتخاذ الأسلوب الاشتراكى منهجا وتطبيقا فحدثت تجاوزات وإهدار للقيم من خلال التأميم والحراسة ومصادرة الحريات وضرب التيار الإسلامى بقسوة فى عامى (١٩٥٤ ، ١٩٦٥م) وتغلغلت هذه الأمور فى وجدان الشباب الذى كان يطلق عليه جيل الثورة حتى كان التمزق النفسى إبان هزيمة يونيه (١٩٦٧م) مما جعل الشباب يبحث عن هويته الإسلامية التى غاب عنها ردحا من الزمن .

المرحلة الثانية :

الانفتاح الاقتصادى الذى ترتب عليه مايلى :

١ - فتح الباب على مصراعيه تحت شعار الانفتاح مما نتج عنه تفاوت اجتماعى رهيب يصل لدرجة الاستفزاز الذى يتحول إلى الغضب والثورة ، فضلا عن ظهور فئة أثرت ثراء فاحشا بطرق غير شريفة ومعاونة بعض ذوى السلطان مما جعل الشباب يتبرم ويضيق بالنظام كله .

٢ - تسببت هذه الفئة الطفيلية والمتسلقة والتى أثرت فى فترة وجيزة إلى خلق نوع من الترف الاستهلاكى دون مراعاة لشعور جموع الأمة التى لا تملك حد الكفاف مما يولد شعورا بالحقد الاجتماعى ولا يجد متنفسا له سوى الانغماس فى القراءة الدينية بدون معلم مما يؤدى إلى تأويل النصوص وفق ما يعانيه من ثورة كامنة فيثور على هذا الواقع ويعمل على تغييره معتقدا فى قرارة نفسة أنه

مجاهد فى سبيل الله وأنه يبغى إحدى الحسنيين إما نصر على النظام الجاهلى كما يعتقد أو الشهادة .

ولهذا سيظل الفكر المتطرف ما بقى النظام الاقتصادى المتهالك والمخرج من هذا تخليص هذا النظام من كل ما يغضب الله من ربا ورشوة واختلاس ... والعقاب الرادع لكل من تسول له نفسه استغلال الأمة .

وإذا ما كنا بصدد علاج الظواهر الاجتماعية التى تدفع بالشباب إلى التطرف فلنحى فى النفوس الحياة الاجتماعية الإسلامية فى الزواج من حسن الاختيار وعدم التغالى فى المهور والبساطة فى المسكن والملبس وهذا هو الحل الإسلامى والذى به يسهل احتواء أى فكر شارد أو رأى متطرف وتصان دماء وأرواح الشباب وهناك فى الجعبة الكثير من المقترحات ولكنى أمسك عن ذكرها منعا للاستطراد ؛ لأن الاتجاه إلى العمل الجاد ولو باقتراح واحد أجدى وأنفع من آلاف المقترحات التى تظل حبيسة فى بطون الكتب وخزائن المكتبات . وبعد فهذه وسائل الاحتواء والعلاج لظاهرة التطرف وبدون هذه المعالجة وعدم احتواء الشباب والعناية به ولين الجانب له سيبقى التطرف ظاهرة متجدده تقرع سمع المجتمع وتهز كيانه بين كل حين وآخر مما يؤدى إلى فتن كقطع الليل المظلم لا يعلم سوى الله متى تنقشع . وبانتهاء هذا الباب نكون قد قدمنا دراسة للجمعيات الإسلامية فى مصر ودورها فى نشر الدعوة ونذيل تلك الأبواب بخاتمة عن الآثار والنتائج والمقترحات إن شاء الله .

الختام

ويتضمن النقاط التالية

أ – آثار ونتائج الجمعيات الإسلامية من خلال موضوعات الكتاب

ب – آراء ومقترحات للنهوض برسالة الجمعيات الإسلامية .

جـ – واجب الأزهر الشريف نحو هذه الجمعيات .

خاتمة

لقد تمت – بحمد الله وتوفيقه – تلك الدراسة الموضوعية عن بعض الجمعيات الإسلامية فى مصر ودورها فى نشر الدعوة خلال القرن الرابع عشر الهجرى ولقد اتضحت خلال أبواب الرسالة وفصولها :

أسباب نشأة الجمعيات الإسلامية وألقى ضوء البحث والدراسة على تاريخها ومنهجها الفكرى والعملى وأثر كل منها فى الدعوة إلى الله .

ثم وقفت من كل جمعية موقف الناقد الأمين الذى لايهدف سوى ابتغاء مرضاة الله تعالى ثم النهوض بالدعوة الإسلامية .

ومما تجدر ملاحظته أن تلك الجمعيات – موضوع الكتابة والدراسة – ليست هى الجمعيات الوحيدة العاملة فى ميدان الدعوة .

بل هناك جمعيات وجماعات كثيرة تساهم فى اليقظة الإسلامية المعاصرة مساهمة بناءة ، ولها جهد لا ينكر ونشاط لا يجحد فى ميادين كثيرة ففى ميدان التربية الروحية مثلا توجد جمعية العشيرة المحمدية ذات المنهج الصوفى ، وفى مجال القرآن الكريم نجد جمعيات المحافظة على القرآن الكريم التى تنتشر فى طول البلاد وعرضها ، وجمعيات تعمير المساجد المنبثة فى ربوع البلاد ، ومن أبرزها جمعية الهداية الإسلامية وجمعية مجد الإسلام وجمعية أبى بكر الصديق فضلا عن تلك الجمعيات الخيرية التى تساهم فى دعم النهضة الإسلامية الحديثة وهذه الجمعيات والجماعات الإسلامية فى تطور دائم ونمو مستمر فبينما نجد الجمعية الخيرية الإسلامية التى أسسها الإمام محمد عبده

عام (١٨٧٨ م) وكان الدافع إليها دينيا ووطنيا ثم تتابعت الجمعيات فبلغت فى الربع الأول من القرن العشرين ما يقرب من مائة وخمس وتسعين جمعية ثم قفز هذا العدد حتى وصل فى عام (١٩٧٨ م) إلى ستمائة وثمانية آلاف جمعية[1] ثم فى عام (١٩٨١ م) تصل الجمعيات الدينية إلى خمسمائة وتسعة الآف جمعية ، منها ما يربو على خمسمائة وألف جمعية دينية إسلامية وهذا مما يدل على العواطف الدينية المتدفقة واليقظة الإسلامية التى لا تهن ولا تضعف رغم عوامل التحدى من كل أعداء الإسلام .

ولقد كانت محصلة البحث والدراسة فى هذا الموضوع . أن توصلت إلى أثار إيجابية وجوانب سلبية للجمعيات موضوع الكتاب .

أوجزها فيما يلى :

أ ـ الآثار الإيجابية والسلبية للجمعيات

أولا : الآثار الإيجابية للجمعيات الإسلامية :

١ ـ خلقت رأيا عاما إسلاميا يفهم الإسلام فهما صحيحا مستمدا من القرآن والسنة وفكر السلف مما كان له الأثر فى اليقظة الإسلامية المعاصرة .

٢ ـ وقفت إلى حد ما فى وجه الاستعمار الفكرى وتصدت لمحاولات الشيوعية كما حذرت وأنذرت من مخططات اليهودية والصليبية وكشفت محاولات العلمنة والتغريب .

٣ ـ نجحت فى تعميق الولاء لله ولرسوله وللإسلام وحاربت دعاوى الوطنية والقومية وتراب الأرض فقط .

٤ ـ أثرت المكتبة الإسلامية بالعديد من المؤلفات التى أسهمت فى النهضة الإسلامية الحديثة كما برز العديد من الدعاة المخلصين والخطباء الموهوبين والشعراء والأدباء الذين ارتقوا بتلك المعارف لتخدم قضايا الإسلام والمسلمين .

٥ ـ حاربت البدع والخرافات فى مجال العقيدة والعبادات وعرضت الإسلام بصورته الصحيحة .

٦.ـ هذه الجمعيات حافظت والتزمت ـ معظمها ـ بهدى الرسول ﷺ فى العبادات

---

(١) جريدة الأخبار عدد سبتمبر ١٩٨١م ص٣

والسلوك وأحيت العديد من السنن التى كادت تندثر .

٧ – نجحت الجمعيات والجماعات الإسلامية فى إقناع المرأة المسلمة – خاصة فتيات الجامعة – بالالتزام بالزى الإسلامى والتخلق بآداب الإسلام .

هذه هى أهم الآثار الايجابية للجمعيات الإسلامية وقد ذكرت بإسهاب بين ثنايا الكتاب .

ثانيا : الآثار السلبية للجمعيات الإسلامية :

على الرغم مما بذلته الجمعيات الإسلامية فى ميدان العمل الإسلامى المنظم فإن هذه الجمعيات قد جانبها بعض الصواب وقصرت فى العديد من الأمور مما خلف آثارا سلبية عاقت تلك الجمعيات عن إتمام رسالتها وبلوغ أهدافها . وإذا كان عمرها قد بلغ أكثر من نصف قرن فلا ينبغى أن يمر هذا العمر بدون دراسة ونقد وتقييم وتقويم لكى تعيد كل جمعية محاسبة نفسها ووزن أعمالها ولقد مضى بين ثنايا الكتاب النقد الموضوعى لكل جمعية على حدة غير أنه من موجبات ومتممات الختام أن نعدد سلبياتها مجتمعة وهذه السلبيات هى إحدى النتائج التى تبلورت واتضحت أثناء البحث والدراسة ونوجزها فيمايلى :

١ – عفوية السير والارتجال وعدم التخطيط مما حال دون تحقيق معظم أهدافها .

٢ – عدم التنسيق بين دعاة الجمعيات الإسلامية مما أفقد الحركة الإسلامية المعاصرة القدرة على الأخذ بزمام المبادرة والاحتواء .

٣ – عدم التعاون بين الأزهر الشريف والجمعيات الإسلامية أفقد الحركة الإسلامية القدرة على التأثير الفعال .

٤ – تعميق الخلافات فى القضايا الفقهية والأمور الفرعية .

٥ – الاقتصار على الأسلوب النظرى فقط وافتقار بعضها فى مجالات الإعداد والتكوين والتربية العملية لأبناء الإسلام .

٦ – عدم مشاركة العديد من الجمعيات فى القضايا السياسية والكفاح الدينى والوطنى وتجنبها توجيه الاقتصاد وجهة إسلامية .

٧ – انخراط ذوى الثقافات المحدودة وغير المتخصصين فى ميدان الدعوة .

٨ – عدم بذل أى جهد لنشر الإسلام والتعريف به لدى غير المسلمين .

هذه بعض الجوانب السلبية للجمعيات الإسلامية وقد سبقت بشيء من التفصيل عبر أبواب الكتاب وفصوله والقصد من ذكر تلك الأمور تبصير العاملين فى ميدان الدعوة بتلك الثغرات ليعملوا على علاجها والنهوض بالعمل الإسلامى إلى مراق الكمال والمجد .

ب ـ كيفية النهوض بالجمعيات الإسلامية :

إن الدعوة الإسلامية تعيش فى منحنى خطير فالأعداء متربصون بها من كل جانب وقد نجحوا فى تطويق ديار الإسلام واحتوائها كالأخطبوط سياسيا واقتصاديا وثقافيا والإسلام فى هذا العصر أشبه ببيت شب فيه حريق هائل فلا يعقل أن يترك أصحاب المنزل الحريق يدمر كل شيء ويتبادلون الاتهامات حول من أشعل الحريق ، ولكن الواجب أن يبادر كل فرد ليطفيء ما يستطيع من لهب تلك النار التى لا تبقى ولا تذر ، فالواجب على الدعاة أن ينطلقوا بدعوتهم خلال القرن الخامس عشر الهجرى بعقلية ومنهج يختلف عما كانوا عليه خلال القرن الرابع عشر الهجرى .

هذا وإذا كان هذا الكتاب – بحمد الله وتوفيقه – قد قارب على الختام فإننى أتوج هذا الختام بأن أضع بين يدى العاملين فى حقل الجمعيات الإسلامية بعض الآراء والمقترحات التى أراها لو توافر الإخلاص فى الدعاة – إن شاء الله – كفيلة بالنهوض برسالة الجمعيات الإسلامية ولتحقيق ما يناط بها من آمال تشرئب لها أعناق المسلمين وتهفوا لها قلوبهم .

وهذه المقترحات أوجزها فيما يلى :

أولا : يجب على الجمعيات أن تقف من تاريخها الماضى موقف الحساب ولتسأل كل جمعية نفسها الأسئلة التالية :

١ – ومالذى تحقق ؟ ومالذى لم يتحقق من الأهداف ؟

٢ ـ ما الموانع والعوائق التى حالت دون تحقيق الأهداف ؟

٣ ـ ما الأمور التى قامت بها الجماعة وكان الأجدر بها ألا تفعلها ؟

٤ ـ ما الأهداف التى يمكن تحقيقها على الفور ؟ وما الآمال التى سوف تتحقق على المدى البعيد ؟

٥ ـ المتابعة المستمرة للأعضاء والوقوف على مدى التزامهم بمبادئ جمعيتهم وما

الأثر المترتب على تلك العضوية ؟

ثانيا : أن تنأى الجمعيات العاملة فى ميدان الدعوة عن الخلافات الفرعية التى انغمست فيها طوال القرن الماضى وصرفتها عن عظائم الأمور التى اجتاحت الإسلام والمسلمين وأن تضع نصب أعينها منهج « نلتقى فيما اتفق عليه ويعذر كل منا الآخر فيما اختلف فيه » .

ثالثا : ألا تقتصر الجمعيات الإسلامية فى دعوتها على الخطب والمواعظ فحسب ولكن ينبغى عليها أن تقتحم ميدان العمل الاجتماعى من خلال رؤية إسلامية ومخلصة وأمينة وذلك فى المجالات التالية :

١ ـ الاهتمام بالطفولة والشباب بأن تنشىء كل جمعية فى فروعها مدارس إسلامية تربى الطفل والشاب على العقيدة الإسلامية وتغرس فى عقله وقلبه معانى الخير وأن تنمى فيه آيات الولاء لله والرسول والإسلام،وإذا نجحت الجمعيات فى هذا فسوف ينتزع الأباء أبناءهم من مدارس التربية والتعليم ويسلمونهم لمن يحسنون أدبهم وتعليمهم .

٢ ـ أن تشارك الجمعيات الإسلامية مجتمعة فى وضع برنامج إصلاح سياسى ينبع من تعليم الإسلام الذى لا يعرف النفاق السياسى ولا المكائد التى تحاك فى مضمار السياسة العالمية .

٣ ـ تستطيع الجمعيات من خلال فروعها المنتشرة فى أنحاء البلاد أن تساهم مشتركة فى بعض المشروعات الاقتصادية التى تنأى عن الربا والاستغلال وتدار بعقلية إسلامية ومن محصلة أرباح تلك المشروعات تساهم الجمعيات فى رفع المعاناة عن جماهير المسلمين كحل مشكلة الإسكان وتحسين مستوى الأداء والمشاركة فى توفير احتياجات المسلم فى مأكله وملبسه،وإذا ما تحقق ذلك – إن شاءالله – فإن الجمعيات الإسلامية تكون قد نجحت فى رسالتها على الوجه الذى يرضى الله ورسوله والمسلمين .

رابعا : أن يتم التنسيق والتعاون والتكامل بين الجمعيات الإسلامية :

اتضح خلال تاريخ الجمعيات الإسلامية أن كل جمعية كانت تولى ظهرها للأخرى

وتتربص بها وتظهر الشماتة إذا ما نزل بإحداها بلاء أو محنة وإذا ما أريد لتلك الجمعيات أن تساهم فى اليقظة الإسلامية المعاصرة فلابد من توحيد صفوفها والتنسيق فيما بينها .

وها هى ذى بعض المقترحات التى تساعد على التنسيق والتعاون والتكامل :

١ ـ أن يشكل مجلس ليضم رؤساء الجمعيات الدينية لوضع سياسة مشتركة للنهوض بالدعوة والدعاة .

٢ ـ التنسيق فى ميدان الدعوة بحيث تعتبر كل جمعية نفسها على ثغر من ثغور الإسلام فلا تؤتى من قبلها وتكمل كل منها الأخرى فى ميدان الدعوة .

٣ ـ أن يكون هناك مسح شامل لبلاد القطر المصرى بحيث لا تخلو مدينة من المدن من جمعية من الجمعيات وهذا أفضل مما هى عليه الآن إذ قد توجد أكثر من جمعية فى مدينة واحدة بينما تخلو بلاد كثيرة منها .

٤ ـ أن يشكل فى عواصم المحافظات لجان من العاملين فى ميدان الجمعيات بحيث تستغل الامكانات المتاحة لكل جمعية ويتحرك الجميع بروح الفريق فلا تتاح فرصة الدس والوقيعة بينها .

٥ ـ على فقهاء الجمعيات الإسلامية أن يلتقوا فيما بينهم فى الخلافات ويعملوا على رأب الصدع والتقريب بين وجهات النظر المتباينة وصولا للحق لا ابتغاء للمجادلة وحب الانتصار وأن يكف العاملون فى مضمار الجمعيات عن أساليب الإثارة والتشهير .

٦ ـ أن تشترك الجمعيات الإسلامية فى إصدار جريدة يومية تكون لسان حالها مجتمعة حيث تعرض الفكر الإسلامى على القارىء المسلم من خلال رؤية صادقة وواعية وأمينة للقرآن والسنة وفكر السلف كما تعرض تلك الجريدة للجوانب الاقتصادية والاجتماعية والسياسية من خلال ينابيع الإسلام .

هذه بعض المقترحات للنهوض برسالة الجمعيات الإسلامية فى مصر خلال القرن الخامس عشر الهجرى .

جـ ـ ما يجب على الأزهر الشريف نحو النهوض بالجمعيات الإسلامية :

لقد وقف الأزهر خلال القرن الرابع عشر الهجرى من الجمعيات والجماعات

الإسلامية موقف المتفرج فلم يمد لها نصحا ولم يقوم لها فكرا فحدث ما يشبه الجفوة والقطيعة بينها وبين الأزهر ومما زاد الشعور بانعدام الثقة أن الأزهر لم يعر اهتماما للقضايا الفكرية التى كانت تدعو لها الجمعيات والجماعات الإسلامية ولم يعمل الأزهر على وقف وحسم المعارك الفكرية بين العاملين فى ميدان الدعوة، بل وجد فى كل جمعية بعض علماء الأزهر يهاجم فكر الجماعة الأخرى والمسلمون حائرون بين هؤلاء وهؤلاء يستغيثون بالأزهر أن يحسم الأمر وينطق بكلمة الفصل غير أنه لم يفعل مما أدى إلى عقوق بعض الجمعيات له بل بلغ الأمر أن تطاول البعض على علمائه ووصفوهم بأنهم دعاة السلطة .

هذا ولقد تصورت بعض الجمعيات والجماعات الإسلامية - خطأ - أنهم سدنة الدعوة وحراس العقيدة مما نتج عنه الجنوح إلى الغلو والتطرف وحدوث مالا تحمد عقباه فى ساحة الدعوة كما سبق أن ذكر ذلك خلال الباب الثالث .

لهذا فإننى أضع تلك المقترحات التى تمكن الأزهر الشريف من تحمل مسئوليته نحو الجمعيات الإسلامية ويمد لها يد العون والنصح وهذه المقترحات نوجزها فيما يلى :

أولا : أن يكون هناك تعاون وثيق بين الأزهر والجمعيات الإسلامية بحيث يكون الأزهر هو الشجرة الوارفة الظلال التى يستظل به العاملون فى ميدان الدعوة .

ثانيا : أن تهتم كلية الدعوة بالأزهر بدراسة فكر ومنهج وأسلوب الجمعيات الإسلامية للطلاب ليكونوا على علم وبصيرة بفكرها فلا تحدث الفرقة والتنافر إذا ما نزل هؤلاء الطلاب بعد تخرجهم إلى ساحة الدعوة ..

ثالثا : أن يعقد الأزهر دورات دراسية للدعاة من الجمعيات الإسلامية على غرار ما يعقد للوعاظ والأئمة يوضح لهم فيها آداب الدعوة والدعاة ويبصرهم بالقضايا التى يتطرف فيها البعض وبهذا يتم الربط بين دعاة الجمعيات والأزهر وتزول الفجوة بين العاملين فى ساحة الدعوة .

رابعا : إذا ما نشب خلاف فكرى بين بعض الجمعيات أو الجماعات الإسلامية فليكن الأزهر هو الحكم والفيصل فى شأن هذه الخلافات فيوضح رأى الإسلام

مدعما بالأدلة الشرعية مصطحبا هذا بالقوة التنفيذية التى تتيح للأزهر وقف وحسم مثل هذه الخلافات .

خامسا : يجب على الأزهر أن يبدى رأى الإسلام فى كثير من الأمور التى تسبب نزاعا بين العاملين فى ساحة الدعوة وأن يقف بجانب الحق يؤيده وينصره ويشجب الباطل ويفنده وأن يحمل علماءه على ذلك ، لأنه من الواضح أن الأزهر لا يتابع دعاته ويتركهم فى ساحة الدعوة دون رعاية أو توجيه أو إلزام ولا يزودهم بالمراجع الدينية والكتب العلمية التى تنمى ثقافتهم وتجعلهم على مستوى القيادة والريادة لأكرم رسالة وأشرف أمة .

سادسا : يجب أن يكون للأزهر جهاز إعلامى مستقل – إذاعة ، تلفاز ، صحف – بحيث يكون هذا الجهاز هو صوت الإسلام ومن خلاله تنطلق الدعوة فى كل مجالات الحياه وتتغلغل بين طبقات الأمة ؛ تربى السلوك وتنظم الحياة وفق شرع الله وتستطيع الجمعيات الإسلامية أن تجد لها فى هذا الجهاز الإعلامى الإسلامى المقترح مكانا تعرض فيه فكرها وأسلوبها جهارا وبهذا لا تتاح فرصة لفكر يتسلل فى الظلام وتحاط من حوله الشكوك والشبهات .

وحينذاك ستعود للأزهر مكانته ويتصدر مسيرة الدعوة كما كان العهد به وبعلمائه وتتعاون الجمعيات والجماعات الإسلامية على رفع لواء الإسلام فى العالمين وبذلك تنطلق الدعوة الإسلامية خلال القرن الخامس عشر الهجرى بفكر ومنهج وأسلوب يختلف عما كانت عليه اليقظة المعاصرة من خلال القرن الرابع عشر الهجرى الذى تناولناه بين ثنايا هذا الكتاب بالعرض والدراسة .

أما بعد فبحمد الله وتوفيقه فقد تم هذا الكتاب عن « الجمعيات الإسلامية فى مصر ودورها فى نشر الدعوة خلال القرن الرابع عشر الهجرى » .

ولقد كان الفراغ منه لثلاث ليال خلت من رمضان المعظم عام أربعة وأربعمائة وألف من الهجرة النبوية .

وهذا من تمام الفضل وحسن الختام . وإننى إذ أتقدم بهذا الجهد المتواضع أسجد

لله شكرا فقد هيأ لى أسباب التأليف وذلل لى صعوباته وألان لى القلوب والنفوس التى مدت لى يد العون الصادق والجهد المشكور .

وأخص بالشكر أستاذى الفاضل فضيلة الأستاذ الدكتور محمد الطيب النجار رئيس جامعة الأزهر – فرغم أعبائه الجسام ومهامه الكثيرة – فلقد قدم لى التوجيهات والإرشادات التى كانت نبراسا لى فى سبر أغوار الكتابة والدراسة حتى أتى الكتاب على تلك الصورة والتى آمل بها خيرا وفتحا مبينا للدعوة والدعاة .

فإن أكن قد وفقت فى مؤلَّفى هذا .. فهذا ماأرجوه وأتمناه وإن تكن الأخرى فإن الكمال لله وحده وحسبى أننى بذلت غاية جهدى المتواضع ابتغاء مرضاة الله تعالى وليكون به التماس شفاعة محمد ﷺ . « يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم » .

هذا وبالله التوفيق ،

بلبيس – شرقية «محمد عبد العزيز إبراهيم داود»

ليلة الثالث من رمضان عام ١٤٠٤ هـ

الموافق الثالث عشر من يونيه ١٩٨٣ م

مراجع الكتاب

المـراجع

وفق الحروف الأبجدية للمؤلفات العلمية

م	اسم الكتاب	اسم المؤلف	دار الطباعة والنشر
١	القرآن الكريم		
٢	الإبداع فى مضار الابتداع	الشيخ على محفوظ	المكتبة المحمودية
٣	الباعث على إنكار البدع والحوادث	أبو محمد عبدالرحمن إسماعيل أبو شامة	دار الهلال
٤	أبطال الكفاح الإسلامى المعاصر	د . محمود دياب	دار الشعب
٥	البدعة أسبابها ومضارها	الشيخ محمود شلتوت	مطبعة السنة المحمدية
٦	التاج الجامع للأصول فى أحاديث الرسول	منصور ناصف	مطبعة الحلبى
٧	التاريخ الإسلامى	د . أحمد شلبى	مكتبة النهضة المصرية
٨	التبشير والاستشراق	محمد عزت إسماعيل	مجمع البحوث الإسلامية
٩	التبشير والاستعمار	د . عمر فروخ	المكتبة العصرية ببيروت
١٠	التربية الإسلامية ومدرسة حسن البنا	د . يوسف القرضاوى	مكتبة وهبة

م	اسم الكتاب	اسم المؤلف	دار الطباعة والنشر
١١	الترغيب والترهيب	الحافظ المنذرى	
١٢	التشريع الجنائى للإسلام	عبدالقادر عودة	دار الفكر ببيروت
١٣	التفسير الكبير	الفخر الرازى	
١٤	أثر الدعوة الوهابية	الشيخ محمد حامد الفقى	مطبعة النهضة
١٥	الجامع لأحكام القرآن	أبو عبدالله محمد القرطبى	دار الشعب
١٦	الجمعية الشرعية	أحمد محمود خطاب	مخطوط مصور
١٧	الجواب المفيد فى حكم جاهل التوحيد	أبو عبد الله عبد الرحمن ابن عبد الحميد	مطبعة المدنى
١٨	الأحكام السلطانية	ابو الحسن على الماوردى	مطبعة مصطفى الحلبى
١٩	الحد الفاصل بين الإيمان والكفر	عبدالرحمن عبدالخالق	دار العلم بنها
٢٠	الإحكام فى أصول الأحكام	ابن حزم الأندلسى	
٢١	الحسام السامى	الشيخ عبدالله عفيفى	مطبوعات الجمعية الشرعية
٢٢	الحسبة فى الإسلام	تقى الدين أبوالعباس ابن تيمية	مؤسسة مكة للطباعة والإعلام
٢٣	الحسن البصرى	د . مصلح بيومى	رسالة دكتوراه
٢٤	الحكم وقضية تكفير المسلم	سالم البهنساوى	دار الأنصار
٢٥	الأخبـــار	جريدة يومية	
٢٦	الخصائص الكبرى أو كفاية الطالب اللبيب	للحافظ جلال الدين السيوطى	مطبعة السنة المحمدية

م	اسم الكتاب	اسم المؤلف	دار الطباعة والنشر
	فى خصائص الحبيب		
٢٧	الخطابة فى صدر الإسلام	محمد طاهر درويش	دار المعارف
٢٨	الإخوان المسلمون والجماعات الإسلامية	زكريا بيومى	مكتبة وهبة
٢٩	الإخوان المسلمون كبرى الحركات الإسلامية	إسحاق موسى الحسينى	دار بيروت للطباعة
٣٠	الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ	محمود عبدالحليم	دار الدعوة
٣١	الإخوان المسلمون والمجتمع المصرى	محمد شوقى زكى	دار الأنصار
٣٢	أدلة تحريم حلق اللحية	محمد بن أحمد	المطبعة السلفية
٣٣	الدعوة إلى الإسلام	د . أبوبكر زكرى	
٣٤	الدعوة إلى الإصلاح	الشيخ محمد الخضر حسين	المطبعة السلفية
٣٥	الدعوة إلى الإسلام	الشيخ محمد أبوزهرة	دار الفكر العربى
٣٦	الدليل العام للجمعية الشرعية		مطبوعات الجمعية
٣٧	الدين الخالص	الشيخ محمود خطاب السبكى	مطبعة الاستقامة
٣٨	الأزهر		مجمع البحوث الإسلامية
٣٩	الأزهر فى اثنى عشر عاما		مجمع البحوث الإسلامية
٤٠	الزواجر عن اقتراف الكبائر	ابن حجر الهيثمى	
٤١	أساليب الغزو الفكرى	على أبو جريشة	دار الاعتصام
٤٢	أسد الغابة فى معرفة أخبار الصحابة	عز الدين بن الأثير	دار الشعب

م	اسم الكتاب	اسم المؤلف	دار الطباعة والنشر
٤٣	الأستاذ الإمام محمد عبده	عبدالمنعم حمادة	المكتبة التجارية
٤٤	الاستشراق والتبشير	إبراهيم خليل أحمد	مكتبة الوعى العربى
٤٥	السنن والمبتدعات	أحمد عبدالسلام خضر	مطبعة السنةالمحمدية
٤٦	السنوسية دين ودولة	محمد فؤاد شاكر	
٤٧	الشيخ يوسف خطاب رحلة حياته	أحمد محمود خطاب	مخطوط مصور
٤٨	الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف	يوسف القرضاوى	هدية مجلة الأمة القطرية
٤٩	أصول الدعوة	عبدالكريم زيدان	دار عمر بن الخطاب بالاسكندرية
٥٠	أضواء البيان	الإمام الشنقيطى	
٥١	الطريق	يحيى الدرديرى	المطبعة السلفية
٥٢	الاعتصام	الإمام أبو إسحاق الشاطبى تحقيق محمد رشيد رضا	دار التحرير
٥٣	الغارة على العالم الإسلامى	محب الدين الخطيب	المطبعة السلفية
٥٤	الغزو الفكرى	جلال كشك	المختار الإسلامى
٥٥	الفتاوى الأمينية	أمين خطاب	الاعتصام
٥٦	الفتح الربانى بترتيب مسند الإمام أحمد الشيبانى	أحمد البنا	
٥٧	الفريضة الغائبة	محمد عبدالسلام	جريدة الأحرار
٥٨	الفوائد المجموعة فى الأحاديث الموضوعة	محمد بن على الشوكانى	المكتب الإسلامى

م	اسم الكتاب	اسم المؤلف	دار الطباعة والنشر
٥٩	الفصل فى الملل والأهواء والنحل	ابن حزم الأندلسى	دار المعرفة بيروت
٦٠	الفكر الإسلامى الحديث	محمد البهى	مكتبة وهبة
٦١	المحـــلى	ابن حزم الأندلسى	دار المعرفة
٦٢	المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام	محمد محمد الصواف	الدار السعودية للنشر
٦٣	المدخل إلى دعوة الإخوان	سعيد حوى	
٦٤	المستشرقون والتاريخ الإسلامى	على الخربوطلى	المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
٦٥	المستشرقون والإسلام	زكريا على هاشم	مجمع البحوث الإسلامية
٦٦	المصباح المنير	أحمد بن محمد المقرى	المطبعة الأميرية
٦٧	المنهل العذب المورود شرح سنن أبى داود	محمود خطاب السبكى	مطبعة الاستقامة
٦٨	الأهـــرام	جـريـدة يـومـية	
٦٩	الوفد والمستقبل	فرج على فودة	
٧٠	اليقظة الإسلامية فى مواجهة الاستعمار	أنور الجندى	دار الاعتصام
٧١	تاريخ التربية الإسلامية	أحمد شلبى	مكتبة النهضة الإسلامية
٧٢	تاريخ الأستاذ الإمام	رشيد رضا	مطبعة المنار
٧٣	تاريخ الطبرى	أبوجعفر محمد بن جرير الطبرى	دار المعارف
٧٤	تحت راية القرآن	مصطفى صادق الرافعى	المكتبة التجارية
٧٥	تجديد الفكر الإسلامى	محمد عمارة	دار الهلال

م	اسم الكتاب	اسم المؤلف	دار الطباعة والنشر
٧٦	تراجم الأعلام المعاصرين	أنور الجندى	مكتبة الأنجلو المصرية
٧٧	تطور الحركة الوطنية فى مصر	عبدالعظيم رمضان	دار الكتاب العربى
٧٨	تفسير القرآن العظيم	الحافظ ابن كثير	دار الشعب
٧٩	تفسير المنار	رشيد رضا	مطبعة المنار
٨٠	تنبيه الأذهان للرد على مفتريات الشيخ عبد ربه سليمان	محمد صالح سعدان	مطبعة الإمام
٨١	جامع العلوم والحكم	زين الدين أبو الفرج شهاب الدين	
٨٢	جماعة أنصار السنة ودعوتها وأهدافها	محمد حامد الفقى	مطبعة السنة المحمدية
٨٣	جمال الدين الأفغانى	عبدالرحمن الرافعى	سلسلة أعلام العرب
٨٤	جمال الدين الأفغانى	محمد أبو رية	المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
٨٥	حسن البنا ومدرسته	رءوف شلبى	دار الانصار
٨٦	حكم هيئة كبار العلماء على الشيخ على عبدالرازق		المطبعة السلفية
٨٧	حركة اليقظة الإسلامية	أنور الجندى	دار الاعتصام
٨٨	دائرة معارف القرن العشرين	محمد فريد وجدى	دارالشعب
٨٩	دعاة لا قضاة	حسن الهضيبى	دار السلام ببيروت
٩٠	رسائل الإمام الشهيد	حسن البنا	دار الشباب ببيروت

م	اسم الكتاب	اسم المؤلف	دار الطباعة والنشر
٩١	رواد الوعى الإسلامى فى الشرق	عثمان أمين	دار العلم
٩٢	روائع البيان فى تفسير آيات الأحكام	محمد على الصابونى	مكتبة الغزالى-دمشق
٩٣	رياض الصالحين	الإمام النووى	مكتبة التراث الإسلامى
٩٤	زاد المعاد	ابن قيم الجوزية	المطبعة المصرية ومكتبتها
٩٥	سلسلة الأحاديث الضعيفة	ناصر الدين الألبانى	
٩٦	صحيح مسلم	شرح الإمام النووى	المكتبة المصرية ومكتبتها
٩٧	صراع بين الحق والباطل	سعد محمد صادق	مطبعة السنة المحمدية
٩٨	عقيدة القرآن والسنة	محمد خليل هراس	سلسلة بمجلة الهدى النبوى
٩٩	فتح البارى فى شرح صحيح البخارى	ابن حجر العسقلانى	مطبعة الحلبى
١٠٠	فجر الإسلام	أحمد أمين	دار الكتاب العربى بيروت
١٠١	فقه السنة	سيد سابق	دار الفكر العربى بيروت
١٠٢	قانون الجمعية الشرعية		الجمعية الشرعية
١٠٣	قانون الشبان المسلمين		الشبان المسلمين
١٠٤	قانون أنصار السنة المحمدية		مطبعة السنةالمحمدية
١٠٥	لائحة النظام الأساسى لجمعيات الشبان المسلمين		

م	اسم الكتاب	اسم المؤلف	دار الطباعة والنشر
١٠٦	لسان العرب	ابن منظور	دار المعارف
١٠٧	مجلة الهدى الليبية	تصدرعن دار الوعظ والإرشاد بليبيا	
١٠٨	مجلة الشبان المسلمين	تصدر عن جمعية الشبان المسلمين	
١٠٩	مجلة الاعتصام	تصدر عن الجمعية الشرعية	
١١٠	مجلة الدعوة	تصدر عن الإخوان المسلمون	
١١١	مجلة اللواء الإسلامى	تصدر عن الحزب الوطنى المصرى	
١١٢	مجلة المجتمع الكويتية	مجلة أسبوعية إسلامية تصدر بالكويت	
١١٣	مجموعة الفتاوى	شيخ الإسلام ابن تيمية	دار المعرفة بيروت
١١٤	محمد بن عبد الوهاب عقيدته السلفية	أحمد بن محمد بن حجر	دار الاعتصام بالقاهرة
١١٥	مذكرات الإمام محمد عبده	طاهر الطناحى	دار الهلال
١١٦	مذكرات الدعوة والداعية	حسن البنا	المكتب الإسلامى ببيروت
١١٧	مذكراتى السياسية	السلطان عبدالحميد	
١١٨	مكتبة الإمام		مطبوعات وزارة الأوقاف
١١٩	منهاج المسلم	أبو بكر الجزائرى	دار التراث العربى
١٢٠	نظام الحسبة فى الإسلام	إسحاق موسى الحسينى	مجمع البحوث الإسلامية
١٢١	نيل الأوطار	محمد بن على الشوكانى	
١٢٢	هداية المرشدين	الشيخ على محفوظ	المكتبة المحمدية
١٢٣	هذه هى الصوفية	عبدالرحمن الوكيل	مطبعة السنة المحمدية
١٢٤	وكر المدامين	محمد حسين	
١٢٥	وفيات الأعيان	ابن خلكان	

فهرس الكتاب

تقديم :

بقلم الأستاذ الدكتور محمد الطيب النجار.......................... ٧

مقدمة ١١

تقسيم الكتاب ١٥

التمهيد لموضوعات الكتاب ١٩

المبحث الأول :

التأريخ للدعوة والدعاة حتى نشأة الجمعيات الإسلامية ٣٦

المبحث الثانى :

دراسة موجزة للحركات الإسلامية

التى مهدت لنشأة الجمعيات الإسلامية ٤٧

الباب الأول :

أسباب نشأة الجمعيات الإسلامية ٦٧

الفصل الأول :

الاستشراق ٧١

الفصل الثانى :

سقوط الخلافة الإسلامية ٨٩

الفصل الثالث :

دعاة العلمانية والتغريب ٩٧

الفصل الرابع :

انتشار البدع والخرافات ١٠٥

الفصل الخامس :

الأزهر ونشأة الجمعيات الإسلامية ١١١

الباب الثانى :

الجمعيات الإسلامية ودورها فى نشر الدعوة ١١٧

الفصل الأول :

الجمعية الشرعية ١٢٣

البناء التنظيمى للجمعية الشرعية ١٣٢

أهداف الجمعية الشرعية ومنهجها فى الدعوة إلى الله ١٣٥

الاتجاهات الفكرية والعملية للجمعية الشرعية ١٣٩

الجمعية الشرعية فى الميزان ١٥٥

الفصل الثانى :

جماعة أنصار السنة المحمدية ١٧٥

المبحث الأول :

التعريف ببعض رؤساء جماعة أنصار السنة المحمدية ١٧٥

المبحث الثانى :

البناء التنظيمى للجماعة ١٨٢

المبحث الثالث :

أهداف جماعة أنصار السنة المحمدية ١٨٤

المبحث الرابع :

الاتجاه الفكرى لتحقيق الأهداف ١٨٧

المبحث الخامس :

جماعة أنصار السنة فى الميزان ١٩٢

الفصل الثالث :

جمعية الشبان المسلمين ١٩٩

المبحث الأول :

كيف أسست جمعية الشبان المسلمين ٢٠١

المبحث الثانى :

التعريف بكل من :

١ –الدكتور عبد الحميد سعيد

الرئيس العام الأول للشبان

٢ ــ اللواء صالح حرب الرئيس الثانى للشبان ٢٠٣

المبحث الثالث :

أهداف الشبان المسلمين ٢٠٧

المبحث الرابع :

منهج جمعية الشبان المسلمين لتحقيق أهدافها ٢٠٩

المبحث الخامس :
الاتجاه الفكرى والعملى للشبان المسلمين ٢١٣
المبحث السادس :
أثر جمعية الشبان المسلمين فى الدعوة الإسلامية ٢١٦
المبحث السابع :
جمعية الشبان المسلمين فى ميزان النقد ٢٢١
الفصل الرابع :
الإخوان المسلمون ٢٢٧
المبحث الأول :
التعريف بالإمام الداعية حسن البنا ٢٣٣
التعريف بالمستشار حسن إسماعيل الهضيبى ٢٤٣
المبحث الثانى :
البناء التنظيمى للإخوان المسلمين ٢٤٥
المبحث الثالث :
أهداف الإخوان المسلمين ٢٤٩
المبحث الرابع :
التربية الفكرية والعملية للإخوان المسلمين ٢٥٤
المبحث الخامس :
أثر الإخوان المسلمين فى الدعوة الإسلامية ٢٧٩

المبحث السادس :

الإخوان فى الميزان ٢٩٠

الباب الرابع :

الفكر المتطرف : أسبابه ــ آثاره ــ

واجب الدعاة نحوه ٢٩٧

الفصل الأول :

أسباب التطرف ومظاهره ٣٠١

الفصل الثانى :

القضايا الفكرية التى تطرف فيها الشباب ٣١٣

الفصل الثالث :

كيفية احتواء هذا الفكر وعلاجه ٣٤٥

الختــــام ٣٣٥

ا ــ الآثار الإيجابية والسلبية للجمعيات ٣٥٨

ب ــ كيفية النهوض بالجمعيات الإسلامية ٣٦٠

جـ ــ مايجب على الأزهر الشريف نحو النهوض

بالجمعيات الإسلامية ٣٦٢

مراجع الكتاب ٣٦٧

فهرس الكتاب ٣٧٧

رقم الإيداع : ٩٧٥٥ / ١٩٩١
الترقيم الدولي : ٦ ــ ٠٦٩ ــ ٢٥٧ ــ ٩٧٧

الزهراء للإعلام العربي
الإدارة ١٤ شارع الطيران ــ رابعة العدوية
مدينة نصر ــ ت ٦٠١٩٨٨ ــ ٢٦١١١٠٦
تلكس ٩٤٠٢١ رالف يو إن فاكس ٢٦١٨٢٤٠

المطابع ٩ ش عماد الدين كامل ــ متفرع من عباس
العقاد ــ مدينة نصر ت ٢٦٣٧٢٨٣

القاهرة

الجمعيات الإسلامية في مصر
ودورها
في نشر الدعوة الإسلامية

قال الله تعالى : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ﴾ ، الإسلام دعوة بالحكمة والموعظة الحسنة ، لا إكراه فيها ، ولا إجبار ؛ فدين الله نسق قيم متوافق مع العقل السليم ومع الفطرة .

وقد كثرت في العصر الحديث الجمعيات الإسلامية مثل أنصار السنة المحمدية والشبان المسلمين والجمعية الشرعية ، وجعلت هدفها الدعوة إلى الإسلام ، وتنقيته مما علق به من شوائب الجهل والغرض .

وهذا الكتاب يعالج من هذه الجمعيات ما ظهر منها في القرن العشرين في مصر ويتتبع نشأتها وتطورها وأساليبها في الدعوة ، ويفصل غاياتها وإنجازاتها وما أسدته لدعوة الإسلام ، مما يجعل منه إسهاما بارزا في النهضة الإسلامية المعاصرة التي نرجو لها أن تتكامل بعون الله .

والله من وراء القصد

الناشر

الزهراء للإعلام العربي